علم اجتماع المرأة

رؤية معاصرة لأهم قضاياها

علم اجتماع المرأة

رؤية معاصرة لأهم قضاياها

د. سامية حسن الساعاتى



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٣

مكتبة الأسـرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة الأعمال الفكرية)

إشراف: مصطفى غنايم

علم اجتماع المرأة

د. سامية حسن الساعاتى

الغلاف
والإشراف الفنى:
الفنـان : **محمـود الهندى**
الإخراج الفنى والتنفيذ:
صبرى عبدالواحد
الإشراف الطباعى:
محمود عبدالمجيد
المشرف العام :
د.سميـر سرحـان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقـافـة

وزارة الإعـلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة التنمية المحلية

وزارة الشــباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم:

لا سبيل أمامنا للتقدم والرقىّ وملاحقة العصر إلاّ بالمزيد من المعرفة الإنسانية.. نور يهدينا إلى الطريق الصحيح، ولأن مكتبة الأسرة أصبحت أهم زهور حدائق المعرفة نتنسم عطرها ربيعًا للثقافة المصرية الأصيلة.. فإننا قطعنا على أنفسنا عهدًا ووعدًا ليس لنا إلا الوفاء به لتثمر شجرة المعرفة عطاءً للأسرة المصرية.

د.سمير سرحان

إهداء

إلى أمى الحبيبة الراحلة: **الأستاذة الدكتورة/ فوزية دياب**
رائدة علم نفس الطفولة فى مصر وأول عميدة لمعهد الخدمة الاجتماعية فى مصر ورئيسة قسم دراسات الطفولة – كلية البنات جامعة عين شمس سابقا.

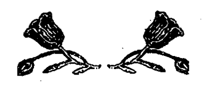
امرأة مصرية، وزوجة، وأما، وحبيبة، وصديقة، وشريكة وأستاذة جامعية، وعالمة، ومربية أجيال، جمعت بين كل هذه الأدوار، فى حب، وعطاء، واقتدار.

إلى أبى الحبيب الراحل: **الأستاذ الدكتور/ حسن الساعاتى**
عميد علم الاجتماع العربى.

الذى آمن بتحرير المرأة، تحرير عقلها، وإبداعها، وحركتها الحرة، واحترم المرأة، وعاونها، وقدرها.. فأعطت.. وأجزلت العطاء.

إليهما.. أهدى هذا الكتاب.

سامية حسن الساعاتى



مقدمة

هذا الكتاب هو أول كتاب فى المكتبة العربية فى علم اجتماع المرأة وهو حصاد علمى يضم أهم القضايا المعاصرة التى تخص المرأة من وجهة نظر علم الاجتماع.

وعلم اجتماع المرأة، هو ذلك العلم الذى يهتم بالمرأة فى المجتمع. وهو علم حديث العهد بالنسبة للعلوم الأخرى المتفرعة من علم الاجتماع. ويركز هذا العلم على دراسات المرأة فى شتى مناحى الحياة. فهو يدرس على سبيل المثال، المرأة فى علاقتها بالرجل فى المواقف الحياتية المختلفة، كما ينشغل بالأدوار النوعية، والتنشئة الاجتماعية، وتكوين هوية الذكر والأنثى، ويتناول التغير الاجتماعى والاقتصادى وتأثيرهما على المرأة، كما يتناول بالتبادل تأثير المرأة فيهما، آخذا فى الاعتبار مفاهيم النوع، والطبقة، والريفية، والحضرية. ويهتم علم اجتماع المرأة أيضا بالمرأة ودورها فى التنمية، وتأثير التنمية عليها، بكل أشكال عمل المرأة، كما يدرس حركة تحرير المرأة، والممارسات التمييزية، والعنف ضد المرأة.

ويشمل اهتمام علم اجتماع المرأة كذلك، علاقة المرأة بالسياسة، والسلطة، والحكومة، والقانون. وتندرج تحت ذلك مفاهيم القوة والسيطرة، كما ينشغل هذا العلم بعلاقة المرأة بالثقافة Culture، والعلاقة بين الثقافة والبيولوچيا. ولا يركز علم اجتماع المرأة على دراسة المرأة فى سوائها فقط بل إنه يهتم إلى جانب ذلك بدراستها فى انحرافها، فيدرسها كمجرمة، ويدرسها أيضا كضحية، ويركز على علاقة انحرافها بالقوانين، والقيم، والثقافة السائدة.

وهذا الكتاب **حصيلة جهد علمى، امتد حوالى العشرين عامًا، كرستها لدراسة المرأة بعامة، والمرأة فى ثقافة العالم الثالث بخاصة، والمرأة المصرية والعربية على وجه الخصوص.**

وقد قمت بالاشتراك فى وضع مادة علم اجتماع المرأة، لأول مرة فى تاريخ الجامعات المصرية فى لائحة الدراسة بالسنة الرابعة بقسم الاجتماع بكلية البنات جامعة عين شمس منذ عشر سنوات، حين كنت أشرف برئاسة قسم الاجتماع (١٩٨٩-١٩٩٥) بها كما قمت بتدريسها. منذ ذلك التاريخ، وكنت قبل ذلك أُدَرس مادة علم اجتماع المرأة من خلال تدريس مادة علم الاجتماع الأسرى، فى كلية آداب عين شمس

ويهتم هذا الكتاب بالبحث فى ميادين عديدة تتعلق بالمرأة، فيتناول رؤية علم الاجتماع لها، كما يرصد أدوارها المختلفة كامرأة مسئولة، وربة بيت عاملة داخل بيتها، وريفية تسهم فى التنمية، كما يتتبع تأثيرها على المجتمع كعاملة، ومتعلمة، ومثقفة، وشابة في مقتبل العمر، أى أنه يدرسها فى أدوار، وأعمار، وأطوار شتى. كما يركز الكتاب على تأثير الرواد من الرجال على حركة تحريرها، ويرصد موقف المجتمع والثقافة من جسد المرأة كما يتبدى فى المعتقد الشعبى.

والكتاب يكشف عن اهتمامى الباكر، بدراسة المرأة منذ أوائل السبعينيات حتى الآن، قبل أن يتداول الحديث عن المرأة المصرية، والعربية، مثلما يحدث الآن، وقبل أن يتواتر عقد المؤتمرات الواحد تلو الآخر لبحث واقع المرأة وقضاياها، واهتماماتها، ومعوقات حركتها الحرة.

وقد بدأ اهتمامى بدراسة المرأة منذ دراستى للدكتوراه التى تبلورت فى أطروحة بعنوان: الدور الوظيفى للزوجين فى الأسرة المصرية: دراسة مقارنة فى الريف والحضر، وفيه تعرضت لدراسة الأدوار النوعية، وللتنشئة الاجتماعية كساس للدور، ومنذ ذلك الوقت وأنا شَغُوفه بدراسات المرأة، ولَوعة بمعرفة كل جديد فى علم اجتماع المرأة.

إن الأفكار المطروحة فى هذا الكتاب حصيلة مسيرة علمية، استشرفت المستقبل، كما استقت الحقائق من الواقع الاجتماعى المصرى والعربى، فتميزت بالأصالة والعمق، ولم ترتكز على النقل من الكتب الأجنبية، لذلك استحقت هذه الأفكار الاهتمام المحلى والعالمى، سواء فى المؤتمرات المحلية والعالمية المختلفة، أو فى ترجمة بعضها إلى لغات أخرى.

ترجمة بعضها إلى لغات أخرى.

وأخيرا.. فإننى بهذا الحصاد العلمى الذى أقدمه لزملائى، وأبنائى، وبناتى، وإلى المرأة المصرية بصفة خاصة، لأشعر أننى قد قمت بواجب علمى، وطنى كان علىّ أداؤه.

والله ولى التوفيق

سامية حسن الساعاتى

مصر الجديدة ٣٠ مارس ١٩٩٩م

مقدمة الطبعة الثانية

إنه ليسر الكاتب، ويملؤه غبطة، أن يرى كتابه ينتشر فى أنحاء البلاد العربية المعنية بالقراءة، وكذلك بين المتخصصين والمهتمين بمجال المرأة فى المجتمع، ويهمهم الإطلاع على ما يجرى فى هذا الميدان من بحوث ودراسات علمية، ولهذا نفذت الأعداد الهائلة التى كانت مطبوعة منه فى زمن قياسى نسبياً.

ولقد جعلنى ذلك أتساءل عن السبب فى رواج الكتاب فى ساحة المعرفة العامة، فعلمت أن موضوع علم اجتماع المرأة، من أهم الموضوعات التى تستحوذ على القارئ العادى والمتخصص وتشد انتباههما، لجاذبيته وتشويقه رغم علميته الشديدة والحقيقة أن هذا الموضوع قد شغلنى منذ فترة طويلة، تربو على العشرين عاماً، كما ذكرت فى مقدمة الطبعة الأولى. فقد أجريت بحوثاً مختلفة منذ السبعينيات تضم دور المرأة فى الأسرة المصرية، كربة بيت داخل أسرتها وكعاملة داخل أسرتها، وخارجها، وريفية تسهم فى التنمية، وكمتعلمة، ومثقفة، وشابة، وموقفها من المجتمع، وموقف المجتمع منها بموروثاته الثقافية، والمعوقات التى قد تتعرض لها، والرواد الذين أسهموا فى تحررها، وموقف علم الاجتماع من المرأة بعامة والمرأة المصرية بخاصة.

والجديد في هذه الطبعة أنني قد أضفت إلى فصول الكتاب ستة فصول جديدة، الأول بعنوان المرأة والتنمية في مصر، والثاني بعنوان وقاية المرأة من العنف وحقوق الإنسان، والثالث بعنوان المرأة والتنمية والإعلام والرابع بعنوان المرأة والفقر في مصر، والخامس بعنوان التمييز ضد المرأة، والسادس بعنوان المرأة المصرية في المثل الشعبي.

وقد أتت فصول الكتاب، بهذا الشكل، متكاملة، مؤتلفة، منسجمة الأجزاء منطقية التركيب، فخصصت الفصل الأول لدراسة اغتراب المرأة في علم الاجتماع المعاصر، وتحليل مظاهره وأسبابه، وعرضت فيه لتعريفنا الإجرائي له، والذي يشتمل على أربعة عناصر أساسية هي: عدم الفعالية، والخلو من المعنى، والعزلة، واغربة الذاتية كما تتبعت مظاهر شتى لاغتراب المرأة.

أما الفصل الثاني، فيبحث دور المرأة في المجتمع المصري الحديث، من خلال دور المرأة في الجماعات الريفية التقليدية، وعناصر قوتها ومدى اتساق دورها مع الثقافة التقليدية، وكذلك دور المرأة الحضرية في المجتمع المصري الحديث، مع عرض تاريخي لقضية تحرير المرأة، ودورها في بلورة كفاحها وذاتيتها، مقسم إلى حقب تشتمل كل منها على عدة فترات لها خصائصها، وفي نهاية الفصل تتبع لأهم الظواهر الاجتماعية المصاحبة لدور المرأة في المجتمع المصري الحديث.

أما الفصل الثالث، فركزت فيه على دراسة أهم المعوقات الثقافية لمشاركة المرأة الريفية، وفي هذا الفصل يتبين لنا أن المرأة الريفية تختلف عن المرأة المصرية المثقفة في مدى وعيها بتلك المعوقات، ومدى تقبلها أو رفضها لها، كما أن هناك عدة مؤشرات هامة تدل على أهمية القيم والعادات ، والعوامل الثقافية بعامة في المشاركة التنموية للمرأة المصرية الريفية. ويحتوى هذا الفصل على اقتراحات هامة لزيادة مشاركة المرأة المصرية الريفية في التنمية.

وفي الفصل الرابع، تناولت دور المثقفات المصريات في التغيير الاجتماعي من خلال بحث اجتماعي وتاريخي، وأقصد بهن تلك الصفوة من المتعلمات في مصر ، وبخاصة تلك اللاتي تبنين موقفاً ثورياً تجديدياً، من الأفكار والتقاليد السائدة في مختلف مجالات العلم، والأدب، والفن والسياسة وغيرها

ومن المعروف أن دور المثقفات المصريات، هو الوجه الآخر للعملة، لقضية تحرير المرأة المصرية. وفى نهايه هذا البحث الاجتماعى التاريخى، تحليل لأهم المعوقات التى تواجه المثقفات المصريات.

ويركز **الفصل الخامس**، على دور المرأة كشابة، وأثره فى المجتمع فيبحث هذا الفصل فى **دور الشابات المصريات فى التغير الاجتماعى بين السياق التاريخى، والواقع الاجتماعى، كما يتعرض للبحوث التى درست الشابة المصرية سواء بشكل مباشر أم غير مباشر.**

وفى الفصل السادس، **نتناول قضية المرأة والتنمية فى مصر**، وللتنمية هنا أســاس **مـادى، وآخـر فكرى**، كما أن لها قطبان **الأول اجتماعى، والثانى اقتصادى.**

ويقصد بدور المرأة فى التنمية، **تلك الجهود والإسهامات التى تبذلها المرأة سواء اتسمت بالطابع الاقتصـادى، أو الاجتماعى والتى تؤدى إلى إحداث التغير الاجتماعى، وتسهم فى تحقيق درجة ما من التقدم الاجتماعى.**

أما الفصل السابع، فيتناول **دور المرأة كربة بيت** وذلك من خلال عرض تحليلى نقدى لكتاب «سوسيولوجيا العمل المنزلى»، الذى يهتم بنظرة النساء للعمل المنزلى، ونظرتهن لأنفسهن كربات بيوت، ومشاعرهن المختلفة نحو العمل المنزلى واتجاهاتهن نحو الأعمال المنزلية المختلفة من طهى وتنظيف... إلخ

وقد اهتممت بدور المرأة كربة بيت على وجه الخصوص، لأنه دور مهمل من علم الاجتماع، ومن المجتمع على السواء، وعلى الرغم من أن العينة التى ينصب عليها هذا الكتاب، كانت عينة إنجليزية، لكن وضع الزوجة ربة المنزل فيها، ينطبق فى أساسياته على الزوجات فى مجتمعات صناعية معاصرة.

أما الفصل الثامن، فهو عن أحمد لطفى السيد وتحرير المرأة، وقد اخترت أحمد لطفى السيد بالذات موضوعاً لبحثى عن تحرير المرأة، لأن دوره الحقيقى فى تحرير المرأة المصرية غير معروف بشكل عام لأنه يمثل الفترة الثانية من

فترات تحرير المرأة المصرية، التى تمثل استمرار فترة نيابة الرجال، أى دفاع الرجل عن المرأة، وأنه كان ينوب عنها فى عرض قضيتها والتحمس لها. **والواقع أن للطفى السيد أثر لا ينكر على حركة المرأة فى مصر، فهو رجل كان يعيش فى المستقبل، ووقف إلى جانب قاسم أمين فى دعوته. وكان يفخر بأن أعظم أعماله هو إدخال البنت إلى الجامعة.**

وفى الفصل التاسع بحث فى انحراف المرأة، بعنوان **جرائم النساء**، وقد استعنت بهذا البحث لأهميته فى **لفت النظر إلى جرائم المرأة، بعد كثير من الأهمال، واللامبالاة، على أساس أن صورتنا الثقافية السائدة عن المجرم أنه: ذكر خارج على القانون**، وأن البحوث فى علم الاجتماع الجنائى قد وقعت تحت تأثير تلك القوالب الثقافية، كما يتناول هذا الفصل أيضاً الطبيعة المتخفية لجرائم النساء، والأبعاد الحقيقية لإجرامهن.

ولما كان القرن الحادى والعشرون، هو القرن الذى يحتل فيه الجسد إهتماماً كبيراً، وذلك بعد إدراك المدارس الفكرية لمدى تغييبه فى العصور الماضية، والدليل على ذلك ظهور جمعيات حقوق الإنسان، واهتمام المنظمات الدولية بأمره، فقد رأت المؤلفة أن يتضمن الفصل العاشر من الكتاب بحثها الذى قدمته **فى المؤتمر الدولى بكوبنهاجن عن المرأة والجسد فى سبتمبر ١٩٩٧م. وعماد هذا البحث أن النظرة إلى الجسد ليست مجرد نظرة فردية، بل هى نظرة جمعية تتبناها الثقافة، وتنشرها بين الناس بحيث يكون للمجتمع ككل نظرة موحدة للجسد، بصرف النظر عن اختلاف ظروف الأفراد**، كما يركز البحث على **تناول المرأة المصرية، فى علاقة جسدها بالمعتقد الشعبى، كما تبدو فى مظاهر دورة الحياة.**

وفى الفصل الحادى عشر، **ينصب الاهتمام على قضية بالغة الأهمية**، وهى **وقاية المرأة من العنف، وصلتها بحقوق الإنسان**، وتعد هذه القضية من قضايا الساعة الملحة، ويبحث هذا الفصل **قضايا العنف ضد المرأة، لا سيما العنف البدنى، مثل الضرب، والتشويه الجسدى «الختان» والاغتصاب، وهو أبشع أشكال العنف**، كما يبحث أيضاً فى أساليب **وقاية المرأة من هذا العنف، والتحديات التى تواجهها.**

أما الفصل الثانى عشر فيتناول **قضية القضايا فى وضع المرأة المصرية والعربية، ألا وهى قضية الموروث الثقافى وتأثيرها على الواقع المصرى والعربى** فيما يخص **دور المرأة فى التنمية بعامة، وفى الإعلام على وجه الخصوص**. كما أنه يفحص ميكانيزمات تحجيم هذا الدور أو تفعيله فى الواقع المصرى والعربى. **وقضية المرأة المصرية بخاصة، والعربية بعامة، جزء لا يتجزأ من قضية المجتمع الغربى كله، فهى ليست قضية تحرر أو مساواة مع الرجل، ولا مجرد أمور تتصل بالأسرة، والأحوال الشخصية، ولا هى قضية تعليم وعمل، وحقوق معينة، لكنها قضية الاتجاهات الاجتماعية الغالبة، المستمدة من العادات والتقاليد، والنسق القيمى السائد فى المجتمع**.

وفى الفصل الثالث عشر، كان **التركيز على ظاهرة نالت اهتماماً ملحوظاً فى الآونة الأخيرة ألا وهى ظاهرة الفقر، حتى لقد أعلن عام ١٩٩٦، عاماً دولياً للقضاء على الفقر**. لذلك ينصب الاهتمام فى هذا الفصل **على المرأة والفقر فى مصر**، بين الواقع والتمكين وينافسه وضع المرأة الفقيرة فى الأسرة، وما يتعلق بتأنيث الفقر، **ومحاولات تمكين المرأة الفقيرة من خلق فرص عمل جديدة، بعيدة عن المجالات التقليدية متمثلة فى القطاع العام والحكومة. وهنا يظهر دور المنظمات غير الحكومية**.

أما الفصل الرابع عشر فيناقش **قضية تعد العمود الفقرى لقضايا المرأة**، ألا وهى **قضية التمييز ضد المرأة المصرية خاصة والعربية بعامة. والتمييز ضد المرأة، هو أى نيل من إنسانيتها، أو التمييز ضدها، أو تقييدها، أو استعبادها، أو المساس بحقوقها الشخصية والاجتماعية، والنفسية، والثقافية، والسياسية، والمدنية على أساس النوع (gender)**. كما يركز هذا الفصل على **الموروث الثقافى**، ومقومات **الثقافة الذكورية**، وموقف **المرأة منها**. وأهمية إبراز القيم الإيجابية فى الموروثات والرموز الثقافية، للاسهام فى تغيير أفكار الناس نحو المرأة، وتغيير نظرة المرأة نفسها إلى ماضيها، وواقعها، وإمكاناتها، والأدوار التى يمكنها القيام بها.

وفى الفصل الخامس عشر، والأخير، فى هذا الكتاب، رأيت أن **أقـوم بدراسـة للمرأة المصرية من خلال الأمثال الشعبية وذلك فى أدوارها المختلفة فتاة، وزوجة وأماً، وحـمـاة... إلخ**، ويأتى تفرد هذا الفصل، من كشفه عن الإبداع المتعلق بالأمثال الشعبية الخاصة بالمرأة، ويظهر ذلك فى المثل ونقيضه، وفى اختزال التجربة البشرية فى كلمات، **فمن الخطأ كما يقول «مالينفسكى» أن ننظر إلى الأمثال الشعبية على أنها شكل من أشكال الفولكلور، وإنما هى فى الواقع عمل كلامى يدعو إلى الفعل**. إن هذه الأمثال إنما هى انعكاسات لحياة الشعب الاجتماعية، ونظرته لطبيعة العلاقات الانسانية.

وإننى لأشعر بسعادة غامرة، وأنا أكتب هذه المقدمة **للطبعة الثانية من الكتاب**، وقد وفقنى الله إلى إضافة ستة فصول تضم قضايا محورية عن المرأة تعد من موضوعات الساعة، **وكلها من أبحاثى الحديثة التى قمت بها**، وبذلك أصبح كتاب **«علم اجتماع المرأة»** شاملاً متكاملاً. وبهذا تظل المرأة بعامة، والمرأة المصرية والعربية بخاصة، هى شاغلى، وهمى، وأملى الذى لا يخبو أبدا.

والله ولى التوفيق

د. سامية حسن الساعاتى

مصر الجديدة/ يونيو ٢٠٠٣

الفصل الأول

اغتراب المرأة فى علم الاجتماع المعاصر
تحليل اجتماعى لمظاهره وأسبابه(*)

تمهيـد:

تتردد كلمة «الاغتـراب» كثيرا فى كتابات النقاد الاجتـماعيين. وفى أقوالهم حين يعـرضون بالشـرح والتحليل لظواهر مـثل: الهـوة بين الأجيـال، أو الحرب والسلام، أو التفكير العقلى والتفكير الغيبي، أو علاقة الحاضر بالماضي، أو الحرية والاستعباد. وكـذلك تتردد الكلمة فى معرض النقد الذى يوجه إلي طبـيعة العمل وسيـره فى المجتمع الرأسمـالي، وفى الأجهزة البيـروقراطية، وإلى علاقـة الحاكم بالمحكوم، والفرد بالمجتمع، وإلى ما يسود عـلاقات الأفراد فى عصرنا من سطحية ونفعـية ولا إنسانيـة، وإلى عدم إحساس الإنسـان الحديث بما فى الحيـاة من معنى وجدوى.

نستـطيع القول إذن، دون مبـالغة أو إسـراف، أن جانبـا كبـيرا من حيـاتنا المعـاصرة ومـشكلاتهـا، قد وضع مـوضع المناقشـة على أسـاس فكرة الاغتـراب، ونسـتطيع بالتـالى أن نضيـف مصطلح «الاغـتـراب» إلى غيـره من المصطلحـات الأساسية، التى نستعين بها فى فهم روح العصر الحاضر.

ولكن على الرغم من أن كـلمة «الاغـتـراب» صارت شـائعـة مألوفـة لدى الكثيرين، فإن معناها لا يزال غير مفهوم، كل لسان يلوكها، وكل قلم يجرى بها، يسدل عليها ستارا من الغمـوض، وكما قال «هيجل»: «إن ما هو مألوف، أى ما

(*) بحث نشر فى المجلة الاجتماعية القومية، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، العدد ١٣-٣ المجلد الرابع عشر، ١٩٧٧.

هو معـروفٌ، بالاتصال المباشـر أو الألفة والعادة، ليس بالضـرورة مفهـوما، أى معروفـا معرفة واعيـة تنطوى على الفهم. فقد يكون القـزيب منا، واللصيق بنا، والذى يجرى دائمـا على لساننا، بعـيدا عن الفهم والإدراك الـعقلى الواضح»[1]. وهنا تجيء مهمة العلم فى التوضيح والتحليل.

والاغتـراب بوجه عام، هو البعـد عن الأهل والوطن. وقد استـعمل اللفظ حديثـا فى العلوم الاجتـماعيـة، فقد اسـتخدم «هيـجل» الاغتـراب أول مرة سنة ١٨٠٧، بمعنى تاريخي، فـرأى أن اغـتراب الإنسـان اغتـرابا تاريخـيا، مـعناه أنه اغتراب ينشأ نتـيجة ظروف تاريخية، إذا قضى عليهـا قضى على الاغتراب» [2]. أما عنـد «ماركس» الذى استـخدم فى كـتاباته مـفهـوم الاغتراب لأول مـرة سنة ١٨٨٣، فالاغـتراب له دلالة خاصة تتلخص فـى أن المرء يمر أحيانا بأوضاع يفـقد فيها نفسـه، ويصبح غريبا أمام نشاطه وأعماله، ويكاد يفقـد إنسانيته كلها. فليس الأمر مـجرد خطأ أو نسـيان، بل هو **فقدان للذات**، وذلك حين يتعـرض الإنسان لقوى معادية ربما كانت من صنعه، ولكنهـا تنقلب عليه كالأزمات والحروب. ففى حال الاغتراب يستنكر أعماله، ويفقد شخصيته. وفى ذلك ما قد يدفعه إلى الثورة لكى يستعيد كيانه. فالاغتراب عند «ماركس» دافع من دوافع الثورات.

وللاغتراب فى رأى «ماركـس» صور شتى، منها الاغتراب السـياسي، وفيه يصبح الفرد، تحت تأثير السـلطة الطاغية، مجرد وسيلة ولعبـة لقوة خارجة عنه، والاغتراب الاجتماعي، وفيه ينقسم المجتمع إلى طوائف وطبقات وتخضع الأغلبية للأقلية، ولا سبيـل للتخلص من ذلك إلا بالثورة. وأخيرا الاغتـراب الاقتصادي، وهو عند ماركس الاغـتراب الأساسي، وفيـه تسود الرأسمـالية، وتستولى طبـقة خـاصة على وسـائل الإنتـاج جمـيـعهـا. ولا علاج له إلا بتـملك الدولة لهـذه الوسائل، ودفع الإنتاج دفعة قوية. وواضح أن فى فكرة الاغتراب هذه أثرا واضحا للجدلية الهيجلية [3].

---

(١) نقلا عن محمود رجب، **الاغتراب: دراسة فى أزمة الإنسان**، ص ٣.

(٢) نقلا عن محمود رجب. المصدر نفسه. الصفحة نفسها.

(٣) انظر مادة اغتراب، **معجم العلوم الاجتماعية**، ص ٥٠، ٥١.

١- اغتراب المرأة فى علم الاجتماع المعاصر: تعريف إجرائى:

يشتمل تعريفنا الإجرائى لمفهوم اغتراب المرأة فى علم الاجتماع المعاصر على أربعة عناصر أساسية هي:

أ- عدم الفعالية.

ب- الخلو من المعنى.

جـ- العزلة.

د- الغربة الذاتية.

وسنتناول كل عنصر من هذه العناصر بالشرح والتعليق، ثم نتبع هذا الشرح والتعليق، بتعداد لمظاهر هذا الاغتراب فى علم الاجتماع المعاصر، يكون بمثابة تطبيق واقعى لهذا التعريف.

أ- عدم الفعالية:

يشكل عدم الفعالية، أى العجز، أحد أوجه الاغتراب، وهذه الفكرة مستمدة من وجهة نظر «ماركس» عند معالجته لظروف العمال فى المجتمع الرأسمالي،وفيها يرى أن العامل غير فعال ولا حول له ولا قوة، وفى مواجهة رأس المال الذى يملك المال، والوسائل، وإعطاء القرارات.

ونلمح فى أعمال «ڤيبر» امتدادا لفكرة عدم الفعالية هذه، فيما وراء المجال الصناعى الماركسي، ويظهر ذلك أيضا فى ملاحظات كل من «جيرث» و «ميلز» حيث يقولان:

«إن تأكيد ماركس على فكرة «انعزال» العامل الأجير، وانفصاله عن وسائل الإنتاج، تصبح فى المنظور الفيبرى مجرد حالة خاصة لاتجاه عالمى،فالجندى الحديث «منفصل» بالدرجة نفسها عن وسائل العنف والقتال، بالمثل كما أن العالم منفصل عن وسائل البحث والتمحيص. والموظف الحكومى منفصل عن وسائل الإدارة[1].

وفكرة عدم الفعالية كأحد جوانب الاغتراب، نجدها متواترة فى علم الاجتماع المعاصر، فهى متمثلة عند «جولدنر» فى مؤلفه عن القيادة، وكذلك لدى «رايت ميلز»، وفى كل تحليل للظروف والأوضاع الإنسانية التى تتخذ الاتجاه

(1) H.H. Gerth & C.W. Mills, From Max Weber, P. 50.

الماركسى موجها لهـا. وتتفق كل المفهومات المتواترة لعدم الفعـالية، كأحد مظاهر الاغتراب، فى علم الاجتماع المعاصر، على أنه «توقع الفرد أن سلوكه لا يمكن أن يحدد نتائج أى شيء، وأن رأيه لا وزن له».

ويؤخذ على المفهوم السابق، السائد فى الكتـابات الحديثة فى علم الاجتماع انه لا يضع فى الاعتبار، فيما يتضمنه من أفكار، ذلك الإحباط الذى قد يستشعره الفرد كنتـيجة لـلتضارب بين السـيطرة التى يتوقـعها على الأحـداث، وبين درجة السيطرة التى يرغب فيها بالفعل، وبعبـارة أخرى يؤخذ على المفهوم السابق تجاهله لقيمة الضبط والسيطرة على الأحداث بالنسبة للفرد:

أما مفهومنا **لعدم الفعالية**، وهو مـا نرى أنه يشكل أحد جـوانب **الاغتراب الذى تستشعره المرأة اليوم فى علم الاجتماع المعاصر**، فإنه «يتبلور فى عدم القدرة على الضبط الداخلي، مقابل الضـبط الخارجى للأحداث»، ونحن فى ذلك نقترب فى مفهومنا مما يراه «روتر» (١) إذ يشير مفهومنا لعدم الفـعالية والعجز إلى شعور الفرد بعـدم القدرة الذاتيـة على ضبط الأحـداث وتوجيـهها، مـقابل شـعوره بأن مجريات الأحداث تعـتمد على ظروف خارجية، مثل الحظ والصدفـة، واستغلال الآخرين (الرجال).

ب- الخلو من المعنى:

يمثل هذا البعد، البعد الثانى للاغـتراب فى نظرنا، وقد ورد ذكره فى أعمال بعض العلماء المعاصرين، ولكنه ظهر بوضوح فى معالجة «أدورنو» للتعصب، وفى مؤلف «كانتريل» سيكولوجية الحركات الاجتماعية، كما ظهر فيها مصطلح البحث عن المعنى Search for Meaning (٢). هذا، ونجـد مـثل ذلـك الوصف لـدى

---

(١) انظر:

W.H. James & I.B. Rotter,"Partial and Hundred Percent Reinforcement under Chance and Skill conditions Journal of Experimental Psychology, 55 (May, 1958), PP. 397-403.

(٢) انظر:

I.W. Adorno et al, The Authoritarian Personality PP. 617-ff.

وانظر أيضا:

H. Cantril, The Psychology of social Movements,1941.

«كارل مانهايم» فى وصفه لتزايد العقلانية الوظيفية. Functional rationality فى متابل أفول وانحسار «العقلانية الواقعية Substantial Rationality

بمعنى أنه كلما تزايدت العقلانية الوظيفية، كان هناك انحدار مواز فى القدرة على اتخاذ قرار معقول، فى ظرف معين على أساس فهم الفرد لترابط الوقائع [١].

ويعنى مفهوم الخلو من المعنى، كأحد أبعاد الاغتراب فى رأينا «عدم شعور الفرد بالقدرة على فهم الظروف التى يجد نفسه وسطها». وتبعا لذلك فإنه لا يستطيع التنبؤ بمغبة عمله، لو فصل فى أى موضوع، بحسب فهمه وبصيرته.

ج- العزلة:

العزلة هى ثالث العناصر التى رأينا أن الاغتراب - فى فهمنا - يحتويها، وقد استخدم هذا الاصطلاح بكثرة فى وصف دور المثقفين، حيث أشار الكتاب إلى انفصال المثقفين عن المعايير الثقافية الشعبية.

ونحن نرى أن هذا الاصطلاح يشير إلى أحد جوانب الاغتراب، المتمثلة «فى شعور الفرد بالغربة عن مجتمعه، وعن الثقافة التى يحتويها» وهذا الفهم يختلف تماما عما يتبادر إلى الذهن من أن هذا الاصطلاح قد يعنى نقص التكيف الاجتماعي، أو مدى حرارة أو كثافة علاقات الفرد الاجتماعية.

د- الغربة الذاتية:

يشكل هذا العنصر، رابع عناصر الاغتراب التى تعانى منها المرأة فى علم الاجتماع المعاصر، والاغتراب بهذا المعنى، موجود فى أجلى صوره فى مؤلف «أريك فروم» عن المجتمع السليم حيث قال: «لقد اخترت مفهوم الاغتراب لتحليل الشخصية الاجتماعية المعاصرة. وأعنى بالاغتراب أسلوبا للخبرة، يخبر الإنسان فيها ذاته كمغتربة عنه، بحيث يمكن القول أن الشخص يصبح غريبا عن ذاته[٢]. وبالمثل نجد المعنى نفسه فى كتابات «رايت ميلز»[٣]. «وريسمان»[٤].

---

(١) انظر:

Karl Mannheim, Man and Society in an age of Reconstruction, P.59

(٢) انظر:

Erich Fromm, The Sane Society, PP.110,120.

(٣) انظر ميلز، المصدر السابق، ص ١٨٤-١٨٨

(٤) ٣ انظر:

David. Riesman, The Lonely Crowd P.49

والغربة الذاتيـة - فى رأينا - هى «**أن يكون الشخص واعيا** بالانفصال بين **ذاته المثالية**، وبين صورته الذاتيه الواقعية»، بمعنى آخر يكون الاغتراب بهذه الصورة **هو** درجة اعتماد سلوك معين على جزاءات مستـقبلية معينة، أى الجزاءات المختفية خارج الفعل نفـسه. مثال ذلك العامل الذى يعمل من أجل أجـره فقط، والزوجة **التى تطهو** طعامـا كيفما اتفق، لكى تكون، قـد قامت بالواجب بصرف النظر عن **جودة الطعام** أو عدمها. فالاغتراب هنا إذن هو «عدم **قدرة الفرد على العثور على جزاء ذاتى نابع منه»**.

نستطيع فى النهـاية أن نتبين ملامح مفـهوم اغتراب المرأة فى علم الاجـتماع المعاصـر الذى يضم أبعادا أربعة أساسـية وهي: **عدم الفعـالية، والخلو من المعنى، والعزلة، والغربة الذاتية.** وسنرى على الصفـحات التالية مظاهر اغـتراب المرأة فى الميدان الأكاديمى الخاص بعلم الاجتماع، وحيث نجد أن المرأة تعانى فيه من اغتراب واضح، **يطابق** ذلك الاغتراب الذى تستشعره المرأة المتـعلمة تعليما عاليا، **بخاصة، والمرأة بعامة، فى** المجتمع الكبير ككل.

ولعل أحد أسباب اغتراب المرأة فى علم الاجتماع بوجه خاص، هو أن علم الاجتماع، مـا هو إلا مرآة المجتمع التى تنعكس فيها كل ظروفـه، وأحواله. وتبعا لذلك يتبين لنا أن اغتراب المرأة فى علم الاجتماع المعاصر، ما هو إلا الوجه الآخر للعملة لاغترابها فى المجتمع الكبيـر، على الرغم من صغر حجم الاسرة نسبيا عن ذى قبل، وبالرغم من كثرة التغيرات القانونية والتشريعية، فى صالحها، ومن فرص التعليم والعمل التى زادت، وتحـسنت، وانفتحت أمام النساء فى القـرن الأخير. لكن الملحوظ أن هناك فرقـا واضحا بين الأدوار الاقتصادية والاجتـماعية لكل من الرجال والنسـاء، وهذا الفرق يرجع بالدرجـة الأولى إلى الاتجاهات الاجـتماعـية الغالبة، والنسق القيمى السائد فى المجتمع.

وتنعكس تلك التفرقة على علم الاجتـماع الذى ينحو إلى تبنى قيم المجتمع الأكبـر. وعلى الرغم من أن الموضوعيـة التى تمثل مسلمة أسـاسية من مـسلمات المنهج السوسيـولوجي، يمكن أن تقلل كثيرا من التحيـزات الظاهرة فى مجال علم الاجتماع، إلا أنه يبـدو أنها لم تؤثر تأثيرا عميقا فى هذا التحـيز القوى ضد المرأة وبالتالى من شعورها بالاغتراب.

وسنحاول فى هذا الجزء أن نتقصى أهم مـظاهر اغتراب المرأة فى ميدان علم الاجتمـاع، سواء كباحثة أو كـموضوع بحث، ثم نتبع ذلك بجزء آخـر نحلل فيه أهم أسبابه ودلالاته.

٢- مظاهر اغتراب المرأة فى علم الاجتماع المعاصر: استقصاء منهجى:

يتخذ اغـتراب المرأة، فى علم الاجتماع المعاصـر، مظاهر شتى، وهو يمتد من تصنيف فروعه، ومـيادينه، إلى تحديد مفهـوماته، ليتخلل أيضا مـوضوعاته ومناهج البحث التطبيقى فيها، حتى يشمل بناء أهم نظرياته ونماذجه الفكرية.

وقد تبدو موضوعات علم الاجتماع المعاصر وميادينه للوهلة الأولى منطقية، وغير متحيزة ضد المرأة، وأهمها: التدرج الاجتماعي، والنظم السياسية، والدين، والتعليم والانحراف، والاجتـماع الصناعي، والعمل، والأسرة والزواج، وهى بلا شك تمثل وصفا لمختلف مـجالات الحياة الاجتماعيـة الإنسانية. ولكننا نطرح ثلاثة أسئلة، يمكن أن نستشف من إجاباتها مدى صحة ذلك.

السـؤال الاول:

الى أى مدى يمكن القول بأن **خبرات النساء تتمثل أو تظهر حقيقة** فى دراسة مجالات الحياة هذه ؟

السـؤال الثانى:

كيف يعكس هذا التمثيل **الدور الفعلى للنساء** فى الحياة الاجتماعية؟

السـؤال الثالث:

هل لتصنيف موضوعـات علم الاجتماع، **معنى مـا، من وجهـة نظر النساء أنفسهن فى وضعهن الحالى ؟**

وتمثل هذه الأسئلة الثلاث محكات مختلفة للنظر والتدبر.

إن وضع المرأة كموضوع فى علم الاجتمـاع، يمكن أن يعطينا انطباعا **محرفا** عن واقعها الاجـتماعي. **فـالمرأة لا تمثل فى علم الاجتـماع بتـجاربهـا، وأهميـتهـا الحقيقـية بشكل واقعي،** ومـرد ذلك إلى أن هناك حاجـة لأن تتـفق صورتهـا مع الصورة **الموجهة ذكريا،** والمحددة لها سلفا فى علم الاجتماع.

ويعد ذلك التوجيه الذكرى - من وجهة نظرنا - هو المسئول الرئيسى عن اغتراب المرأة فى علم الاجتماع المعاصر بعناصره الأربعة التى ذكرناها، وهى عدم الفعالية، والخلو من المعنى، والعزلة، والغربة الذاتية.

ان ذلك التوجيه الذكري، الذى يظهر بجلاء ووضوح، فى تحديد موضوعات علم الاجتماع، إنما **يقلل من شأن المرأة**، ويفرد لها منذ البداية **مكانا جانبيا، ويجعلها دائما موضوعا هامشيا ثانويا**. ويتضح ذلك على سبيل المثال، فى أن الشغل الشاغل لعديد من السوسيولجيين كان يتبلور فى الاهتمام بالأثر التماسكى للنظم التى تمارس القوة من خلالها، مثل القانون والأنساق السياسية. . . إلخ، والملاحظ أن هذه الميادين، ميادين صراع ذكرية، فى حين ظلت المرأة دائما، وتاريخيا، بعيدة عن هذه المجالات، اللهم إلا فى بعض الحالات النادرة، وبشكل عرضى فى الغالب. ويمكن أن يقال فى هذا الصدد، أن علم الاجتماع إنما يدرس الواقع الاجتماعي، لكننا إذا تدبرنا قليلا، لا تضح لنا أن هذا التحيز ضد المرأة لا يمكن ارجاعه برمته إلى التفرقة النظمية ضد الإناث فحسب، بل إنه يرجع إلى خطة تتضمن قيما معينة.

وكدليل على رأينا سنطبق إجراء نقديا على بعض الميادين الأساسية فى علم الاجتماع المعاصر، وهى ميادين: الانحراف، والتدرج الطبقي، والقوة، والأسرة، ، والزواج، والصناعة، والعمل، ويعتمد هذا الإجراء على مؤشرين هامين:

أولهما: الرؤية السوسيولوجية للمرأة فى هذا الميدان.

ثانيهما: وجودها الاجتماعى الحقيقى والفعلى فى مجال الحياة الاجتماعية.

والمفروض أن تعكس الرؤية الاجتماعية للمرأة فى كل ميدان من ميادين علم الاجتماع المعاصر، وجودها الحقيقى ودورها الفعلى فى مجال الحياة الاجتماعية أمام عدم التطابق بين المؤشرين، فيكون دليلا على فشل علم الاجتماع فى أخذ واقع حياة المرأة وخبراتها الحقيقية فى الاعتبار. كما يعد ذلك تناقضا بين وجود المرأة فى علم الاجتماع المعاصر، وبين وجودها الاجتماعى الحقيقي، يمكن أن يتسبب فى استشعار المرأة بالاغتراب، كما يمكن أن يوحى بإعادة تصنيف

موضوعات علم الاجتماع، وميادينه بحيث تمثل كلا المنظورين، الذكرى والأنثوى على السواء.

أما بالنسبة لميدان الانحراف، فنجد أنه ليس هناك، إلا اليسير جدا، من الدراسات السيوسيولوجية الإمبريقية التى تناولت انحراف الإناث، كما نلاحظ أن معظم هذه الدراسات القليلة تركز على الجرائم الجنسية للإناث فقط. وقد تتضمن نظريات الانحراف بعض الإشارات العابرة إلى الإناث، ولكن الشائع أن يوضع تفسير السلوك الأنثوي، تحت مظلة التفسيرات التى تنطبق على السلوك الذكري، وحتى إذا كانت هناك محاولة للكشف عن الفروق بين السلوك الانحرافى لكل من الذكر والأنثي، فإننا نجد أن التفسير ينحصر فى تلك الفكرة الساذجة القائلة بأن الأدوار الجنسية للنوعين متمايزة بالضرورة.

وربما كان السبب فى قلة تمثيل المرأة فى علم اجتماع الانحراف، أنه مازال يضع التركيز كله على السلوك الإجرامي، ولما كان عدد الإناث اللائى يرتكبن جرائم أقل بكثير من عدد الذكور كان هذا سببا قبليا بدهيا فى وجود التحيز ضد الإناث.

ومما لاشك فيه أن النساء أقل انحرافا من الرجال، وذلك تبعا لمحكات مختلفة مثل أحصاءات الجريمة، ومعدلات الانتحار، والتشرد، لكن القانون والتشريع يعدان مسئولين عن بعض الانخفاض فى انحراف النساء. فهناك بعض الجرائم التى لا يمكن أن تتهم فيها النساء، مثل جرائم الجنسية المثلية، وجرائم الاغتصاب. كما أن المحاكم تعامل النساء بكثير من اللين والترفق، هذا بالإضافة إلى أن نسبة من جرائم النساء تظل غير مكتشفة لأن البوليس أكثر رفقا فى معاملتها. لكن ذلك كله لا يمنع حقيقة أن النساء أكثر امتثالا من الرجال.

والأهم من كل العوامل السابقة فى عدم تمثيل المرأة تمثيلا صادقا فى ميدان الانحراف هو أن الثقافة والأفكار الشائعة فيها عن السلوك الأنثوى تلعب دورا لا يبارى فى إخفاء انحراف النساء. ومن العجيب أن هذا الميل قد انتقل أيضا إلى السوسيولوجيين، ، الذين تمثل قيمهم انعكاسا لقيم المجتمع الأكبر، لذلك أصبحت تلك الدراسات تمثل ظاهرة الإخفاء هذه بالنسبة لانحراف الإناث. فأصبحت

دراســاتهم لا تمثل مرآة للــواقع الاجتــماعى الذى يعــيــشونه، وذلك أن الوجــود الاجتماعى للمرأة فى ميدان الانحراف كما تدلل عليه الإحصاءات أعظم بكثير من وجودها السوسيولوجى فيه.

نخلص من ذلك، الى أن الـتوجـيـه الذكـري، لميـدان الانحـراف فى علم الاجتــماع هو المسئــول عن اعاقة دراسة بعض نمــاذج السلوك النحرف لدى الاناث مثل انحراف المراهقات.

أما بالنسبة للميدان الثاني، فهـو ميدان التدرج الاجتماعي، وفى هذا الميدان نلمح داخل نظرية التدرج الاجتمــاعي، وتطبيقاتها فى البحوث الاجتــماعية، عدة افتراضات حول دور المــرأة، تسهم فى إخفائها عن مسرح الرؤية السوســيولوجية، واغترابها، رغم وجــودها الاجتماعى الذى لا شك فيه، وتــؤدى هذه الافتراضات إلى سلسلة من الفروض المرتبطة، وهى فروض يمكن اختبارها من الناحية النظرية، لكن ليس مـعنى ذلك صدقــها عــمليا، من الناحـية الإمبــريقيــة، ومن أهم هذه الفروض:

١- الأسرة هى وحدة التدرج الاجتماعي.

٢- المركز الاجتماعى للأسرة يتحدد بمركز الرجل فيها.

٣- فى حالات نادرة فقط لا يتحــدد مركز المرأة بمركز الرجل الذى ترتبط به سواء بالزواج، أو عن طريق أسرة المولد (الأسرة الأنسالية).

ويمكن أن نوجــه ثلاثة اعتراضــات على فروض نظرية التــدرج الاجتــماعى الآنفة الذكــر. فالفرض الأول لا يمكن تعــميمه، حــيث إن هناك أفرادا كثـيرين لا يعيشون فى أسر، أما بالنسبة للفرض الثانى فهو لا يصدق إلا على أساس افتراض وجــود وحدة أســرية من الرجل والمرأة وطفل أو أطفــال، يكون فــيهــا الرجل هو الكاسب الوحيــد. لكن ذلك لا ينطبق على كل الأحوال، فــهناك كثيــر من الأسر ترأسها امرأة، ولا يكون فيــها رجل على الإطلاق (فى حالة وفاة الرجل أو طلاق الأم)، أو قد تكون الأم هى الكاسبة الأساسية والرجل لا عمل له أو عمله ثانوي، لذلك فهناك عدد كبير من النــاس لا ينطبق على أسلوب حياتهم ذلك القول الفصل

بأن الأسرة هي وحدة التدرج الاجتماعي. أما الفرض الثالث فنعترض عليه بأن المرأة لا يتحدد مركزها بمركز زوجها، بصرف النظر عن مسألة الثروة فإن المرأة المتزوجة لها مصادر ذاتية وشخصية من التعليم والتدريب الوظيفي، كما أن كثيرا من المتزوجات يعملن أثناء زواجهن ويحصلن على دخل، وعلى مكانة من هذا المصدر.

وهكذا نرى أن نظرية التدرج الاجتماعى التى تنظر إلى المرأة من خلال وجودها الأسري، وتربط بين مركز الرجل كرأس الأسرة، وبين المكافأة الاجتماعية والاقتصادية التى تحصل عليها المرأة، تفشل فى إبراز دورها الحقيقي، ويخفق السوسيولوچيون فى هذا المجال فى الإجابة عن أسئلة هامة مثل: إلى أى مدى تؤثر ربة البيت فى تحديد مكانة الأسرة من خلال استهلاكها ؟ أو من خلال أدائها للأعمال المنزلية ؟ وهل ينعكس تمسك المرأة بمثل نمطية معينة فى ملبسها، ومظهرها، على تقدير الناس للمكانة الاجتماعية لأسرتها ؟ وإلى أى مدى يمكن أن تحدد المرأة سلوك زوجها ومكانته الوظيفية ؟

وكيف يمكن أن تتأثر المكانة الاجتماعية للأسرة بوظيفة كل من الزوج والزوجة فى عمل بأجر؟

لكن الثغرات الآنفة الذكر فى نظرية التدرج الاجتماعى قد لفتت انظار أنصار تحرير المرأة إلى الأخذ فى الاعتبار بالفروق بين الجنسين فى الدور، والمكانة والموارد داخل الأسرة وخارجها. كما جعلت أنصار تحرير المرأة، وبخاصة من الماركسيين يركزون الضوء على مشكلة أساسية، وهى مكان المرأة فى النسق الطبقى.

أما فيما يتعلق بميدان القوة، وهو بالضرورة مرتبط بميدان التدرج، فنجد فيه شواهد تدل على أن المرأة قد أغمطت حقها فى هذا المجال أيضا، فإن معظم التراث السوسيولوجى يظهر المرأة على أنها لا حول لها ولا قوة من خلال قيامها بأدوار الزوجة والأم، وربة البيت، مع أننا لو تعمقنا قليلا لرأينا أن هناك منافذ للقوة والتأثير فى قيامها بهذه الأدوار. فلما كانت المرأة هى المنشئة الأساسية للأطفال، فإن لها قدرة هائلة كى تؤثر فى نماذج شخصياتهم وسلوكهم. بل لقد

أظهرت الأبحاث أن حـدوث المرض بين أعضاء الأسرة مرتبط بـالعواطف الداخلية فيها، وكنتيجة منطقـية لذلك، فإن مركز المرأة المحورى والأساسى فى هذه الرابطة يوضح كـيف يمكــن أن المرأة تؤثر ليس فـقط فى صـحـة افــرادها بل أيضـا فى مرضهم[1].

وللنساء قـوة كربات بيوت، وكزوجـات، وأمهات، وأعضاء فـى المجتمع، والقوة بمعناها السوسيولوجى هى درجة السيطرة التـى يمارسها شخص أو مجموعة من الأشخاص على أفعال الآخرين. ولكن معظم الدراســات السوسيولوجية للقوة تراها من منظور تقليدى مـوجه توجيهـا ذكريا، وتركز على تحليل النظم الرســمية كـالدولة، والحكومـــة. . إلخ. بمعنى آخـر يمكن القــول بـأن مـعظم الدراســات السوسيــولوجية قد ركزت على دراسة شكل واحــد، أو نوع واحد من أنواع القوة هى القوة الرسمية، لكنها أهملت إلى حد كبير القوة غير الرسمية. وهذا النوع من القوة يظهر فى الأماكن الخـاصة، كالمنازل أكثر مما يظهر فى الأمـاكن العامة كدور الحكومة. ومن هذا المنظور يفـرق «بيتر وورسلى Peter Worsley بين نوعين من السياسة، النوع الأول: ويـختص بممارسة الإجبار فى أية علاقـة، أما النوع الثانى وهو أضيق مجـالا من الأول، فيقتـصر على ما يتعلق بالحكـومة والدولة والحزب السياسي. . إلخ[2].

وتبين دراســة «لكاتز ولازارسـفـيلد» أن **للمـرأة دورا جـوهريا فـى تشكيل القرارات اليومية المتعلقة بنماذج الاستهلاك، والموضات، والشئون العامة**، وحضور العروض السينمائيـة فى المجتمع الأوربى والأمريكى، كما وجـد أن التأثير الأنثوى كان فى قمته فيما يتعلق بقرارات الاستهلاك، لكنه كان في أقل درجاته فيما يتعلق بالشئون العامة.

---

(١) انظر:

Ann Oakley "The Family, Marriage and Its Relationship to Illness" in D. Tuckett **(ed)** The Sociology of Medicine.

(٢)

Development P. Worsley "The Distribution of Power in Industrial Society in the of Industrial Societies. Sociological, Review mono graph. No. 8, University of Keele (1964) P.17.

وإذا **كانت المرأة لم تجد مكانا خاصا فى علم الاجتماع بعامة، فإن وجودها يتأكد بالضرورة فى ملاذ واحد وهو الاسرة. ومن الملاحظ أن** القطاع الأكبر من البحوث والدراسات السوسيولوجية المتعلقة بالمرأة تركز على أدوارها كزوجة وأم وربة بيت.

إن الموضوعات الأساسية فى علم الاجتماع الأسرى يمكن حصرها فى السعادة الزوجية، وتقسيم العمل، ونماذجه بين الزوج والزوجة ودور الزوجين فى الأسرة وجمع المرأة بين العمل والزواج. وانعكاسات ذلك على علاقات الزوج - الزوجة، والأم - الطفل. كما تتناول تلك الموضوعات العلاقات الجوانية بين الأسرة النووية، وبين النسق القرابى الاكثر اتساعا. وظاهرة الزوجة الحبيسة أو الأسيرة The captive wife، ويقصد بها موقف المرأة المنعزلة اجتماعيا التى لديها أطفال صغار. وعادة ما تدرس هذه الموضوعات فى سياقها التاريخى فيهتم السوسيولوجيون فى هذا الصدد بالتغيرات التى حدثت فى نماذج الحياة الأسرية وعلاقتها بالتصنيع والتحضر.

وهناك اتفاق عام فى الرأى بين السوسيولوجيين على أنه بالمقارنة بما كان عليه الحال فى القرن التاسع عشر، فإن علاقة الزواج الحديث تتميز أنها أكثر سعادة، وأكثر اتجاها نحو المساواة، وأكثر أهمية، كما أنها أكثر معاناة لكثير من الضغوط والتوترات، بيد أن هناك نزاعا بين السوسيولوجيين فى هذا الميدان الخاص بالأسرة، حول ما إذا كانت الأسر النووية فى هذه الأيام منعزلة أم لا عن الدائرة القرابية الاكثر اتساعا. ويبدو أن هناك اتفاقا عاما على أن الأمهات الصغيرات يعانين من العزلة والوحدة أكثر مما كانت تعانيه مثيلاتهن فى القرن التاسع عشر. ولكننا نتساءل: أين النساء من ذلك كله ؟ إنهن للوهلة الأولى يظهرن على أنهن يحتللن مكانا مرموقا ومركزيا على مسرح الأسرة، ولكن بأية صورة ؟ **لعلنا نلاحظ أن اصطلاح الدور قد أصبح اصطلاحا محببا، وكثيرا ما يستخدمه السوسيولوجيون فى بحوثهم ودراستهم عن الزواج والأسرة، لكنه فى معظم الأحيان يختزل عند دراسة المرأة إلى الدور الأنثوى فقط.**

وقد ساهم المنظور التحليلى النفسى فى ذلك إسهاما فعالا، فقد أدى إلى إيجاد تعريف ضمنى للمرأة وهو الزوجة والأم، واستبعاد أى ميدان آخر لنشاطها الحياتي.

هذا بالإضافة إلى مسألة هامة لابد أن تؤخذ فى الحسبان وهى أننا نلاحظ فى علم الاجتماع الأسرى توجيها دائما نحو مشكلة اجتماعية معينة تظهر بجلاء فى عدد هائل من البحوث والدراسات عن المرأة العاملة. وقد أدى هذا التركيز على مشكلة المرأة العاملة إلى التضخيم من آثار عمل المرأة خارج المنزل ونتائجه على تربية الأبناء حتى أنهم أصبحوا يدرسون الآن، أثر اشتغال المرأة خارج المنزل على صحة أبنائها، واحتمال وجود ارتباط بين اشتغال المرأة وبين كفاية وجبات طفل ما قبل المدرسة، كما تثار أيضا مشكلة حدوث اضطراب فى نموذج خدمة المرأة المنزلية لزوجها الذى يعمل خارج المنزل، وتمثل ذلك أصدق تمثيل دراسة رائدة فى مجال علم الاجتماع الأسرى نشرت سنة ١٩٦٢ وفيها تقول «جيفكوت» Jephcott القائمة بالدراسة عن الزوجات العاملات **«ينظر الكثيرون إلى عمل المرأة على أنه تحد للمجتمع، لانه يخرج على النماذج الأصلية الراسخة للحياة الأسرية، وعلى القيم والمعتقدات التى تساندها...»**.

والغريب أنه ليست هناك تقريبا واحدة من تلك الدراسات الخاصة بالأسرة يمكننا أن نطلق عليها أنها **مركزة حول المرأة Woman-Focused** فكلها تقريبا تدرس انعكاسات عمل المرأة بمحاسنه أو بمضاره على آخرين فى الأسرة. لكنها نادرا ما تدرس انعكاسات هذا العمل على المرأة ذاتها. ولذلك فإننا نلمح كثيرا اصطلاح صراع الأدوار لكنه لا يعنى إلا نادرا ما نعنيه بالتركز حول المرأة.

ولا يتضمن أى من الانتقادات السابقة أدنى تلميح بأن الزواج والأسرة ليسا مهمين فى حياة المرأة اليوم. ولكنها تؤكد أن تلك المجالات مازالت فى حاجة إلى توجيه ونقد.

والحقيقة أننا لا نكون مغالين إذا قلنا أنه فى مجال علم الاجتماع الأسرى بالذات نجد أن المنظور السوسيولوجى للمرأة فيه يفوق بكثير وجودها الاجتماعي، وهناك دليل على ذلك، هو أن هذا الميدان من ميادين علم الاجتماع الخاص

بالزواج **والأسرة** يحظى بمكانة منخفضة إذا ما قورن بميادين علم الاجتماع الأخرى. ويرجع السبب فى انخفاض مكانة هذا الميدان إلى **انخفاض مكانة** موضوعه **الأساسى وهو المرأة**. هذا بالإضافة إلى وجود اتجاهات شائعة بين السوسيولوجيين فى النظر إلى المرأة - كموضوع أكاديمى - نظرة معينة تسهم أيضا فى انخفاض أهميتها والتقليل من شأنها.

وهناك انتقاد أخير، وهو أن السوسيولوجيين فى هذا المجال لا يشغلون أنفسهم كثيرا بالبحث عن تصنيفات أدق فى ميدان علم الاجتماع الأسرى تكون أكثر قدرة على فهم المرأة من منظورها الأنثوي. فهناك على سبيل المثال اصطلاح المنزلية Domesticity (أو الاستدجان) الذى يستخدم بمعنى فضفاض، والذى يمكن تجزئته إلى عدد من المفهومات الأكثر دقة، قبل أن نرجو أن نصنع الكثير من فهم أوجه الشبه والخلاف بين النساء فيما يختص بهذا البعد الهام. وهناك أيضا كثير من المفهومات تختفى تحت بطاقة كتب عليها الأسرة والزواج. وهى مفهومات تتعلق بميادين مختلفة مثل الجنس والأنسال، والتنشئة الاجتماعية للطفل.

أما الميدان الخامس والأخير الذى نرى فيه مظاهر جلية وواضحة، لاغتراب المرأة فى علم الاجتماع فهو ميدان **الصناعة والعمل**، لأنه الميدان الذى يتمثل فيه التناقض الواضح بين دورهن الفعلى الذى يقمن به فى البناء الوظيفي، وبين درجة تمثيلهن فى هذا المجال.

ويلاحظ أن معظم الدراسات التى تدور حول العمل ذات توجيه ذكرى وهناك ندرة ملحوظة فى دراسات علم اجتماع العمل حول الأعمال، والمهن التقليدية، التى تركزت فيها المرأة العاملة، وأهمها صناعات الغذاء، وصناعة الملابس، والصناعات الصغيرة، والأعمال الكتابية، والتدريس، والتمريض، والعمل المنزلي. وهناك ميل إلى دراسة عمل المرأة على أنه انحراف عن المعيار بمعنى أنه إذا سئلت المرأة: لماذا تعملين؟، فإن السؤال المناظر له بالنسبة للرجل هو: لماذا لا تعمل ؟

وتعزى قلة تمثيل المرأة فى هذا المجال أيضا إلى أن معظم الباحثين فى **علم** اجتماع العمل، والاجتماع الصناعي، ينتقون عينات أبحاثهم من الرجال ويخفون

ذلك تحت عناوين يفهم منـها أنها تصف العمل بـوجه عام دون التحـيز إلى جنس معين، مثل: الصحة العقلية للعامل الصناعي، والدافع إلى العمل، . . . إلخ.

ولما كان مركز المرأة فى هذا المجال من مجـالات علم الاجتماع مركزا ثانويا فانه يترتب على ذلك عدم وجود معلومات امبيريقيـة كافية لتحديد الأهمية النسبية للمرأة حسب خبراتها فى هذا المكان. ومن الجـدير بالذكر أن البحوث التقليدية فى علم اجتـماع العمل تذهب إلى أن النساء يـعملن فى الأعمال التى تتطلب مـهارة أقل، والتى تتـميز بالتكرار، كـما تتـميز بقـدر أقل من الحرية (مـقارنة بأعـمال الرجال) فالعمل بالنسبة للمرأة ليس له أهمية رئيـسية أو مركزية، أو معنى كبير إذا ما قـورن بقيمتـه بالنسبة للرجل، ذلك لأن دورهـا الأكثر أهميـة هو دور الزوجة والأم[1].

والحقيقة أنه ربما كانت هناك بعض الفروق النوعية فى الاتجاهات نحو العمل المأجور، لكـن هذه الفروق لا يمثلها أصـدق تمثيل ترديد ذلك القـول المأثور الذى يبعث على الضجر، وهو أن العمل الأساسـى للمرأة هو عملها فى الأسرة. فهناك دراسة موضوعـية رائدة، أجراها كل من «وايلد وهيل» Wild and Hill تهدم ذلك القول من أسـاسه. فقد درس هذان البـاحثان علاقـة تغير العمل بالرضـا أو عدم الرضا عن العمـل بين النساء فى صناعة الإلكترونيـات،فوجدا **أن فكرة قـدرة المرأة على تحمل العمل الرتيب الممل والمتكرر هو جـزء من الفولكلور الصناعي، وحيث كانت نسبة تغيير العمل بالنسبة للإناث لا تختلف عن مثيلتها عند الذكور، وحيث كان تغيـير العمل عند الجنسين تعبيـرا عن الفشل فى الحصول على الرضا المسـتمد من عمل ما.**

وتمدنا هذه الرحلة الاسـتكشـافيـة فى **مـجالات خـمسـة من ميـادين علم الاجتماع** ببعض الأمثلة الحيـة على وجود توجيه ذكـرى فى هذا العلم يظهر بطرق عديدة، كمـا تدلنا على كثير من أبعـاد اغتراب المرأة فى علم الاجتمـاع المعاصر، الأمر الذى يجعلنا نفكر فى منظور أنثوى يكون أكثر إفادة.

(١) انظر على سبيل المثال:

R Blauner, Alienation and Freedom, University of Chicago Press. (1964), P.81.

وهناك مجالات أخرى فى علم الاجتماع المعاصر، يظهر فيها التحيز الذكرى قويا واضحا أيضا مثل مجال مناهج البحث، ومجال النظرية فى علم الاجتماع ويظهر ذلك التحيز الذكرى بوضوح لدى «جيسى برنارد» Jessie Bernard الذى يعكس القوالب التقليدية الجامدة فى التفكير حين يفرق بين نوعين من الإجراءات فى مجال مناهج البحث فى علم الاجتماع قائلا «إن طرق البحث الأنثوية مثل الملاحظة بالمشاركة، والاستبارات العميقة القائمة على عينة صغيرة، والتركيز على المتغيرات الكيفية أكثر من الكمية» تتمتع بقدر أكاديمى وقبول أقل من نظيراتها الذكرية[١].

ومن الواضح أن هذه المجالات المتحيزة، من مجالات علم الاجتماع تحتاج إلى تعديل وإعادة تقويم، ذلك أنها تفصح عن تحيز ذكرى واضح مما يؤدى إلى تضخيم شعور المرأة بالاغتراب فى علم الاجتماع المعاصر[٢].

٣- أسباب اغتراب المرأة فى علم الاجتماع المعاصر:

عالجنا فى الجزء السابق مظاهر مختلفة لاغتراب المرأة فى علم الاجتماع كما تبدت فى ميادينه المختلفة، وفى هذا **الجزء نحاول تقصى الاسباب التى نراها مسئولة عن ذلك الاغتراب بأوجهه المختلفة**، وأهم تلك الأسباب فى رأينا تتبلور فى الثلاثة الآتية: **طبيعة أصول علم الاجتماع، وجنس المشتغلين به، وأيديولوجية الأدوار النوعية**. وسنعالج بالتفصيل هذه الأسباب كل على حدة.

أولا: الرواد الأوائل، وطبيعة أصول علم الاجتماع:

يمثل القرن التاسع عشر فى الثقافة الأوربية الأمريكية إحدى الفترات التاريخية التى كانت تعانى فيها المرأة أشد حالات القهر والظلم والاضطهاد، فمن

(١)

J. Bernard, "My Four Revolutions, An Autobiographical History of the A.S.A. American Journal of Sociology (1973) 78, PP.773-910.

(٢) انظر فى ذلك:

H.M., Hughes (ed) The Status of Women in Sociology, 1968-1972. Amer. Soci. Assoc. 1973.

الناحيـة النظمية كانت النـساء محرومـات من معظم الحريات الفردية، والحـقوق، والمسئولـيات، أما من الناحيـة الايديولوجية، فلم يكن أكثـر من ملك منقول، أو عبيد، أو حلى تجميلية (ويتـوقف هذا أو ذاك على وضعهن الطبقي). وقد واكبت هذه الفترة أيضا المرحلة التى وضعت فيهـا دعامات علم الاجتماع. لذلك فإن من يطلق عليهم آباء علم الاجتماع المؤسـسون، أو رواده الأوائل، إنما عاشوا وكتبوا ما كتبوا فى ظل عصر يتميز بالتحيز الشديد ضد الإناث.

ومن بين خمسـة من هؤلاء الآباء المؤسسين أو الرواد الأوائل وهم: كونت، وماركس، وسبنسر، ودور كايم، وڤيبر - نجد أننا نسـتطيع أن نقول أن اثنين منهم فقط وهـم «ماركس» (١٨١٨ - ١٨٨٣)، و«ڤيبر» (١٨٦٤ - ١٩٢٠) قد كـانت لهما آراء يمكن أن نطلق عليـها أنها آراء تحررية عن المرأة، فقد قـدم ماركس تحليلا للزواج على أنه عبـودية أنثوية Female domestic slavery على الرغـم من أنه كان فى الواقع شخصا أقرب إلى الدفاع عن الرومانسية [1]. أما «ڤيبر» فقد ناقش فكرة مساواة الجنسين داخل نظام الزواج [2].

وبالنسبة **لاوجيست كونت** Auguste Comte (١٧٩٨-١٨٥٧) فقـد كان متحيزا ضد المرأة بشكل عقائدي، وقـد ظهرت فلسفته عن المرأة بوضوح شديد فى يوتوبينه، الخطة الوضعيـة للإصلاح الاجتماعى Positivist scheme of social reconstruction ، فكل طبقة اجتـماعية ما عدا النساء كـانت توضع على مقياس تدريجى من الأهميـة، والتخصص الوظيـفي. أما النساء فكانت علـيهن مسئـولية الأخلاقيات المنزلية Domestic Morality وكان تأثيرهن الأخـلاقى يدعم بقاعدة الزواج المونوجامى الذى لا تنفـصم عراه. وأخيرا تبلور اتجاهه الفكرى فى اعـتقاده

---

(١)
H. Draper, "Marx, Engels and Women's Liberation Female Liberation" (1971),

(٢)
A. Mitzman, The Iron Cage. A Historical Interpretation of Max Weber. New York Knopf (1970) P.279.

بالنقص الخلقى والتكوينـى للمرأة التى اعـتقد كـونت أن نضجـها قـد توقف عند مرحلة(*) الطفولة (١).

أما «**هربرت سبنسر**» (١٨٢٠-١٩٠٣) Herbert Spencer فقـد رفض أن يكون الزواج نظامـا غيـر متكافئ، ونـادى بأن المرأة ينبغى أن تكون لهـا حقـوق مساوية تمكنهـا من منافسة الرجال. ولكنه فى كتـاباته الأخيرة، نقض هذا الرأي، وأعلن أنه «إذا فهمت المرأة كل ما يحتويه العالم المنزلى لما رضيت عنه بديلا» (٢).

أما المنظور الذى كان ينظر به **دوركايم** (١٨٥٨-١٩١٧) إلى المرأة فقد حدده المذهب البيـولوجي، وكان يرى أن المرأة تنتمـى بطبيعتـها إلى الأسرة، وقـد كان تحليله لبناء الأسرة النووية الحديثـة مبنيا على وجهة نظر ذكريـة. فقد كان يرى أنه من الضرورى أن ينغمس الرجل فى عـمله من خلال تكوين جماعات وظيـفية أو مهنية لأن استـغراقه فى الأسرة وانهماكه فيـها لا يمدها بأساس أخلاقى سليم لكى يمكنها أن تبـقى وتستمر، فلابد أن يصـبح الرجال تدريجيا مـرتبطين كل الارتباط بمهنهم ووظائفهم بدلا من الاهتـمام بواجباتهم المنزلـية. وفى الوقت نفسه تسـتمر الأسرة، وهى مملكة المرأة فى كونها مركز التـربية الأخلاقية والأمان العاطفى (٣). وقد كان **دور كايم** يطبق هذه العقيدة فى حياته الخاصة.

والحقيـقة أن الأعمال والمنجـزات العقلية العظيمـة لهؤلاء الرواد الأوائل قد ارتكزت بطريقة شخصية على أساس من الاضطهاد المنزلى للمرأة. وربما كان زواج **ڤيبر** هو الاستثناء الوحيد من هذه القـاعدة؛ فقد كانت «ماريان ڤيبر» Marianne Weber نصيرة للمرأة، وكاتبة تدافع عن حقـوقها. أما «هربرت سبنسر» فلم يكن

(*) يمكن الاعـتراض على ذلك بـأن كونت لم يكن سليـم القوى العـقلية تمـاما، عندمـا صنع هذا التدرج، وعلى أية حال فإن موقفه تجاه المرأة فيه مـتسق مع موقفه إزاءها كما عبر عنه فى مواضع أخرى من كتاباته المؤلفة.

(١)

Quoted by J. and H. Schwendinger "Sociology, Founding Fathers : Sexists to a man", Journal of Marriage and the Family (1971),3, P.784.

(٢) انظر المرجع رقم ٢ فى الصفحة السابقة.

(3) Quoted in S. Lukes, Emile Durkheim : His Life and Work, London, Allen Lane (1973) P.185.

متزوجا. وبالنسبة لكونت فقد قيل أن زوجته التى اختارها لم تكن أكثر من وسيلة سريعة لإرضاء نزعاته الجنسية الفجة [1]. ، أما جينى Jenny زوجة ماركس فهى تمثل ذلك النمـوذج الأزلى من الزوجات الذى كـان وسيظل دائمـا، فقـد كرست نفسها، ووهبت حياتها لزوجها ماركس، زوجة وشريكة وصديقة ومعينة. وقد كان زواجهما سعيدا فقد أحبـت زوجها وأعجبت به ووثقت فيه، وكانت تحت سيطرته سواء من الناحية الفكرية، أو العاطفية. وقد اعتمد عليها دون تردد فى وقت الشدة والمحنة. وظل ماركس طوال حياته فخورا بزوجته. وبجمالها، وأصلها، وذكائها، وفى سنيه الأخيرة أبدت شجاعة ملحوظة حين كانا يعانيان من الفقر المدقع جعلتها تنجح فى الحفـاظ على أسرتها، وبيتـها، مما كان له أثر فعَّال فـى أن يمكن زوجها ماركس من مواصلة عمله وإنتاجه[٢].

أما زواج **دوركايم** فلم يمكن أن يكون اسعد مما كان عليـه، سواء من الناحية الشخـصية، أو من حـيث تهيئـة فرص العمل له، فـقد كان مـثله المنزلى الأعلى الموجود فى كتاباته (وحيث كانت الأسـرة أحب موضوعات البحث والمحاضرة إلى نفسه)، متمثلا فى حياته الأسرية المنزلية. فقد هيأت له زوجته كل ما يكفل له الجو العائلى الهادف الذى كـان يعتبره أهم ضـمان للحياة والأخلاق. كـما حملت عنه كل الأعباء التافهة، والمادية.

ولعل هذه الملاحظات ترسم صورة للأدوار المنعزلة التى كان يمارسها كل من ماركس ودور كـايم فى علاقتهـما الزواجية. أمـا من حيث السعادة الزوجـية التى خلفها كل منهما فهو ما يمكن أن نناقـشه فى سهولة. فقد عانت جينى ماركس فى أوقات من البـؤس والشدة. أما دور كايم فـقد كان رجـلا متزمتـا، وكان له نظام صارم، كما كان يرفض التحدث إلى أفراد أسرته إلا أثناء تناول الوجبات.

والملاحظ أن التحيز المنزلى ضد المرأة، لا يبيح التحيز فى الأمور العامة على الرغم من أن أحداهما قـد يكون دليلا على الآخر لكن أهمية ذلك تتـضخم لتعنى

(1) H. Becker and H.E. Barnes Social Thought From Lore to Science. Washington, Harren Press 1952 P.570.

(2) I. Berlin, Karl Marx : His Life and Environment Oxford University Press (1939) PP.78-79.

الكثير عندما تؤثر فى تخطيط اهتمامات وميول وطرق تحليل فرع أكاديمى جديد من فروع المعرفة. لقد أرسى الرواد الأوائل دعائم عدد من التقاليد كانت مسئولة عن تشكيل مكانة المرأة فى علم الاجتماع. **وتضمن ذلك اختزال بيولوجى Biological reductionism للأدوار النوعية للجنسين بحيث تنتمى المرأة إلى الأسرة فقط. وليس إلى أى مجال آخر إلا بصعوبة. كما تضمن تحليلا وظيفيا للأسرة وصلاتها ببقية المجتمع.**

هذا بالإضافة إلى أن المدرسة الأمريكية فى علم الاجتماع كانت هى الأخرى متحيزة ضد المرأة، وهذه نتيجة طبيعية، ذلك أنها تسلمت المشعل من الرواد الأوائل، وتأثرت بهم. لذا نجد أن «لستروورد» Lesterward، وتوماس W.I. Thomas قد تأثرت أفكارهما بكونت وسبنسر ثم طوراها بعقيدتهما البيولوجية، وأفكارهما الاجتماعية عن مركز المرأة. وقد كانت هذه الأفكار هى المسئولة عن وجود ذلك الاضطهاد النوعي، والعنصري، والطبقى الذى ظهر فى أمريكا مع أوائل هذا القرن، فى فلسفة تنادى بحرية العلاقات الاجتماعية، وتوجيهها نحو المنفعة القصوى[1].

ثانياً: علم الاجتماع مهنة رجال:

يلاحظ «رايت ميلز» فى مقالته النقدية «الأيديولوجيا التخصصية للأمراض الاجتماعية» أنه إذا لقى أعضاء مهنة أكاديمية معينة تدعيما وتعزيزا من سياق سوسيولوجى آخر، وكانت خلفياتهم، ومهنهم متماثلة تقريبا، فإن هناك ميلا كبيرا لديهم لكى يتحدوا نحو تحقيق هدف مشترك معين، وهذا ينطبق على مؤسسى علم الاجتماع منذ البداية وعلى خصائص المتخصصين فيه والعاملين فى مجاله بعد ذلك، رغم أن «رايت ميلز» لم يكن يقصد بهذا الكلام أن يطبقه على موقف السوسيولوجيين من علم الاجتماع والمتخصصين فيه فيما يتعلق بمسألة الفروق بين الجنسين، والتحيز لجنس دون الآخر.

والمشاهد الآن، ومن واقع تقارير أمريكية وإنجليزية أن مكانة المرأة فى علم الاجتماع حتى الآن مكانة مهزوزة لا تحسد عليها، ففى ٨٥٪ من أقسام الاجتماع

(١) انظر شويندجر، المصدر السابق، المكان نفسه.

توجد امرأة واحدة. وتفصح البيانات والتقارير عن وجود تحيز تدريجي واضح ضد الاناث. فهناك ٥٪ من الاساتذة من الاناث، بينما يرتفع ذلك الى نسبة ١٦٪ من الاساتذة المساعدين، ٣٠٪ من المدرسات من الانـاث. كما توضح تلك التقارير التمثيل المنخفض للمرأة فى المطبوعات السوسيولوجية وفى مراكز التحرير المختلفة للمجلات العلميـة العالمية. وهذه الحقائق **تتمشى مع رسالة التحيـز ضد المرأة فى علم الاجتماع والتى يتسلمها الخلف من السلف فى علم الاجتماع المعاصر**[١].

ثالثاً: أيديولوجية التفرقة بين الذكورة والأنوثة:

تعنى كلمة الأيديولوجيـة فى هذا المقال، مجموعة من الأفكار والمعتقدات المرتبطة ارتباطا وثيقا، التى تميز مجموعـة أو جماعة أو قوما بعينهم. ومن الغريب أن التقارير حول مكانة المرأة فى علم الاجتمـاع الأمريكى قد أثبتت أن كثيرا من علماء الاجتـماع الأكفاء قد هجروا المواقف الإمـبريقية، واعتمـدوا على الأساطير الفلكورية والمعتقدات الخاطئة الجامدة، ومنهـا التحيز ضد المرأة فى علم الاجتماع. وهذه الأيديولوجيـة تدعم للأسف البناء التقليدى لعلم الاجـتماع كمـا تفعل ببناء الحياة الاجتماعية. فالافتراضات الضمنية حول ما تفعله المرأة، وما يجب أن تفعله تكون معظم موضوعات علم الاجتماع، وقد رأينا **كيف أدى التقليل من شأن أنماط القوة الأنثوية فى الأسرة ووصـفها بأنها عارضة وتافهة إلى أن يتـجه علم الاجتماع السياسى اتجاها وحيدا فى فحص الشكل الرسمى فقط من أنساق السيطرة والقهر.**

خاتمة:

يتضح مـن بحثنا عن اغتـراب المرأة فى علم الاجتـماع المعـاصر، بجـوانبه الأربعة التى بينـاها، وشرحنا أهم أبعادها، أن المرأة تعـانى فى علم الاجتـماع من اغتراب يتبلور فى شعورها بعدم الفعالية، وبخلو ما تقوم به من سلوك من معنى، كما أنها تستشعر العـزلة والغربة الذاتية، وهذا يصدق على المرأة فى علم الاجتماع بوجه عام سواء كباحثة أو كموضوع بحث.

---

(١) انظر هيوز، المصدر السابق، الصفحات نفسها.

وانظر ايضا:

Tessa Blackstone, and Oliver Fulton, Sex-discrimination.

وقد لاحظنا أن هذا الاغتراب قد ظهر واضحا جليا فى ميادين مختلفة كثيرة من علم الاجتماع كميدان الانحراف وميدان العمل، وميدان القوة وميدان الزواج والأسرة، وميدان التدرج الاجتماعي، والطبقات.. إلخ. كما لاحظنا أن مرد هذا الاغتراب هو التوجيه الذكرى بمعنى التركيز على أنشطة الذكور، واهتمامتهم فى مجتمع متمايز من حيث الذكورة والأنوثة، حيث يتناقض فيه الوضع الاجتماعى للرجل، إلى حد كبير مع الوضع الاجتماعى للمرأة، وحيث يخلع النسق القيمى السائد فى المجتمعات الصناعية الحديثة على الأدوار الذكرية أهمية وقدرا أعظم مما يفعله بالنسبة للأدوار الأنثوية.

وفى استقصائنا لأسباب اغتراب المرأة، ولجذور ذلك التوجيه الذكرى فى علم الاجتماع، توصلنا إلى اختزالها فى ثلاثة أسباب أساسية، هى طبيعة أصول علم الاجتماع، وجنس المشتغلين به، وأيديولوچية الأدوار النوعية.

وننهى بحثنا هذا بفرض، مؤداه أن وضع المرأة المعاصر كموضوع وكباحثة فى علم الاجتماع، لا يعطينا صورة صادقة لدور المرأة، وأهميتها، وحجم تجاربها، بل إنه يقلل من شأنها، ويفرد لها منذ البداية مكانا جانبيا، ويجعلها غالبا موضوعا هامشيا وثانويا، ويخلق تناقضا بين وجودها الاجتماعى الحقيقي، ووجودها السوسيولوچى من خلال علم الاجتماع.

ونحن نرى أن التصنيف الحالى لموضوعات علم الاجتماع لا يعنى الكثير من وجهة نظر النساء فى وضعهن الحالي، **لأن هذه الموضوعات تحتاج إلى تعديل، وإعادة تقويم، ينهض على أساس الرجوع إلى المرأة نفسها، لتصبح موضوعات علم الاجتماع ممثلة حقيقية وواقعية لكل من المنظورين الذكرى والأنثوى على السواء.**

المـــراجع

أولا: مراجع باللغة العربية:

١ - دكتور محمود رجب، الاغتراب: دراسة فى أزمة الإنسان القاهرة، دار الكتب الجامعية، ١٩٧٤.

٢- معجم العلوم الاجتماعية، تصدير ومراجعة دكتور إبراهيم بيومى مدكور، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥.

ثانيا: مراجع أجنبية:

1- Adorno T.W. et al ., The Authoritarian Personality , New Yourk, Harper 1950 .

2- Becker , H., and Barnes H.E., Social Thought from Lore to science. Washington , Harren Press , 1952.

3- Berlin I., Karl Marx : His Life and Environment . Oxford University Press, 1939 .

4- Bernard , J., "My Four Revolutions", An Autobiographical History of the Amer. Soc. Assoc., American Jounrnal of Sociology, 1943 .

5- Blauner , R., Alienation and Freedom , Chicago , University of Chicago Press , 1964 .

6- Cantril , Hadley , The Psychology of Social Movements , N.Y. Wiley , 1941 .

7-Draper H. "Marx , Engels and Women's Liberation " Female Liberation (1971) .

8- Fromm Erich , The Sane Society. N.Y. Rinehart , 1955 .

9- Gerth H.H. & Mills C.W., From Max Weber , Essayes in Sociology , N.Y. Oxford 1946 .

10-Hughes, H.M., (ed) The Status of Women in Sociology 1968-1972. Amer . Soci. assoc . 1973 .

11-James W.H., & Rotter J.B., " Partial and One hundred percent Reinforcement under Chance and Skill Conditions' Journal of Experimental Psychology 55. (May 1958) .

12-Lukes, S., Emile Durkheim : His Life and Work., London, Allen Lane , 1973 .

13- Mannheim Karl , Man and Society in an Age of Reconstrunction, N.Y., Harcourt , Braco, 1940 .

14-Mitzman A., The Iron Cage : AHistorical Interpretation of Max Weber. New York , Knopf ; 1970 .

15-Oakley , Ann , " The Family , Marriage , and Its Relationship to Illness " in D. Tuckett (ed) The Sociology of Medicine , London , Tavistock . 1973 .

16-Rieman, The Lonely Crowd , New Haven , Yale University Press, 1950 .

17-Schwendinger J.H., " Sociology Founding Fathers : Sexists to a Man , Journal of Marriage and the Family (1971).

18- Will R. & Hill A.B., Women in the Factory : A Study of Job Satisfaction and Labour Turnover London , Institute of Personal Management , 1970 .

19- Worsley P., " The Distribution of power in Indusrial Society , in the Development of Industrial Societies" Sociological Review Monograph . No . 8. University of Keele (1964) .

* * *

الفصل الثانى

دور المرأة فى المجتمع المصرى الحديث(*)

تمهيد:

ليس من السهل تناول دور المرأة فى المجتمع المصرى الحديث، لأن التنمية الاجتماعية التى بدأت فيه منذ أواخر القرن التاسع عشر، وسارت فى خطوات وئيدة أحيانا، وسريعة أحيانا أخرى، لم تحدث فى كل جنباته بدرجة واحدة، ولا بإيقاع واحد. ويكفى ما نلحظه من تباين ظاهر واختلاف واضح فى أسلوب الحياة الاجتماعية بين المناطق الريفية من جهة، وبين المناطق الحضرية من جهة أخرى. فثقافة الجماعات الريفية تتناقض إلى حد كبير مع الثقافة السائدة فى المجتمعات الحضرية.

ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن المجتمعات الحضرية فى مصر أى المدن الكبيرة وعلى رأسها القاهرة والإسكندرية، سنرى فى داخلها ثلاثة أنواع من الثقافة وفق المناطق المختلفة فى المدينة. فهناك مناطق مغلقة تسود فيها ثقافة ريفية تكاد تكون خالصة، وعلى النقيض منها، هناك مناطق مفتوحة تسود فيها ثقافة عصرية. وهناك مناطق ثالثة بين بين تسود فيها ثقافة ريفية - حضرية، أى تجمع فى كثير من القيم والمعتقدات، والعادات، والتقاليد التى تسود فى الريف، وبين كثير أيضا من العناصر المادية التى تكون جزءا بارزا من الثقافة الحضرية.

وعند تناول أى نظام اجتماعى فى مصر فى العصر الحديث. لابد أن يضع الباحث فى اعتباره الاختلافات الكبيرة التى أشرنا اليها آنفا بين الريف والحضر من

(*) بحث نشر فى المجلة الاجتماعية القومية المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، المجلد الثانى عشر، العدد الثانى والثالث سبتمبر، ١٩٧٥.

جهة وبين المناطق المختلفة فى المدن الكبيرة من جهة أخرى، فعلى هذا الأساس فقط تكون نظرة الباحث عميقة مستوعبة ويكون تحليله دقيقا وشاملا.

وترى الكاتبة بادئ ذى بدء، أن تحدد تحليلها لدور المرأة فى المجتمع المصرى الحديث، فتناوله من منظورين أحدهما ريفى تقليدى يسير فى تنمية بطيئة أشد البطء والآخر حضرى حديث، يسير فى تنمية سريعة أحيانا، وطفرية أحيانا أخرى.

دور المرأة فى الجماعات الريفية التقليدية (*)

المرأة فى الجماعات الريفية التقليدية، كثيرة الذرية، تحمل القسط الأكبر من تنشئة الأطفال الاجتماعية منذ سن مبكرة. وهى بالإضافة إلى ذلك ذات دور بارز فى اقتصاديات الأسرة، فهى عاملة، ومشرفة ومدبرة ومسئولة عن جعل البيت فى حالة مستديمة وثابتة من الاكتفاء الذاتى لا ينقصه شيء من المئونة والمطالب التى تحتاجها الأسرة على مر فصول السنة.

والأسرة فى هذا الإطار الاجتماعى التقليدى معمل بدائي، تجرى فيه صناعة الأغذية وفى مقدمتها الخبز، وصناعة الملابس التى يحتاجها أفراد الأسرة، وبخاصة الإناث وتنظيف وغسل الملابس، وعمل مواد زينة النساء والقيام بعمليات تجميل المتزوجات منهن، ومن هن على أهبة الزواج من الفتيات. هذا فضلا عن تربية الدواجن، وبعض الحيوان للإفادة من نتاجها، ولحومها، وصنع مستخرجات الألبان، وهذه كلها أعمال تضطلع المرأة بها، وفق ما تمليه التقاليد. وإذا ارتأى رب الأسرة أن يمارس فى بيته صناعة من الصناعات التى تعد من اختصاص الرجال اساسا، فإن زوجته وبناته كن، فى حالات كثيرة، يساعدنه فى العمليات السهلة التى يستطعن القيام بها. لأنه لم يتصور فى هذا الإطار الاجتماعى المبسط للحياة، أن تقبع المرأة فى بيتها دون عمل أو حركة، وبذلك تعرض نفسها لمفاسد التعطل التى سرعان ما توقعها فى حبائل الشيطان.

فالمرأة فى أية مرحلة من مراحل حياتها، التى تستطيع فيها العمل بأى شكل، وعلى أية صورة خادمة البيت سواء كان ذلك فى بيت أبيها، أم بيت زوجها. وحتى

(*) الجماعات الريفية هنا ترجمة لمصطلح Rural Communities

فى حالة ترملها، أو طلاقها أو انفصالها عن زوجها لفترة من الوقت، فإنها تعود إلى بيت أبيها لتخدم فيه مهما كانت سنها، ومهما كان عدد أطفالها. فهى تربى وتنشىء، متشربة بهذه القيم والأفكار. وهى تكبر فتجد أمها واخوتها وقريباتها الكبيرات على هذا الحال فتألف ذلك وتتعود عليه شيئا فشيئا، حتى إنه ليصبح طبيعة ثانية لها. فهى تتزوج لتخدم زوجها وبيتها. وتعبر الأمثال الشعبية، فى الثقافة الريفية، عن أهمية المهارة فى الخدمة المنزلية بالنسبة للمرأة، فيقولون «لقمة الراجل مقمَّرة ما تأكلها إلا المشمَّرة»، ويقولون «بنت فلان، نار وشرار»، «وقلبها حامي» أى أنها سريعة فى العمل.

وتأتى بعد المهارة فى قائمة الصفات المرغوب فيها فى المرأة الريفية، الأخلاق الفاضلة مثل الطاعة، والهدوء، والوداعة. وهذه الصفات الثلاث الأخيرة ذات قيمة عالية لدى الرجل، وبالنسبة لتقييم المرأة الريفية، وهذا أمر منطقى جدا، لأنه منسجم كل الانسجام مع الأوضاع، والنظم التى تسيطر على طريقة الحياة وأسلوب المعاملات فى الريف.

ومن الصفات ذات الوزن الكبير أيضا فى نظر الريفيين أن تكون المرأة صغيرة السن. ويعلل الريفيون تمسكهم بهذه القيمة بالنسبة للمرأة حين يفكرون فى اختيارها زوجة، بأن ذلك يسهل السيطرة عليها ويجعلها أسلس قيادا لزوجها مما لو كانت كبيرة.

ويجد الرجل القروى الأمان والأطمئنان فى التمسك بالعصبية، وهو لا يجب ان يفخر بأصله وحسبه فقط، بل يجب أن يفخر أيضا بأصل من يصاهره وبحسبه ومكانته الاجتماعية، ولذلك تفضل الخطيبة فى الريف، إذا كان لها «رجالة بارزون مرموقون».

ومن العوامل المهمة أيضا، فى اختيار المرأة الريفية كزوجة، وما تملكه أو ما سوف ترثه، من أرض، أو عقار، وحلي، حتى تستطيع أن تساعد زوجها فى حياته المعيشية، فالملاحظ فى الريف أن ما تملكه الزوجة يستطيع الزوج أن يتصرف فيه، وتعتبر الزوجة نفسها وما تملكه ملكا لزوجها.

أما خصوبة الخطيبة، واستعدادها للإنجاب، فهو أمل كل رجل يعيش في الثقافة الريفية، هذا إلى جانب جمال الفتاة، وإن كانت هذه الصفة لا تتمتع بمركز الصدارة مثل الصفات السابقة.

التحليل الاجتماعى لدور المرأة فى الثقافة التقليدية الريفية:

إذا ما وضعنا دور المرأة فى الثقافة الريفية التقليدية. تحت الفحص الاجتماعى العلمى بهدف تحليله وتحديد أهم مظاهره وأبعاده، لابد لنا بادئ ذى بدء من تحديد مفهومى **الذكورة والأنوثة فى تلك الثقافة**.

فالذكورة فى الثقافة التقليدية تعنى القوة، والسطوة، والسيطرة والسيادة. أما **الأنوثة** فتعنى الضعف، والخضوع، والطاعة والاستسلام لسيطرة الرجل.

إن «الدور المعياري» للمرأة فى التصور التقليدى لها، هو - كما رأينا - دور التابعة الضعيفة المقهورة المسحوقة، أمام دور الرجل المسيطر القادر، السيد.

إن المرأة تعمل من أجل الرجل، وتخدم من أجل الرجل، وتملك من أجل الرجل وتفضل إذا كان لها «رجالة» بارزون أى أنها تدور دائما فى فلك «رجولى».

وإذا ما حللنا **علاقات القوة**[1] **بين الرجل** [2] **والمرأة فى الثقافة الريفية التقليدية** لوجدنا أن المرأة الريفية ضعيفة بوجه عام، فهى «مكسورة الجناح» على حد قولهم، تابعة لا حول ولا قوة لها مقابل الرجل الذى تعطيه تلك الثقافة السيطرة والحرية.فهو السيد ذو السيطرة القوية، وهو كل شيء فى حياة المرأة، وحياتها بدون الرجل لاقيمة لها لأنها لا تكتسب قيمتها الاجتماعية إلا من خلاله، ولا يقيمها الناس إلا بعلاقتها به، وتقول الأمثال فى ذلك «ضل راجل ولا ضل حيط» و«اللى يقول لمراته يا هانم يقابلوها ع السلالم» أى أن المرأة الريفية تكتسب قدرا كبيرا من القوة بانتسابها إلى الرجل.

---

(١) تقصد الكاتبة بالقوة حصيلة جمع مجموعة من الصفات تعنى السيطرة، والسيادة، والتعبير عن الرأى ونفاذ الكلمة وهى باختصار القدرة الظاهرة أو الكامنة لدى كل من الطرفين للتأثير على سلوك الآخر.

(٢) علاقات القوة: اصطلاح وضعته الكاتبة ليعبر عمن يسيطر ومن يخضع ومن يتخذ القرار ومن ينفذ القرار، ومن له الكلمة النافذة، والكلمة الأخيرة ومن تكون له القيادة والرئاسة.

ورغم تسليمنا بأن المرأة الريفية ضعيفة بوجه عام، الا أننا نلاحظ أنها تملك عناصر قوة محدودة وكامنة، تظهر بوضوح عندما تخطب، وتتزوج وترتبط بالرجل. ولهذا ينشأ **عن الموقف العام لدور المرأة فى الثقافة التقليدية موقفان متناقضان**. الأول موقف أهل الزوج الذين يريدون أن تظل ابنتهم مستضعفة مهما كانت تملك من عناصر قوة مستجلبة أى أنهم يشجعون أن تبقى المرأة ضعيفة.

الثاني: موقف أهل الزوجة، الذين يشجعون ابنتهم على أن تظهر عناصر قوتها الكامنة ونسبها، حفاظا على كيانها لدى زوجها، وكيان أسرتها الجديدة.

وعناصر القوة المحدودة، لدى الزوجة الريفية تتلخص في:

١- جاه أهلها أى عصبيتهم.

٢- ممتلكاتها مالا وعقارا.

٣- ذريتها وبخاصة الذكور.

ويلاحظ أن عناصر قوة المرأة فى الثقافة الريفية التقليدية، يشوبها كثير من عدم الوضوح وعدم التحديد، لأن تلك الصورة التى استخلصناها، والمتعلقة بعناصر قوتها الكامنة والمحدودة، إنما تنطبق فقط على تلك الطبقة الريفية المتميزة بما تملك سواء من ناحية الذكور، أو من ناحية الإناث. أما بالنسبة للسواد الأعظم من أهل الريف وهم الطبقة الفقيرة الكادحة، **فإن صورة القوة عندهم مختلفة، لأن علاقات القوة بينهم مختلفة أيضا، فالمرأة فى هذه الطبقة أكثر كدحا من الرجل، وبالتالى فهى أقل مكانة من الرجل، فبينما وقت الرجل فى الريف، فى هذه الطبقة الكادحة، يوزع بين عمالة قصيرة متكررة وبطالة طويلة متكررة أيضا، فإن المرأة على العكس منه لا تنعم بالراحة قط، إذ إن وقتها مشغول بشتى الأعمال المنزلية، ورعاية الأطفال، وتربية الدواجن والأغنام، هذا فضلا عن مساعدتها لزوجها فى الفلاحة فى كثير من الأحيان.**

وفى هذا الإطار من الحياة الكادحة تزيد وطأة استعباد الرجل للمرأة، وتنكمش قوتها النسبية حيث تتبلور فقط فى كونها منجبة ونافعة للرجل فى بيته، إلا أن هوة القوة [1] التى تفصل بين قوة الرجال الكادحين وقوة النساء الكادحات

(١) هوة القوة: اصطلاح وضعته الكاتبة ليعبر عما يلاحظ من تفاوت بين الرجل والمرأة من حيث المركز، والمكانة، والتأثير.

تكون أكثر اتســاعا منها بين قوة الرجال المالكين، وقوة النســاء المالكات فى الطبقة الميسورة المستريحة فى الريف.

اتساق دور المرأة فى الثقافة التقليدية ومطابقته [1]:

من الأهمية بمكان، ونحن نحـلل دور المرأة فى الثقافة التقليـدية فى المجتمع المصرى الحديث تحليلا اجتمـاعيا وثقافيا. أن نعرف **أن الدور المعيارى لهـا كامرأة، وزوجة، وأم، أى الدور الذى يتوقعه منها المجتمع وينتظر منها القيام به، يتفق اتفاقا كبيـرا، إن لم يكن يتطابق مع دورها الفعلي**، أى ما تقوم به فـعلا وتؤديه،ولهذا لا تجد المرأة الريفـية فى الثقافـة المصرية التقليـدية، فى نفسها أى صـراع بين المتوقع والمتحقق ولا تستشعر فى أدائها لدورها أدنى مشاعر الاغتراب.

إن الرجل كـامل الإرادة والسيطرة، وإن المرأة أدنى منه، وأقل فى إرادتـها، وقدرتها وأن حياتها تعتمد عليه، وأنه سيدها، وما هى إلا خادمة له.

وعلى هذا النحو من التدريب والتعويد، وغـرس الأفكار، تنشأ الفتاة، وقد تشربت تشـربا وتمثلت تمثلا الإيمان بقـيمـة الطاعة، وبذلك لا تشـعر بأى لون من التأفف، ولا بأى نوع من الغـضاضة، من سيادة زوجـها عليها، ومن طاعـتها له ولأهله، بل إن الغـالبيـة العظمى من النسـاء أنفسـهن يكرهن سلوك المرأة القـوية الشخصية التى تكثر من الاعتراض والمناقشة، ويصفنها بأنها «مناقرة» **وإذا انقاد لها زوجها**، فإن ذلك يقلل من قيمته،إذ يعد هذ الانقياد للزوجة «منقصة» **لأنه ينتقص** من رجولته ومكانته، ومنزلته بين الرجال. **ولذلك كثيرا ما يتهكمون عليه بعبارات مؤلمة**، كقولهم «دا راجل ختتى ونى» أو دا راجل مالوش قيمة/راكباه مراته»[2]. **بل يكفينا فى النهـاية لنعرف قيـمة الوعى بمركز الرجل وسـيطرته وسيادته فى الثقـافة الريفية اذا ما قورن بمركز المرأة الأدنى فى كل ذلك، أن نعرف أن اسوأ اهانة توجه** لرجل فى ظل الثقافة الريفية التقليدية وصفه بأنه «امرأة».

ونستخلص من كل تلك الملاحظات، أن أسـاليب المعيشة فى الثقافـة الريفية التقليدية هى التى تحدد نماذج السلوك والقيم المتصلة بها، وهى لا ترضى عن المرأة

---

(١) **اتساق الدور ومطابقـته**: Role Congeruency اصطلاح يطـلق للدلالة على ذلـك الموقف الذى يدرك فيه الفاعل كشاغل لمركز أن توقعاته هى نفس توقعات المجموعة بالنسبة له. (الكاتبة).

(٢) أنظر: فوزية دياب، **القيم والعادات الاجتماعية**، ص ٢٥٨.

إلا إذا كانت مطيعة لزوجها، وتحت سيادته، ومنقادة إليه، كما لا ترضى عن الرجل إلا إذا كان مسيطرا على زوجته، وسيدا لها.

المرأة فى المجتمع المصرى الحديث: نظرة عامة

إذا حاولنا أن نلقى مزيدا من الضوء على ما حدث من تغير على دور المرأة المصرية، ومكانتها ومركزها فى العصر الحديث، لابد أن نحدد - ابتداء - المدى الزمنى لمفهوم كلمة «العصر الحديث»، وقد قصرناه على السنوات التى مرت منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى الآن. وقد رأينا أن خير وسيلة لإيضاح عملية التغيير الشامل الذى حدث بالنسبة للمرأة المصرية فى هذه السنوات الطويلة، أن نقسمها من حيث مكوناتها إلى حقب تمكننا من تتبع إيقاع التغير ومساره، وأبرز المسئولات عنه، والمؤثرات فيه. ولما كانت قضية المرأة ترتبط إلى درجة كبيرة بالتغير الجذرى فى النظام الاقتصادى من حيث تشغيل النساء فى شتى المجالات، وفى نطاق واسع فإنه لابد من القول بادئ ذى بدء أن نمو الصناعة فى مصر لم يأخذ شكل ثورة صناعية أو انقلاب صناعى كذلك الذى حدث فى إنجلترا مثلا، فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وانما كان بالتدريج البطيء أحيانا والسريع نسبيا أحيانا أخرى كما حدث فى الخمسينيات والستينيات من سنوات ثورة ٢٣ يوليو. وعلى الرغم من ذلك فإن النمو الصناعى فى مصر وبخاصة فى إطار سياسة التصنيع التى أخذت بها الدولة بعد سنوات قليلة من بدء الثورة سنة ١٩٥٢، كانت له كثير من الآثار المماثلة - لتلك التى ظهرت فى كثير من الدول الأوربية التى حدث فيها الانقلاب الصناعى، وذلك الانقلاب الذى نجم عنه أهم ظاهرة اجتماعية فى العصر الحديث وهى ظاهرة خروج المرأة وبخاصة الأم إلى العمل، لأن عملها خارج بيتها لم يعفها من أداء دورها الرئيسى فى الأسرة، بل أنه أضاف إلى هذا الدور دورا هاما، هو دور التكسب من العمل، الذى كان من قبل وقفا على الذكور وحدهم دون الإناث. وقد واكب هذه الظاهرة ظاهرة أخرى أشد أثرا فى تطوير قضية تحرير المرأة، تلك هى تعليمها فى مختلف مراحل التعليم وتحررها الفكرى بالتدريج.

ولقد كانت هذه الظواهر الثلاث وهى تعلمها وتحريرها واشتغالها هى المسئولة عما صار يعرف «بالانقلاب النسوي»، الذى امتاز به القرن العشرون، والذى ظهرت آثاره واضحة للعيان فى كل مكان. ومما لاشك فيه أن تعليم المرأة فى جميع مراحل التعليم بما فى ذلك مرحلة التعليم العالى فى المعاهد والجامعات، هو الذى دفع عجلة التغيير النسوى فى مصر دفعة قوية؛ ذلك لأنه أوجد عند المرأة وعيا واضحا بذاتها ومركزها ومكانتها، ودورها فى المجتمع بعامة، وفى الأسرة بخاصة.

وقد ترتب على تحرير المرأة، تخلصها تدريجيا وبدرجات متفاوتة من سيطرة الرجل وسلطان التقاليد، والحرمان السياسى الذى كان مفروضا عليها، كما ترتب عليه أيضا تشغيلها فى مختلف المهن المتخصصة، سواء ما كان منها صناعيا بكل أشكاله وتفنيناته، أو زراعيا بمختلف صوره، أو تربويا، أو طبيا، أو تشريعيا، أو تنفيذيا، أو قضائيا، أو غير ذلك من المهن التى كان يعتقد أنها وقف على الرجل وحده.

وقد كان ذلك فى الوقت نفسه مصاحبا لظاهرة الحد من الفروق الطبقية، لأن التعليم أتيح أول ما أتيح لبنات الطبقات المتوسطة ثم الراقية. وما أن انتشر تعليم الفتيات بين هاتين الطبقتين حتى انتشرت من بعد ذلك ظاهرة اشتغالهن بشتى المهن خارج بيوتهن.

ونجم عن ذلك أن الفجوة التى كانت تفصلهن عن فتيات الطبقة الدنيا العاملات، أخذت تضيق شيئا فشيئا على مر السنين. وذلك للتفاعل الاجتماعى الحادث فى المجتمع الجديد، الذى دفع بكل من الطبقة الدنيا من جهة والطبقتين العليا والوسطى من جهة أخرى، إلى التقارب إلى درجة كبيرة فى مستوى وسيط هو مستوى الطبقة العاملة أى الطبقة الدنيا المتطلعة الواعية، ذلك لأنه لا يمكن إنكار أن التقدم الاجتماعى الاقتصادى الحديث فى كل المجتمعات المتقدمة، قد أدخل على الطبقة الوسطى والطبقة العليا، مظاهر معينة، كانت لحقب كثيرة تعد من خصائص الطبقة العاملة أى الطبقة الدنيا وحدها، ومن بين هذه الخصائص اشتغال نساء الطبقة الوسطى بالوظائف الكاسبة، أى التى تدر دخلا منتظما ذا قيمة يعتمد عليه، وذلك نتيجة ضعف ثم تلاشى ظاهرة توريث المرأة دخلا ثابتا من أرض زراعية، أو عقار، أو استثمار مال معين. وهى ظاهرة كانت شائعة إن لم

تكن عامة، بين أسر الطبقتين العليا والوسطى[1]. وهكذا حل محل ظاهرة تأمين مستقبل المرأة على هذا النحو تعليمها، فى مختلف مراحل التعليم وتوظيفها، وقد أصبح هذا النظام الجديد من الأنظمة الشائعة فى النسق الاجتماعى الشامل فى المجتمع المصرى الحديث.

أما تحرير المرأة الذى تمثل فى مساواتها بالرجل فيما يتعلق بممارسة حق الانتخاب فقد كان ثمرة تعليمها وخروجها للعمل واشتغالها بشتى الوظائف.

ومما يلفت النظر أن ما حدث من تغير نتيجة خروج المرأة المصرية المتعلمة المتخصصة الواعية من بيتها للعمل فى مختلف ميادين الإنتاج والخدمات يشبه ما حدث للمرأة فى المجتمع الغربى الحديث، ولكن مع تفاوت فى الدرجة والشدة.

وفيما يلى عرض **تاريخى لقضية تحرير المرأة**، ودورها فى بلورة كفاحها وذاتيتها. ولكى يكون هذا العرض واضحا، قسمناه إلى حقب يشتمل كل منها على عدة فترات لكل منها خصائصها من حيث ما بذل فيها من كفاح فى سبيل قضية تحرير المرأة المصرية، وآثار ذلك فى تطويرها ودفع عجلة مسيرتها لتحقيق أهدافها.

الحقبة الأولى: (١٨٧٠ - ١٩١٨)

تقع هذه الحقبة فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وربما تعد فجر الدعوة لتحرير المرأة المصرية، وفتح ملف جديد لقضيتها فى العصر الحديث، ولقد قسمناها تبعا لنوع الجهود التى بذلت فيها إلى فترتين، الأولى فترة نيابة الرجال، والثانية فترة استمرار نيابة الرجال، مع ظهور أول بادرة نسائية.

الفترة الأولى (١٨٧٠ - ١٩٠٥) نيابة الرجال:

يمكن تحديد هذه الفترة بأنها الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وقد كان دور المرأة المصرية فيها دورا سلبيا، أما الرجال وهم الممثلون فى شخصيات رفاعة رافع الطهطاوي[2] ومحمد عبده[3] فكانوا أول من رفعوا لواء تحرير المرأة؛ولذلك

---

(١) انظر: حسن الساعاتي، **علم الاجتماع الصناعي**، ص ١٧٨ - ١٧٩.

(٢) ولد سنة ١٨٠١م وتوفى سنة ١٨٧٧م.

(٢) ولد سنة ١٨٤٩ وتوفى سنة ١٩٠٥ م.

أطلقنا على هذه الفترة السلبية، أو فترة نيابة الرجال للمدافعة عن حقوق النساء فى مصر.

وكانت صورة المرأة فى هذه الفترة، هى صورة الأم التى تهتم بشئون البيت، ورعاية الزوج والأطفال، كما كانت سيدة المنزل المحجبة التى يعولها زوجها، ويتكفل بمطالبها، ويجنبها الخروج، ولو لشراء لوازمها الشخصية، أمل كل فتاة ومثلها الأعلى، ويكفى أنه كان من أرفع آيات التكريم للمرأة أن يشار إليها حينئذ بأنها «السيدة المصونة والجوهرة المكنونة». وفى إطار هذه التقاليد والقيم، كان الجهل، والأمية والحجاب والتوارى عن أنشطة المجتمع، حال الأغلبية العظمى من النساء والفتيات.

أما من أتيحت لهن فرص الذهاب إلى المدارس، فكن أقلية، كانت أغلبيتهن من بنات الطبقة المحدودة الدخل، اللاتى أقبلن على التعليم الحكومى الموجود حينئذ والذى انحصر فى عدد محدود من المدارس الأولية والابتدائية، ومدارس إعداد المعلمات، والممرضات بغية تعلم مهنة شريفة تساعدهن على كسب العيش. ولذلك كانت أولى الوظائف التى عملت فيها المرأة المصرية هى مهنة التوليد والتمريض ثم مهنة التدريس.

وكانت الأسر التى تقدر العلم وتنتمى للطبقتين الوسطى والثرية، قليلة العدد. وكانت تتحرج من تعليم بناتها فى مدارس الحكومة، التى ارتبطت بالإعداد للعمل، وكسب العيش. ولذلك فضلت تعليمهن، إما فى المنازل على إيدى مدرسات خصوصيات أجنبيات، أو فى مدارس الجاليات والإرساليات الأجنبية، التى أنشىء منها عدد قليل فى بعض مدن القطر الرئيسية. وكانت هذه المدارس تعنى بنشر الثقافة الأجنبية الخاصة كما كانت تهتم بتعليم الفتاة المواد النسوية تمشيا مع القيم السائدة حينئذ، والتى كانت تؤكد إعداد البنت لتكون أما، وسيدة بيت نافعة.

غير أن هذه الأوضاع، وتلك القيم المحافظة التى كانت تستحسن الحجاب، وتستهجن الخروج للعلم، والعمل، لم تظل طويلا على ثبوتها، بل اخذت تتزعزع من جذورها بفضل ما كان يتردد فى جو المجتمع من صدى للصيحات المتكررة،

التى كان قد أطلقها رواد الفكر المتحرر، ودعاة التجديد والإصلاح، وفى مقدمتهم **رفاعة رافع الطهطاوي**، الذى عبر عن آرائه التحررية فى كتابيه (تخليص الإبريز فى تلخيص باريز)، و (المرشد الأمين فى تعليم البنات والبنين)، ونادى فى كتابة الأول برفع سن الزواج إلى خمس وعشرين سنة حتى يمكن للمـرأة أن تتعلم [1] ونادى فى كتابه «المرشد الأمين فى تعليم البنات والبنين» بوجـوب تعليم الفتاة، وبين عدم تعارض هذا التعليم مع التشريعات الإسلامية[2] وقال فى هذا الصدد «ينبغى صرف الهمـة فى تعليم البنات والصبـيان معـا، لحسن معـاشرة الأزواج، فتـتعلم البنات القراءة، والكتابة والحساب ونحـو ذلك فإن هذا مما يزيدهن أدبا وعقلا، ويجعلهن بالمعـارف أهلا، ويصلحن به لمشـاركة الـرجال فى الكلام والرأي، فـيـعظمن فى قلوبهن، ويعظم مقامـهن لزوال ما فيهن من سخافـة العقل والطيش، مما يتيح من معاشرة المرأة الجاهلة لمرأة مثلها، وليـمكن المرأة عند اقتضاء الحال، أن تتعاطى من الأشغال والأعمال، مـا يتعاطاه الرجال على قدر قوتها، وطاقتـها، فكل ما تطيقه النساء من العمل يبـاشرنه بأنفسهن، وهذا من شأنه ان يشـغل النساء عن البطالة، فإن فراغ أيديهن عن العمل يشغل ألسنتـهن بالأباطيل، وقلوبهن بالأهواء، وافتعال الأقاويل، فالعمل يصون المرأة ما لا يليق، ويقربها من الفضيلة، وإذا كانت البطالة مذمومة فى حق الرجال، فهى مذمة عظيمة فى حق النساء.[3]

ثم جاء بـعده **الشيخ محـمد عبده** الذى وصل إلى منـصب مـفـتى الديار المصرية، والذى دعا إلى ضرورة تعليـم المرأة، وتحسين ظروفها الاجتماعيـة واعتبر ذلك أمرا جوهريا فى برنامج النهوض بالمجتـمع، وأيد آراؤه بيان مركز المرأة الممتاز فى الإسلام[4].

---

(١) راجع ذلك فى رفاعة الطهطاوي، **تخليص الإبريز فى تلخيص باريز**، طبعة وزارة الإرشاد ٥٨.

(٢) انظر:محمد على حافظ، وزينب محرز، تعليم الفتاة فى الجمهورية العربية المتحدة ص ٢١.

(٣) انظر:عبد الرحمن الرافعي، **تاريخ الحركة القومـية، وتطور نظام الحكم فى مصر**، **عصر محمد علي**، الجزء الثالث ص ٤٩٣، ٤٩٥.

(٤) انظر:مجد الدين حفنى ناصف، **تحرير المرأة فى الاسلام**، ص ٣٦.

الفترة الثانية (١٩٠٦ - ١٩١٨) استمرار فترة نيابة الرجال مع ظهور أول بادرة نسائية:

لم يتوقف دفاع الرجل عن المرأة بنهاية القرن التاسع عشر، وانما امتد في **القرن العشرين بمجيء قاسم أمين**[١]، الذى جدد دعوة كل من رفاعة رافع الطهطاوى والشيخ محمد عبده، ووسع نطاقها، حتى أنه ليعد بحق الرائد الأول ذا الجهد المثمر فى حركة تحرير المرأة المصرية فى ذلك الحين. فقد ناضل من أجل قضيتها نضالا مريرا، ونشر كتابيه «تحرير المرأة» و «المرأة الجديدة» ودافع فيهما عن تعليم البنات وتحريرهن من رق الجهل، وشقاء الحجاب مبينا أن النساء والرجال فى المجتمع شقان لا يتعارضان، ونصفان متكاملان، وأن بقاء النساء فى الجهل معناه تعطيل لإنتاج نصف المجموع. بل للمجموع كله، وأن المرأة هى أم الرجل، وأم الجيل القادم بأكمله رجالا ونساء. كما دعا بشدة إلى الأخذ بأيدى النساء وإعدادهن ليشتغلن مثل الغربيات بالعلوم والفنون الجميلة، والآداب، والتجارة، والصناعة، ومختلف الأعمال ليتنجن بقدر ما يستهلكن، وليستطعن كسب معاشهن بدلا من بقائهن عالة على الرجال وليسهمن أيضا فى ازدياد الثروة العامة لوطنهن[٢].

وتتميز هذه الفترة بظهور أول بادرة نسائية للدفاع عن حقوق المرأة متمثلة فى الكاتبة الاجتماعية والشاعرة **ملك حفنى ناصف التى اشتهرت باسم «باحثة البادية»** فهى تعد بحق واضعة الحجر الأساسى للنهضة النسائية فى مصر. وقد استفادت هذه السيدة بالجهود التى بذلها رواد تحرير المرأة من الرجال الذين أشرنا إليهم، وفى مقدمتهم جهود قاسم أمين.

وقد كانت ملك حفنى ناصف تمتاز بثقافتها العربية العريضة، وإجادتها فى الوقت ذاته اللغتين الإنجليزية والفرنسية، وسعة اطلاعها على كثير مما كتب فى الموضوعات الاجتماعية [٣] ولم تكن باحثة البادية أول كاتبة فحسب، بل كانت

---

(١) ولد قاسم أمين، سنة ١٨٦٥ وتوفى سنة ١٩٠٨.

(٢) انظر قاسم أمين، **تحرير المرأة**، ص ١٩، ٢٠، ٥٦-٩٢ وانظر أيضا قاسم أمين، **المرأة الجديدة**، ص ٣٢-٤٢ و ١٥٦.

(٣) كان ذلك بفضل شقيقها مجد الدين حفنى ناصف، الذى ربما كان أول مصرى متخصص فى الدراسات الاجتماعية فى مدرسة العلوم الاجتماعية العليا فى باريس بعد تخرجه من السربون فى العقد الثانى من القرن العشرين.

أيضا أول خطيبة جـمعت النساء، وخطبت فيهن لتوعيتـهن، وحثهن على المطالبة بحقوقـهن، وكانت تنادى بالتعليم الإلزامى فى المرحلة الأولى، وفـتح آفاق العلم أمام الفتاة، ومـساواتها بالفتى، كما كانت تناشد الرجـال أن يعزفوا عن الأساليب الرجعية، والتزمت فى معاملة نسائهم، حـتى يستطعن تنشئة الأجيال الجديدة على الحرية.

الحقبة الثانية (١٩١٩ - ١٩٥٥)

وتقع هذه الحقبة فيما بين ثورة ١٩١٩ وظـهور رائدات التحرر حتى انتخاب أول مجلس أمة بعض أعضائه من النساء وتنقسم هذه الحقبة إلى فترتين:

الفترة الأولى: (١٩١٩ - ١٩٤٥) ظهور رائدات التحرر

هذه الفترة التى تبدأ منذ ثورة ١٩١٩، وتنتهى بالحرب العالمية الثانية يمكن أن نطلق عليهـا فترة الإعداد، وتكوين القدوات والمثل الشـخصية. فـلأول مرة تنفرد النساء بحمل لواء الدفـاع عن أنفسهن وينـطلقن بعد ذلك فى هذا المجال مكونات رائدات التحرر النسوي.

فبعد وفاة باحثة البادية سنة ١٩١٨، خلفتها **هدى شعراوى** [(١)] التى حملت الشـعلة وتزعـمت النهـضة النـسائيـة إلى أن توفـيت سنة ١٩٤٧. وكـانت هدى شعراوى تنادى بتـعليم المرأه ومساواتها بالرجل، وبخـاصة فى الحقوق السيـاسية، وإتاحة الفرصة لهـا لكى تعمل وتؤدى واجبها نحو الـوطن، كما كانت ترى «أن الاستقـلال السياسى لا يقوم ولا يؤمن عليـه إلا بالاستقلال الاقـتصادى» [(٢)] ولقد عززت قـولها بالعمل، فـأنشأت أول مصنـع للفخار والزجـاج الراقيين فى روض الفرج بالقاهرة، ونـادت بترويج الصناعات الوطنية النافـعة، وشجعت الجمـعيات النسائية الموجودة حينئذ على تعليم الفتـاة نسج السجاد، وأشغال الحياكة والتطريز، وهكذا يتقنّ مـهنة تدر عليهن الكسب، فـضلا عن شغـل أوقات فراغـهن بطريقة نافعة.

وكانت مصر تجتاز بعد الحرب العالمية الأولى، محنتها الكبرى، وتصارع من أجل الحـصـول على الاسـتقـلال وكـانت هذه المحنة هى الفـرصـة الأولى، التى

(١) هدى شعراوى ولدت سنة ١٨٧٩ وتوفيت سنة ١٩٤٧.

(٢) مجد الدين حفنى ناصف، المصدر السابق، ص ٨٢.

استطاعت المرأة المصرية أن تظهر فيها كفاءتها، وتثبت قدرتها على الإسهام فى حل مشكلات وطنها جنبا الى جنب مع الرجل، وبدرجة لا تقل عنه، ففى ثورة ١٩١٩ ظهرت النساء لأول مرة فى مظاهرات كبيرة يحملن راية الجهاد ويشتركن مع الرجال فى عمل المتاريس، وقطع طرق المواصلات وينادين بمقاطعة المستعمرين. عندئذ وضحت معالم الحركة النسائية وقوى شأنها، وكسبت قضية المرأة تأييدا كبيرا، وأخذت تجتذب اهتمام كثير من رجال الفكر والسياسة، ونخص بالذكر منهم سعد زغلول، الذى كان يرى «أن التربية السياسية للنساء يجب أن تعدها الشعوب كأول دور من أدوار الحضارة[1] والذى خطب فى وفد من النساء الوطنيات فى أعقاب حصول البلاد على استقلالها، قائلا: «إننى من أنصار تحرير المرأة، ومن المقتنعين به لأنه بغير هذا التحرير لا نستطيع بلوغ غايتنا، ويقينى هذا ليس وليد اليوم، بل هو قديم العهد. فقد شاركت منذ آمد بعيد، صديقى المرحوم قاسم أمين أفكاره التى ضمنها كتابه الذى أهداه إلى (المرأة الجديدة)، فضلا عن أن الدور الذى قامت به المرأة المصرية فى حركتنا الوطنية، كان عظيما ونافعا. فاستمررن إذن فى العمل الذى بدأتن فيه وأنا ضامن لكن النجاح التام». [2]

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نذكر المجاهدة صفية زغلول[3] زوجة الزعيم سعد زغلول، فقد شاركت سعدا فى كفاحه الوطنى وكانت له نعم الزوجة المخلصة، ونعم الصاحب المعين. وقد خلفت سعدا فى إذكاء روح الأمة وشحذ عزائمها بعد نفيه، مما أرغم المستعمرين على السماح لها أن تذهب حيث تشاء بعد أن كانوا يأبون عليها الذهاب إلى سعد فى منفاه وقد أبت أن تغادر أرض الوطن.

وقد قامت صفية زغلول بدور كبير فى نشر الوعى بين أبناء الشعب، وبين النساء خاصة. وكان بيتها «بيت الأمة» معقلا من معاقل الوطنية وسميت «أم المصريين» لمواقفها الوطنية الرائعة بجانب زوجها الزعيم العظيم.

وهكذا، وبفضل ما أتاحته ظروف البلاد السياسية، ونشاط الحركة القومية فيها من فرص العمل الوطنى الجرىء، استطاعت المرأة أن تطلق إمكاناتها وتثبت

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٧، ٣٨.

(٢) المصدر نفسه. المكان نفسه.

(٣) ولدت سنة ١٨٧٨ وتوفيت سنة ١٩٤٦.

كفاءتهـا ونجاحها وكان من آثار ذلك أن زادت ثقـتها بنفسـها وأدركت أنها لا تقل شأنا عن المرأة الغربية فى النزول إلى معرك الحياة. كما كان من آثار ذلك أيضا أن المجتمع بدأ يغير نظرته الرجعية نحوها، ويعترف بأهمية جهودها وقدرتها فى تقدم البلاد، مما شجع الدولة بعد أن نالت أولى مراحل استقلالها سنة ١٩٢٣، على أن توليـها عنايتـها، وتحـسن إعدادها للعـمل، وتتـيح لها مـزيدا من فرص التـعليم المختلفة. وأخذ المعنيون بشـئون التعليم يتوسعون نسبيـا فى نشر المدارس المخصصة لها فى المراحل الأولية، والابتدائية والثانوية.

هذا،وقد تبلورت الحركة النسائية فى أواخر الربع الأول من القرن العشرين، فى تأسيس جمعـية الاتحاد النسائى المصرى فى مارس ١٩٢٣ برئـاسة السيدة هدى شعراوى التى نجحت فى جعل هذه الجمعيـة منذ نشأتها، فرعا من الاتحاد النسائى الدولي. وقد انتخبت هدى شعـراوى وكيلة للاتحاد النسائى الدولي، وظلت تشغل هذا المركز حيث كان يتجدد انتخابها له كل سنة، إلى أن توفيت.[١]

وكان أهم مطالب الاتحاد النسائى منذ نشأته مساواة المرأة بالرجل فى الحقوق السياسية والمدنية لتستطيع أن تسـهم بمواهبها الخاصة فى التشريع، إصلاح الأحوال الاجتمـاعية والأخلاقية والاقـتصادية وبخاصة مـا كان منها متصـلا بشئون المرأة، والطفل والأسرة. وعلى أثر تكوين الاتحـاد النسائى أخذت تنضم إليه كـثيرات من سيدات المجتمع المتطوعات لـلخدمة الاجتماعية، وأعمال البر، والمهـتمات بقضية المرأة وتحريرها، مما دفع الحركة النسائية دفعة قوية نحو تحقيق أهدافها.

وقد تميزت أواخر هذه الفترة أى الربع الثانى من القرن العشرين، بتطور كبير وإن كان بطيئـا فى بدايته، فى الاتجاه التعليمى لصـالح المرأة، وتقبل فكرة إعدادها إعدادا مناسبا يهيئها للخروج للعمل، والاشتراك جنبا إلى جنب مع الرجل فى بناء مستـقبل الوطن. وأخذت معـالم هذا التطور تظهر بالتدريج فى التـوسع فى نشر مدارس البنات الأولـية، والابتدائيـة، والثانوية، وكـذلك فى إنشاء المعاهـد الفنية ومعاهد المعلمـات المتوسطة والعالية. ولقـد كانت نقطة التحول البـارزة فى حركة تحرير المرأة، وتغيير نظرة المجتمع إليها تغييرا جذريا، قبول الفتيات لطلب العلم فى

---

(١) الاتحاد النسائى المصري، موجز سجل مـن أعمال جمعية الاتحـاد النسائى المصرى من سنة ١٩٢٣ - ١٩٦١، القاهرة، ١٩٦١.

أول جامعة حكومية رسمية (جامعة القاهرة حاليا)، ابتداء من سنة ١٩٢٨، حيث، قبلت كلية العلوم ٨ طالبات، وفى سنة ١٩٢٩ قبلت كلية الآداب ٤ طالبات وقبلت كلية الطب ٥ طالبات، وتلتها كلية الحقوق فقبلت طالبة واحدة سنة ١٩٣٠، ثم كلية التجارة التى قبلت طالبة واحدة كذلك سنة ١٩٣١[1] ولم يكن مستغربا كثيرا وقتئذ أن تدخل الطالبات هذه الكليات، وبخاصة كلية الآداب التى كانت تؤهلهن لمهنة التعليم. لكن الذى كان يدعو للغرابة حقا، هو دخول الطالبات كليتى الهندسة والزراعة سنة ١٩٤٥ ليخرجن مهندسات وزراعيات. هذا، وقد حظيت الفتاة بنصيب من التعليم الجامعى أكبر عندما فتحت جامعة الاسكندرية فى سنة ١٩٤٢.

الفترة الثانية: (١٩٤٦ - ١٩٥٥) الرعيل الأول من النساء المتطورات

فى هذه الفترة التى بدأت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وامتدت حتى سنة ١٩٥٥، زاد التوسع فى الاتجاه التعليمى لصالح المرأه، وأرسلت دفعات قليلة فى بعثات دراسية إلى الخارج، وعدن يحملن أرقى الشهادات فى تخصصات شتى فى نفس الوقت الذى أتيح فيه للدفعات القليلة الأولى من الفتيات الالتحاق بالجامعة.

وأصبحت هؤلاء وهؤلاء، من قادة الرأى فى أماكن عملهن، كما أصبحن طلائع طيبة للمرأة المتطورة. وقد كان لنجاح الرعيل الأول من الجامعيات اللائى تخرجن فى مصر، والمبعوثات اللاتى أتممن دراستهن فى الخارج، أكبر الأثر فى تشجيع الفتيات على الإقبال على التعليم العالي، اقتداء بهن، كما حفز هذا النجاح فى الوقت نفسه اهتمام المسئولين، وشجعهم على السير بخطى أكثر سرعة، فى مزيد من التوسع فى تعليم الفتاة فى جميع المراحل، وإتاحة الفرصة لها لتخوض غمار الحياة الاجتماعية والعمل فى مختلف المجالات، لا فى ميادين الآداب والفنون فحسب بل فى ميادين العلوم البحتة، والعلوم التطبيقية على وجه الخصوص. وأصبحت الفتاة أوفر حظا من التعليم الجامعى بإنشاء جامعة عين شمس ١٩٥٠.

---

(١) انظر كريمة السعيد، **تعليم البنت فى الجمهورية العربية المتحدة**، المؤتمر الأول للجامعيات العربيات، اتحاد الجامعيات اللبنانيات من ٥-٨ مارس سنة ١٩٦٤ بحث مكتوب بالرونيو.

ومما هو جدير بالذكر فى هذه الفترة، ذلك الأثر القوى الذى نجم عن الحرب العالمية الثانية، والذى ظهر واضحا فى زيادة انفتاح المجتمع المصري، الذى تركزت فيه قوات أجنبية كبيرة، من بينها مجندات من النساء، من جنسيات مختلفة لمساعدة المجندين فى شتى ميادين القتال، بخاصة فى العلمين علـى مقربة من الإسكندرية وفى شمال أفريقية. ولقد شجعت هذه الظروف غير العادية كثيرات من النساء على الاشتغال فى مجالات الخدمات الشخصية التى تزايدت زيادة هائلة فى فترة الرواج الكبير أثناء الحرب، وفى السنوات القليلة التى تلتها. فبينما بلغ عدد المشتغلات فى الخدمات الشخصية فى التعداد العام للسكان لسنة ١٩٣٧، ٥٨,٦٢٧ أنثى، بلغ عددهن فى التعداد العام للسكان لسنة ١٩٤٧، ٢,٥٨٨,٢٣٥ أنثى،أما فى المهن المختلفة الأخرى، فبعد أن كان مجموع المشتغلات ٣٦,٢٩٧ أنثى فى سنة ١٩٠٧، أصبح ١٦١,٨٨٠ أنثى فى سنة ١٩٤٧ أى أنه زاد على المجموع الأصلى بمقدار ٣٤٥٪.

الحقبة الثالثة: (١٩٥٦ - ١٩٧٥)

وتمتد هذه الحقبة من **سنة ١٩٥٦** وهى سنة إعلان الدستور الجديد، بعد قيام ثورة ٢٣ يوليـة ١٩٥٢، حتى **سنة ١٩٧٥**، التى وقع عليها الاختيار لتكون «**عام المرأة العالمي**». وقد قسمنا هذه الحقبة إلى ثلاث فترات أساسية.

الفترة الاولى: (١٩٥٦ - ١٩٦٥) طلائع القيادات الشعبية من النساء وظهور أول قيادة رسمية:

تحقيقا لمبدأ إقامة عدالة اجتماعية بين الجنسين، وهو أحد المبادىء الستة فى دليل عمل الثورة المصرية ١٩٥٢، نص فى **الدستور الجديد**، الذى أعلن فى مصر فى ٢٣ يوليو ١٩٥٦، على منح المرأة حقوقا سياسية أسوة بالرجل[1]، وبذلك استطاعت المرأة أن تدلى بصوتها فى الاستفتاءات على رئاسة الجمهورية وعلى الدستور، وفى الانتخابات العامة لمجلس الأمة، وكذلك انتخابات الاتحاد الاشتراكي، صار لها الحق فى ترشيح نفسها لمجلس الأمة، وفى مجالس ولجان أخرى شعبية.

(١) انظر «دستور الجمهورية المصرية الصادر فى ٢٣ يونيو ١٩٥٦» **الموسوعة العربية للدساتير العالمية، مجلس الأمة**، القاهرة، ١٩٦٦، المادتان ٣١، ٦١.

هذا، وقد فازت فى انتخابات مجلس الأمة لأول مرة فى عام ١٩٥٥ سيدتان[١] هما **راوية عطية وأمينة شكرى** ثم بعد ذلك زاد عدد النساء الأعضاء فى مجلس الأمة، فى الانتخابات التالية سنة ١٩٦٤، وفازت ثمانى سيدات دفعة واحدة بالعضوية وهن نوال عامر، وألفت كامل، مفيدة عبد الرحمن، وزهرة رجب، وكريمة العروسي، وعائشة محمد حسين، وفاطمة دياب (فلاحة)، وبثينة الطويل. وكان لهن الفضل فى الدفاع عن قضية المرأة ورعايتها، وتوجيهها الوجهة الصحيحة. وبخاصة فيما يتعلق بتعديل قانون الأحوال الشخصية.

كما أولت الثورة أيضا، وتحقيقا للمبدأ نفسه وهو إقامة عدالة اجتماعية، تعليم الفتاة وإعدادها للعمل، عناية فاقت كل ما كان قد بذل فى السنوات العديدة السابقة على قيامها. وأن مبادرة الثورة بتعميم مجانية التعليم فى المرحلتين الإعدادية والثانوية قد أتاح فرصة التعليم لآلاف الفتيات اللاتى كانت ظروف أسرهن الاقتصادية لا تسمح لهن بمواصلة التعليم.

وقد نجم عن ذلك إقبال شديد على مواصلة تعليم الفتيات، بعد إتمام المرحلة الابتدائية، وهى مرحلة التعليم الإلزامي، ولقد ظهرت نتائج هذا الإجراء فى إحصاء التعليمات فى التعداد العام للسكان ١٩٦٠. وتبين منه أن عدد المتعلمات فى ازدياد مطرد بشكل ملحوظ، وبخاصة أولئك الحاصلات على شهادات، والتى تراوحت الزيادة العشر سنوية فى مجموعهن ما بين ١٥٠٪ و ٣٦٢٪ ما بين سنة ١٩٢٧، وسنة ١٩٦٠.

ثم اعلنت الدولة مجانية التعليم فى الجامعات قبيل بداية العام الجامعى فى خريف ١٩٦٢، وكان لهذا الإجراء أثر فعال فى اشتداد إقبال الشباب من الجنسين على التعليم الجامعي، كما نتج عنه تزايد نسبة أعداد المتخرجات، سواء من الجامعات أو المعاهد العليا تزايدا كبيرا عن السنوات السابقة على هذا الإجراء.

أما التوسع فى توظيف المرأة، والذى ترتب عليه خروجها للعمل بشكل لافت عما كان لديه من قبل، قد بدأ مع حركة التمصير فى الميدان الاقتصادى

(١) نود أن نلفت النظر إلى أن النيابة الشعبية الأولى للمرأة فى مصر المعاصرة بدأت فى المدينتين الأوليين والكبيرتين فى مصر وهما القاهرة والإسكندرية. وأنه كما سنرى فيما بعد لا يزال تركيز النيابة الشعبية للمرأة فى هاتين المدينتين بعينهما.

بخاصة، والميـادين الأخرى بعامة، وذلك فى سنة ١٩٥٧. كمـا عمل على توسيع مجال توظف المرأة أيضا البدء فى تنفيذ خطة السنوات الخمس الأولى التى وضعتها وزارة الصناعة سنة ١٩٥٧. أما التوسع الكبير اللافت فى توظيفها، فقد جاء على أثر إعلان قـرارات يوليو الاشتـراكية سنة ١٩٦١ ولقـد شجع الرواج الاقتـصادى والتنمية السريعة اللذان حـدثا بعد ذلك، أولى الأمر على الالتزام سنويا ابتداء من صيف ١٩٦٤، بتعـيين كل المتخرجين من الجامعات والمـعاهد العليا، فى الوظائف الكثيرة الجديدة التى أوجدها تنفيذ الخطة الخمسية الشاملة الأولى فى سنة ١٩٦٠.

وفى الستـينيات من هـذا القرن بدأ نجم المرأة المـصرية الجـديدة فى التـألق وظهرت قـيادات نسائية فى كـثير من الميادين المتـخصصة. فـفى الأدب نذكر على سبـيل المثال د. بنت الـشاطئ، ود. سهـير القلمـاوي، د. لطيفـة الزيات، وفى التعليم ظهـرت كريمة السـعيد، وفى الصـحافة أمـينة السعيـد، وإنجى أفلاطون، وسكينة السادات، وفى الموسيـقى رتيبة الحفني، وفى المسرح سمـيحة أيوب وسناء جميل، وفى السينما كانت هناك أسماء لامعة مثل فاتن حمامة، وفى مجال الغناء سطع شمس السـيدة أم كلثوم سـفيرة للفن العـربى فقامت بدور قـيادى فى الفن والسياسة معا.

وكان اختيار سيدة لمنصب وزيرة لأول مرة فى سبتمبر سنة ١٩٦٢ حدثا بارزا فى تاريخ النهضة النسائية فى مصر، ودليلا أكيدا على اعتراف الثورة بكفاءة المرأة، والدعم الكامل لمركزها ومكانتهـا فى المجتمع. وكان لاختيـارها من صفوف سلك هيئة التدريس - الهيئة العلمية العليا فى مصر - بالجامعة مغزى كبير. وكان أهم ما قامت به الدكـتورة حكمت أبو زيد التى كانت أول سـيدة فى تاريخ مصـر، تتقلد أمور وزارة الشـئون الاجتمـاعية تنظيم مؤتمـرين هامين أولهما خاص بشـئون المرأة العاملة وعقد فى نوفمبر سنة ١٩٦٣، وثانيهما مؤتمر الأسرة الذى عقد فى ديسمبر ١٩٦٤.

وقد جعلت السيدة الوزيرة، التى كانت تخرج للعمل الأكاديمي، شئون المرأة العاملة ومشكلاتها، وبخاصة حاجـتها إلى دور حضانة ترعى أطفالها - على رأس قائمة مشروعاتها للإسهام فى التنمية الاجتماعية السريعة.

الفترة الثانية: (١٩٦٦ - ١٩٧٠) الركود والنكسة والاكتئاب الاجتماعي والسياسي.

تميزت هذه الفترة بأنها كانت فترة تقشف اقتصادي، أعقبها النكسة العسكرية سنة ١٩٦٧، التى تلتها فترة من الاكتئاب الاجتماعى والسياسي، وانعكس كل ذلك على نشاط المرأة المصرية الحديثة فبدأ راكدا فاترا غير فعال.

الفترة الثالثة: (١٩٧١ - ١٩٧٥) التصحيح والصحوة والفعالية على المستوى الشعبى والرسمي.

فى هذه الفترة الثالثة، التى تبدأ بعام ١٩٧١، الذى اشتهر بأنه عام التصحيح السياسى والاجتماعى أعيد انتخاب أعضاء مجلس الشعب وفازت فى هذا الانتخاب مفيدة عبد الرحمن، وألفت كامل، وفايدة كامل، وكريمة العروسى وزهرة رجب ورزقة البلش، وفاطمة عنان، ونوال عامر التى فازت فى الانتخابات التكميلية، ثم الدكتورة ليلى تكلا التى فازت بالتعيين. . وواكب فترة الصحوة هذه وعى دافق بقيمة المرأة وكيانها، كما بدأ فى تلك الانتخابات، التى ظهرت فيها المرأة بشكل واضح.

كما ظهر فيها احترام الشعب للمرأة الفنانة المتعلمة فى شخص السيدة فايدة كامل، واختياره لها نائبة عنه فى مجلس الشعب، وهو دليل مجسم على بداية الاحترام الشعبى للمرأة فى ذاتها ولذاتها.

وظهرت فى هذه الفترة أيضا القيادة النسائية الرسمية للمرة الثانية ممثلة فى اختيار الدكتورة عائشة راتب وزيرة للشئون الاجتماعية، وهى أيضا قد اختيرت من سلك هيئة التدريس بالجامعة تصحيحا لمسار النهضةالحديثة للمرأة المصرية العاملة بإعادة الثقة فيها واختيارها لمنصب الوزيرة فى ١٧ يناير ١٩٧٢. وبذلك كانت الدكتورة عائشة راتب ثانى وزيرة فى تاريخ الحركة النسائية فى مصر الحديثة.

وقد اهتمت الدكتورة عائشة راتب، بتعديل قانون الأحوال الشخصية، وذلك بإعداد مشروع قانون لازال فى مرحلة التجهيز قبل عرضه على مجلس الشعب. كما نفذت مشروعا آخر للاستفادة من جهود الشباب من الجنسين فى الخدمة العامة، كان محوره الأصلى تكليف الشابات من خريجات الجامعات والمعاهد العليا بهذه الخدمة.

التحليل الاجتماعى لدور المرأة فى المجتمع المصرى الحديث:

يهمنا ونحن نتتبع دور المرأة المصرية فى المجتمع المصرى الحديث، أن نضع فى اعتبارنا ذلك التداخل الكبير بين الثقافة الريفية التقليدية، وبين الثقافة الحضرية الحديثة مع ما بين الثقافتين من اختلاف واضح يصل أحيانا إلى درجة التناقض. وتأسيسا على ذلك فإن الدور الذى ترسمه الثقافة المصرية الحديثة للمرأة المصرية دور مختلط المعالم، أو لنقل أنه جماع أدوار يصعب التوفيق بينها، والدليل على ذلك أن المرأة المتعلمة التى تخرج للعمل أصبحت تقوم بعدة أدوار فى المجتمع. فهى تؤدى دورها الجديد فى الإسهام فى أى ميدان من ميادين الإنتاج أو الخدمات خارج بيتها، مدفوعة إلى ذلك بالقيم الاجتماعية الجديدة التى تقدر تعليم الفتاة وبالتالى اشتغالها، وبرغبة الشباب أنفسهم فى شريكة حياة متعلمة ذات دخل[1] وبالفلسفة الاشتراكية التى تبنتها الدولة والتى تجعل إسهام المرأة المصرية فى عملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية السريعة لتحقيق مجتمع الرفاهية ضرورة اجتماعية، ورغبة الفتاة نفسها فى أن تعيش فى مستوى اجتماعى واقتصادى كريم بعجز الزوج الشاب عن توفيره لها بإمكاناته المادية المحدودة. وهى تؤدى فضلا عن ذلك أدوارها التقليدية فى الأسرة كزوجة، وأم ومدبرة بيت. وبخاصة أن الشباب المصرى رغم تعلمه لا يزال يفضل أن تكون شريكة حياته ماهرة فى أعمال المنزل[2].

وأصبحت المرأة العاملة متزوجة كانت أم غير متزوجة، منجبة كانت أم غير منجبة تحمل عبئا آخر، ذلك العبء منحصر فى الاهتمام بالدور الثانى، أى العمل خارج البيت والنظر إليه نظرة جد واهتمام رسمى بحت، ويطالبها بالتزامات محددة لا يمكن التهاون فيها، حتى لا تترك العمل الذى صار فى تنظيمه الحديث مرتبط بعضه ببعض أشد الارتباط ويتوقف بعضه على بعض بشكل دقيق.

وتجازى المرأة التى تقصر فى أداء دورها فى عملها بإنقاص علاواتها أو تأخيرها أو حرمانها منها، أو تفويت دورها فى الترقية. وهذه جزاءات تكرهها

---

(١) انظر سامية الساعاتى، **الاختيار للزواج والتغير الاجتماعى**، ص ٣٢٠.
(٢) المصدر نفسه، ص٣١٢.

العاملة تماما كما يكرهها الرجل[1]، ولذلك أحيانا ما نجد الكثيرات **ينظرن إلى دورهن الثانى وهو العمل خارج البيت بنظرة أعلى من نظرتهن إلى دورهن الأول والأساسي، وهو رعاية شئونهن** وشئون باقى **أفراد الأسرة**، وتدبير البيت، وربما كان ذلك لأن **دور المرأة فى بيتها دور غير رسمي**، ولا تطالب فيه بالتزامات محددة، لأن التنظيم الاجتماعى داخل البيت، يعكس التنظيم الاجتماعى فى محل العمل، غير رسمي، وتسوده علاقات حميمة ويغلب فيه التسامح، ويمكن تلافى أى نوع من التقصير من جانب الزوجة عن طريق الخدمة المنزلية، أو بواسطة الزوج إذا كان متعاونا، والأطفال إن كانوا فى سن تمكنهم من المساعدة، أو عن طريق الهيئات الكثيرة الموجودة فى المجتمع. **وللمرأة العاملة دور نحو نفسها كمشتغلة تخرج كل يوم للعمل**، ولابد أن تبدو فى مظهر لائق يكسبها احترام من تتعامل معهم فى عملها، وحب زوجها وتقديره الذى يتعامل بدوره مع مشتغلات مهتمات بأنفسهن. ولذلك أصبحت المرأة العاملة تعتمد اعتمادا كليا على خدمات التجميل والخياطات ومحلات الملابس الجاهزة لمعاونتها فى أداء دورها نحو نفسها، ويستنفذ ذلك من ميزانية الاسرة نسبة لا يستهان بها.

ولئن كان العمل قد جعل المرأة المصرية الحديثة تشعر بالرضا النفسي، وربما يمكن أن نسميه الاعتداد الاقتصادى بالذات، إلا أنها تشعر بإرهاق شديد لكثرة ما تتحمله من أعباء ومسئوليات داخل البيت وخارجه.

ورغم أن كل شاب وفتاة قد أصبحا يفضلان الاستقلال فى معيشتهما الزوجية فى مسكن خاص بهما، حتى لا يتدخل فى شئونهما أحد من الأقارب، فإنهما سرعان ما يحتاجان إلى من يعاونهما فى رعاية ما ينجبان من أطفال. وإقامة قريبة معهما، سواء كانت من ناحية الزوجة أو من ناحية الزوج، أمر مرهق للأعصاب من جراء ما يحدثه التعامل المستمر من احتكاك يؤدى إلى مشكلات متنوعة تنعكس على الزوجين، ومما يزيد هذا الاحتكاك حدة أن قيم ثقافتنا تنمى فى النفوس ميلا إلى التدخل فى شئون الآخرين، فضلا عن اختلاف وجهتى النظر فى تربية الأطفال بين الجيلين. جيل الزوجين، وجيل القريبة. وعلى أية حال فإن مساعدة القريبات ليست متوافرة فى كل أسرة.

---

(١) انظر حسن الساعاتى، **المصدر السابق**، ص١٨٤.

أما اعتماد الأم التى تخرج للعمل على الخادمات، فمشكلة أخرى بذاتها، فجذب العمالة فى المصانع قد قلل المعروض فى السوق للخدمة المنزلية، كما أن كثيرات من الأمهات المتعلمات اللاتى يخرجن للعمل لا يثقن بطريقة الخادمات فى رعاية الأطفال، ولا يأمنَّ لهن فى القيام بهذه المهمة الدقيقة، التى تقدرها المرأة المتعلمة، وتعرف مبلغ تأثيرها فى شخصية الطفل، وبخاصة فى طفولته المبكرة، هذا فضلا عن مشكلات الخدم التقليدية المعروفة التى تجعل بعض النساء يستغنين عن خدماتهن ألبتة[1].

أما عن إفادة المرأة المصرية الحديثة من التكنولوجيا المتقدمة، فى تدبير شئون بيتها كاستعمال مواقد البوتاجاز، والغسالات الكهربائية، والسخانات، والمكانس الكهربائية وأدوات الطهو العاجل التى تجعل الحياة جد ميسرة، فإن ذلك فى نطاق ضيق، وفى بعض الأدوات دون البعض الآخر. وقد وجد من بحث مشكلات المرأة العاملة، الذى قدم فى مؤتمر شئون المرأة العاملة، فى نوفمبر ١٩٦٢، أن الغالبية العظمى من عينة البحث لا تعتمد على هذه الأجهزة والأدوات، كما اتضح من البحث أيضا، أنه كلما زاد الأجر الشهرى للمرأة العاملة زاد استعمالها إياها. وقد ظهر أن موقد البوتاجاز هو أكثر الأجهزة استخداما إذ وجد أن اللاتى يستخدمنه ٩١٪ من مجموع اللاتى يستخدمن الأدوات والأجهزة الحديثة.

وربما يرجع ذلك إلى أن الدولة لا تزال تعد هذه الأجهزة من الكماليات، ولذلك فإنها تفرض عليها رسوما جمركية عالية، هذا بالإضافة إلى أن المرأة المصرية الحديثة مازالت تعانى من نقص إمكانيات الطهو السريع التى تمكنها من إعداد وجبات مغذية وشهية فى دقائق، مثل التى تتوافر لزميلتها فى المجتمع الغربى الحديث، مما يوفر على المرأة العاملة كثيرا من الوقت والجهد.

---

(١) تنوى الكاتبة أن تخصص بحثا مستقلا عن هذه المشكلة الهامة، وتقترح ابتداء أن تنشئ الدولة مدرسة متخصصة لتخريج أمينات (شغالات) من الفتيات اللاتى يعددن إعدادا خاصا، وتنظيم تشغيلهن بواسطة الدولة عن طريق مكاتب للتشغيل فى وزارة العمل.

الظواهر الاجتماعية المصاحبة لدور المرأة فى المجتمع المصرى الحديث:

١- الاغتراب:

والاغتراب ببساطة هو أن يفقد الإنسان ذاته، أى أن يصبح غريبا عنها[١].

والمرأة فى المجتمع المصرى الحديث تعانى **اغترابا شديدا**، فهى **تنتقل اليوم من عهد التبعية الضعيفة المسحوقة المقهورة إلى عهد التبعية المبدعة القوية**. وهى فى حيرة وأزمة إزاء **خلط الأدوار** الذى وضعت فيه. فمطلوب منها أن تستخدم أسلحة التحرير والقوة نفسها التى يستخدمها الرجل، فتتعلم، وتعمل، وتستقل وتحمى نفسها، أى أن المرأة فى المجتمع المصرى الحديث قد أصبح لها ثلاث مراحل من **النضج الحسي، والنضج التعليمي، ثم النضج الاقتصادي**، وهذا جعلها تتشابه مع الشاب ومع ذلك، فالمتوقع منها هو التبعية لزوجها وطاعته، والرضوخ لرغباته.

إن المرأة المصرية الحديثة، تقع فى حيرة شديدة، واغتراب أشد لأنها **تجد نفسها مطالبة بالشيء وعكسه**، فمطلوب منها **أن** تتعلم وتكسب وتستقل، ولكن **إذا أبدت** أية ممارسة حقيقية لهذا الاستقلال **فإنها** تعاقب أشد عقوبة.[٢]

إنها تتعلم وتقضى سنوات وسنوات فى التحصيل، لأنها مطالبة بذلك، ولكنها فى الوقت نفسه تقيم كزميلتها من حيث تفضيل كونها صغيرة السن، فرغم عملها وتفوقها وعملها، إلا أنها تتزوج أحيانا بلا إرادة ولا اختيار قبل أن يفوتها القطار، وتصبح «بايرة»، لأنها تقلق على نفسها قلق المرأة الريفية التى لم تتعلم. **إنها** تعمل مثل الرجل تماما ولكنها مازالت تقيم من حيث هى جسد ناقص، أو عاجز أو فاتن[٣].

إنها ليست واثقة نتيجة لذلك - مما تريده فعلا، فهى من ناحية تريد الحصول على تعليم عال، ووظيفة متخصصة بعد الجامعة. ومن ناحية أخرى، فهى تريد

---

(١) انتهى ماركس إلى هذا المعنى للاغتراب فى كتابه مخطوطات اقتصادية وفلسفية عام ١٨٤٤، حين كان بصدد الفحص النقدى لوضع العامل فى المجتمع الرأسمالى (الكاتبة).

(٢) انظر محمد شعلان، المرأة والثورة، **الطليعة**، السنة الحادية عشرة عدد ٢٤، ١٩٧٥، ص ١٨٤.

(٣) انظر فرج أحمد فرج، المرأة والرجل والمجتمع، **المصدر نفسه**، ص ١٨٨.

الزوج وتكوين الأسرة فى مقبل عمـرها. وهى حين تتلقى قدرا عاليا من التعليم، مساويا للقدر الذى تلقاه زوجها فإنها تملك عناصر من القوة تتلخص في.

١- الدرجة العلمية.

٢- الوظيفة.

٣- المرتب الشهري.

وهذه العناصر الثـلاثة الهامة أخـذت فى تضييق هوة القـوة التى بينها وبين زوجها، فهى لا تملك حينئذ إلا النظر إليه كرفيق وصاحب وصديق، أكثر من كونه سيـدا ورئيسا، لكن ذلك يمثل تحـديدا للمعاييـر التقليدية المخـتلطة إلى حد كبـير بالمعايير الحديثة فى الثقافة السائدة فى المدينة التى لا تزال فيها عناصر ريفية كثيرة.

٢- صراع الأدوار:

يطلق هذا الاصطلاح ليعنى تلك الصراعات التى يدركـها الأفراد المتعرضون لها، كما أنه يعنى ذلك الموقف الذى يدرك فيـه شاغل مركز معين، أو لاعب دور بعينه أنه مـواجه بتوقعـات متباينـة، ويرى «سبيجل» أن هذا الاصطلاح يشـير إلى ذلك الموقف الذى تقع فيه الأنا فى اختيار صعب أو منستحيل بين دورين مختلفين.

كل هذه التـعريفـات لصراع الأدوار تنطبق على المرأة المصـرية فى المجتـمع الحديث. فهى تدرك أنها فى صراع، كما انها مواجهة بتوقعات متباينة من زوجها، ومن رؤسائهـا فى العمل، كمـا أنها تقع فى اختـيار صعب بين دورها كـامرأة، وزوجة وعاملة.

والأدوار ما هى إلا نتـاج لتفـاعل اجتمـاعى سابق، لكنهـا توجه التـفاعل الحالي، وفى المجـتمع التقليدي، حـيث التغيـر الاجتماعى فى أدنى حـدوده كان الجيل الأصغر يتقـبل توقعات الجيل الأكبر دون مناقشة. أمـا فى المجتمع الحديث، فإن كثيـرا من الناس غير قادرين على العيش وفق متطلبات أدوارهم، فـقد تغيرت مواقف الحياة بشكل يجعل كثيرا من أنماط الدور غير ملائمة.

ولقد كانت واجبات وحقوق المرأة فى المجتمع التقليدى واضحة التحديد فى الماضي، أما اليوم فقد اعتراها كثير من الخلط، مما يجعل الكثير من النساء فى مصر اليوم غير متأكدات من أدوارهن الفعلية.

إن المرأة المصرية الحديثة هي التي تواجه ذلك القدر الكبير من الخلط والفوضى فيما يتعلق بدورها، وذلك يعود، ببساطة إلى أن دورها هو الذى تغير تغيرا جذريا إذا ما قورن بدور الرجل. فلم يعد للمرأة المصرية الحديثة كزوجة وأم ذلك الاستمرار المحدد فى الدور، فبالإضافة إلى أدوارها التقليدية، أصبح يتوقع منها أن تكون، صديقة لزوجها، وخليلة ومستشارة، ومربية أطفال.

لذلك فإن المرأة المصرية الحديثة تواجه صراعا فى الأدوار يمكن إرجاعه إلى ما يأتي:

(أ) تعدد الأدوار: فأمام الكثير من الأدوار المتاحة للمرأة، وأكثرها أدوار متعارضة، تجد المرأة نفسها عاجزة عن اختيار دور واحد فقط واتباعه. ففى المجتمع المصرى التقليدى كانت هناك أدوار أنثوية قليلة نسبيا، ومتفق عليها. أما اليوم فإن تعدد أدوار المرأة المصرية كرفيقة، وشريكة، وكاسبة، وأم، تؤدى إلى زيادة مشكلة التكيف لديها.

(ب) الخلط فى تعريف الأدوار: ذلك أن التعريفات الجديدة لدور المرأة، وبخاصة كزوجة وأم، تتطلب تكيفا مصاحبا من الرجل، وبخاصة الزوج والأب. وقد تشكل هذه التعريفات تهديدا لأنا الرجل، وخصوصا أن أنماط الدور التى بقيت قرونا طويلة، كانت مبنية على قوة الذكر القانونية، والاجتماعية، والاقتصادية، ولما أصبحت المرأة تمارس قوة أكبر من تلك التى كانت لها من قبل[1]، أضحى الكثير من النساء والرجال يجدون مشقة فى تقبل الأدوار الجديدة.

وترى الكاتبة أن إزالة الاغتراب، وحل صراع الأدوار، إنما يتحقق إذا ما توافرت الاعتبارات الآتية:

١- وضع حدود واضحة لأدوار كل من الجنسين، أى المرأه والرجل، حدود تعرف المرأة فيها قيمة أدوارها وأن من هذه الأدوار ما يكون فوق قدرة الرجل. وعلى الرجل أيضا ان يعرف فيها أهمية أدواره ومسئولياته.

---

(١) يتجلى ذلك فى الأسرة الحضرية فى حدوث نوع من الاتفاق الودى والالتقاء فى منتصف الطريق فيكون اتخاذ قرار نهائي. هو نتاج قرار الزوجين معا فى أغلب الأحيان.

انظر سامية الساعاتي، الدور الوظيفى للزوجين فى الأسرة المصرية، دراسة ميدانية فى الريف والحضر، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٩٧٢ ص ٥٧٩.

٢- غرس أيدولوجية جديدة فى النظر إلى كل من الرجل والمرأة، وتنشئة كل من الولد والبنت تنشئة متساوية فى القيم والوعى، وتعريفهما بأن تحرير المرأة ما هو إلا الوجه الآخر من تحرير الرجل، **فبقدر ما تتحرر المرأة من عبوديتها للرجل بقدر ما يتحرر الإنسان فى كليهما، فتحرير المرأة إنما هو تحرير الإنسان من أجل الإنسان.**

٣- تضييق هوة القوة بين الرجل والمرأة، فى إطار من التسامح والحنان، بمعنى ألا تكون علاقات الدور بين الرجل والمرأة علاقة السيد بالمسود، ولا المسيطر بالمسيطر عليه، وإنما تتكامل الأدوار بينهما، ليلعب كل منهما دوره المحدد، المكمل للآخر فى الحياة.

وينسجم مع هذا الخط الفكرى ذلك الرأى الذى أخذ يتردد فى المجتمع المصرى الحديث بأن الرجل والمرأة وجهان لشيء واحد، فقدر المرأة الوجه الآخر لقدر الرجل، كما أن قدر الرجل هو الوجه الآخر لقدر المرأة، وأن **قضية تحرير المرأة تتضمن تحول القضية من أن المرأة جسد فحسب إلى الطور الذى تصبح فيه «المرأة إنسان له جسد»** والمرأة لا تصبح كذلك، ولا يكتسب جسدها بعده الإنسانى العميق إلا بقدر ما يحقق المجتمع تطورا إنسانيا عميقا، وبقدر ما يصبح الرجل انسانا كذلك. وحركة تحرير المرأة وجه من وجوه تحرير الإنسان، تحرير فكره كما فى الحركات **الديمقراطية، وتحرير عمله كما فى الحركات العمالية والاشتراكية، وتحرير جسده كما فى الحركات النسائية**[1].

٤- أن المرأة والرجل ما هما إلا وجها الإرادة الإنسانية، وكما قيل أن وراء كل عظيم امرأة، فكذلك يصدق القول أن وراء كل عظيمة رجلا، يشد أزرها، ويعينها على الكفاح، فأينما كان هناك سعى وكفاح، وإبداع، فلابد من تعاون بين المرأة والرجل.

(١) فرج أحمد فرج، المصدر السابق، ص ١٨٨.

المراجع

مراجع عامة:

١- الاتحاد النسـائي المصري، مـوجز سـجل عن أعمال جـمعـيه آلاتحاد الـنسائى المصرى من سنة ١٩٢٣ - ١٩٦١، **القاهرة**، ١٩٦١.

٢- مـجلس الأمة، دسـتـور الجمـهـورية المصرية الـصادر فى ٢٣ يونيـو ١٩٥١ «الموسوعة العربية للدساتير العالمية»، **القاهرة**، ١٩٦٦.

كتب ودوريات:

٣- حسن السـاعاتي، **علم الاجتـماع الصناعي**، دار النهضـة العربيـة، بيروت، ١٩٧١.

٤- رفـاعـة رافع الطهطاوي، **تخليـص الإبريز فى تلخـيص باريز**، طبـعة وزارة الإرشاد، ١٩٥٨.

٥- سامية الساعاتي، **الاختيار للزواج والتغير الاجتماعي**، دار النجاح، بيروت، ١٩٧٣.

٦- سامية الساعاتي، **الدور الوظيفى للزوجين فى الأسـرة المصرية**، دراسة ميدانية فى الريف والحضر، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٩٧٢.

٧- صـبحى تادرس قـريصة ومـحـمد على الليـثي، **مقدمة فـى الاقتصاد**، دار الجامعات المصرية، الاسكندرية، **١٩٦٩**.

٨- عبد الرحـمن الرافعي، **تاريخ الحركة القـومية وتطور نظام** الحكم فى مـصر، عصـر محمد علي، الجـزء الثالث، مكتبـة النهضة المصـرية، الطبعة الثـالثة، ١٩٥١.

٩- **فرج أحمد فرج**، المرأة والرجل والمجتمع، **مجلة الطليعة**، السنة الحادية عشرة عدد ٢٤، ١٩٧٥.

١٠- فوزية دياب، **القيم والعادات الاجتـماعيـة مع بحث ميدانى** لبعض العادات الاجتـماعيـة فى الجمهـورية العربية المتـحدة، دار الكاتب العـربي، القاهرة، ١٩٦٦. ط١

١١- قاسم أمين، **تحرير المرأة**، مكتبة الرقي، القاهرة، ١٨٩٩ .

١٢- قاسم أمين، **المرأة الجديدة**، مطبعة الشعب، القاهرة، ١٩١١ .

١٣- كريمة السعيد، تعليم البنت فى الجمهورية العربية المتحدة، **المؤتمر الأول للجامعيات العربيات**، اتحاد الجامعيات اللبنانيات من ٥ - ٨ مارس سنة ١٩٦٤ .

١٤- محمد شعلان، المرأة والثورة، **مجلة الطليعة**، السنة الحادية عشر، عدد ٢٤-١٩٧٥ .

١٥- محمد على حافظ وزينب محرز، **تعليم الفتاة فى الجمهورية العربية المتحدة**، وزارة التربية والتعليم، القاهرة، ١٩٦٥ .

١٦- مجد الدين حفنى ناصف، **تحرير المرأة فى الاسلام**، مطبعة أبى الهول، القاهرة ١٩٢٤ .

Gross, N, Mc Eachern, A, W., Mason, W.S. "Explorations in Role Analysis, Studies of the School Superintendency Role Wiley, New york, 1957.

الفصل الثالث

المعوقات الثقافية والمشاركة
التنموية للمرأة المصرية الريفية(*)

تمهيــد :

نحاول فى هذا الفصل تركيز الضوء على أهم المعوقات الثقافية التى تؤثر على المشاركة التنموية للمرأة المصرية الريفية، ويحتوى أولا على تحديد لأهم المفهومات الأساسية التى يتناولها البحث، وهى الثقافة، والمعوقات الثقافية للتنمية الريفية، والمشاركة التنموية للمرأة الريفية، والمرأة المصرية الريفية، ثم يشتمل ثانيا على أهم القضايا الأساسية التى تدور حول المعوقات الثقافية والمشاركة التنموية للمرأة المصرية الريفية،

أولا : المفهومات الأساسية للبحث :

١ـ الثقافة :

الثقافة ظاهرة تاريخية ويتحدد تطورها بتتابع النظم الاقتصادية الاجتماعية . وتتخذ الثقافة فى أى مجتمع طبقى، طابعا طبقيا سواء فيما يتعلق بمضمونها الأيديولوجى أو أهدافها العميقة[1] .

(*) بحث قدم فى مؤتمر، مشاركة المرأة الريفية فى التنمية، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ١٩٨٤ .

(١) الموسوعة الفلسفية، لجنة من العلماء والأكاديميين السوفييت بإشراف روزنتال ويودين، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة، ص ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٩٧٤ .

ومن المعتاد التمييز بين الثقافة المادية (أى الآلات والخبرة فى ميدان الإنتاج وغير ذلك من الثروة المادية)، والثقافة الروحية (أى المنجزات فى مجال العلم، والفن، والأدب، والفلسفة والأخلاق والتربية. . .إلخ). وتعد الأفكار التقاليدية (المتكونة والمنتقاة تاريخيا) وبخاصة ما كان متصلا منها بالقيم، هى قلب الثقافة، كما تعد الأنساق الثقافية، نتاجا للفعل من ناحية، كما يمكن النظر إليها بوصفها عوامل شرطية محددة لفعل مقبل.

٢ ـ المعوقات الثقافية للتنمية الريفية :

إذا انتقلنا إلى المعوقات الثقافية للتنمية بعامة، فإننا نقصد بها تلك القيم والعادات، والتقاليد التى تقف كحجر عثرة فى سبيل التنمية، وهى تمثل ألوانا من الثقافة غير المتطورة، بل والجامدة أحيانا من فرط ثباتها فى مجتمع دينامى متحرك فى مجموعه :

وتتمثل المعوقات الثقافية التى تؤثر على المشاركة التنموية للمرأة بشكل عام فى تلك القيم، والعادات، والتقاليد التى تنظر إلى المرأة على أنها أداة تزويد المجتمع بالسكان، وأن دورها فى المجتمع إنما يتحدد على أساس من خصائصها البيولوجية.

وتؤكد « كارن هورنى » (Karen Horney) هذا التأثير المتعاظم للثقافة على مفهومى « الرجل »، والمرأة فتذهب إلى حد القول بأن فكرة اعتماد المرأة الشديد على زوجها، وإبراز ضعفها، وأن لا حول لها ولا قوة، وأنها دائما تعيش فى كنف الذكور ورعايتهم، كل ذلك أساطير من صنع الثقافة وحدها،أى أنها مكتسبة اجتماعيا وليست فطرية، ولا متأصلة فى طبيعة المرأة [١].

٣ ـ المشاركة التنموية للمرأة :

لابد للتنمية من تسخير كل الطاقات المادية والبشرية، ولعل أهم عملية استثمارية تقوم بها أية دولة نامية ـ على الأخص ـ هى تنمية مواردها البشرية، والمرأة فى المجتمع ـ كما يقال عادة ـ تكون نصف الموارد البشرية التى يعتمد

(١) انظر سامية حسن الساعاتى، **الدور الوظيفى للزوجين فى الأسرة المصرية : دراسة ميدانية فى الريف والحضر**، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٩٧٢، ص ١٩٤.

عليها فى تنفيذ برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية، بالإضافة إلى دور المرأة فى تكوين شخصية أطفال المجتمع، أو بمعنى آخر فى تنمية الموارد البشرية الصغيرة[1].

ويقصد بالمشاركة التنموية تلك الجهود والإسهامات التى تبذلها المرأة سواء اتسمت بالطابع الاقتصادى أو الاجتماعى. والتى تؤدى إلى إحداث التغير الاجتماعى، وتسهم فى تحقيق درجة ما من التقدم الاجتماعي.

وتتأثر المشاركة التنموية للمرأة، بالوضع الثقافى السائد، والوافد إليها عبر التاريخ ـ كما يرى ماليوفسكى ـ وبما يظهر فى ثقافة المجتمع من اتجاهات فكرية تعكس أثرها على وضع المرأة ومكانتها، وبالتالى على دورها ومشاركتها التنموية.

وبقدر ما تكون المشاركة التنموية للمرأة مرتكزة أساسا على مهاراتها وقدراتها الفعلية من ناحية، وعلى ما يقدمه المجتمع من وعى لترشيد هذه المشاركة من ناحية أخرى، بقدر هذا كله تكون درجة التقدم التى تحرزها المرأة فى تنمية مجتمعها، فالمشاركة هى الوسيلة الأساسية للتنمية، ولابد أن يتوفر المناخ الثقافى المناسب لذلك من قيم وعادات، وأعراف، وتقاليد.

المرأة المصرية الريفية:

المرأة المصرية الريفية شأنها شأن الرجل سواء بسواء وهى ليست مقولة عامة مطلقة، بل هى مرتبطة بانتمائها الاجتماعى والاقتصادى، والفكرى، وتستمد قيمتها ومعناها من سياق اجتماعى تاريخى.

والمرأة الريفية فى مصر، كانت أكثر إسهاما فى التنمية الاجتماعية والاقتصادية من زميلتها الحضرية، وقد كانت تعمل مع الرجل فى الزراعة، ولم تعرف الحجاب، على العكس من المرأة الحضرية[2].

والمرأة المصرية الريفية ـ بوجه عام ـ **كثيرة الذرية، تحمل القسط الأكبر من تنشئة الأطفال الاجتماعية** منذ سن مبكرة، وهى بالإضافة إلى ذلك ذات دور بارز فى اقتصاديات الأسرة فهى **عاملة، ومشرفة، ومدبرة، ومسئولة** عن جعل البيت

---

(١) انظر التقرير النهائى لمؤتمر دور المرأة العربية فى التنمية القومية، القاهرة، ٢٤ ـ ٣٠ سبتمبر ١٩٧٢.

(٢) على حسن فهمى، العلاقة بين دور المرأة المصرية فى التنمية وتطور التشريعات الخاصة بالأسرة فى مصر، المجلة الاجتماعية القومية، عدد خاص عن المرأة، ١ ـ ٣، ١٩٧٧، ص ٩٣.

فى حالة مستديمة وثابتة من الاكتفاء الذاتى لا ينقصه شيء من المئونة، والمطالب التى تحتاجها الأسرة على مر فصول السنة.

والمرأة المصرية الريفية **تصنع الأغذية فى مقدمتها الخبز**، وتصنع فى كثير من **الأحوال الملابس التى** يحتاجها أفراد الأسرة، وبخاصة الإناث، وهى تنظف، وتغسل الملابس، وتربى الدواجن، وبعض الحيوان للإفادة من نتاجها، ولحومها، وصنع مستخرجات الألبان.

وإذا ارتأى رب الأسرة أن يمارس فى بيته صناعة من الصناعات التى تعد من اختصاص الرجال أساسا، **فإن زوجته وبناته**، فى حالات كثيرة، **يساعدنه فى العمليات** التى يستطعن القيام بها [1].

ثانيا: المعوقات الثقافية والمشاركة التنموية للمرأة المصرية الريفية: قضايا أساسية:

١ـ تختلف المعوقات الثقافية التى تؤثر على المشاركة التنموية **للمرأة المصرية الريفية**، عن مثيلاتها المؤثرة على المشاركة التنموية **للمرأة المصرية الحضرية المثقفة**، كما تختلف المرأة المصرية الريفية، عن المرأة المصرية الحضرية المثقفة فى مدى **وعيها بتلك المعوقات، ومدى تقبلها أو رفضها لها**.

٢ـ هناك عدة مؤشرات هامة تدل على أهمية **القيم، والعادات**، والعوامل **الثقافية بعامة، فى المشاركة التنموية للمرأة المصرية الريفية**، بعضها يتعلق **بحقوق الزوجة الريفية وواجباتها**، ويتعلق بعض ثان **بنظرة الرجل بعامة والزوج بخاصة، والمجتمع الريفى عادة إليها**، ويتعلق بعض ثالث **بنظرتها نحو نفسها، ووعيها بذاتها**؛ ويمكن إيجاز بعض هذه المؤشرات على النحو التالى:

(أ) الذكورة فى الثقافة الريفية تعنى **القوة والسطوة، والسيطرة والسيادة**، أما الأنوثة فتعنى **الضعف، والخضوع** والاستسلام لسيطرة الرجل.

(ب) المرأة المصرية الريفية تعمل من أجل الرجل، وتخدم من أجل الرجل، وتملك من أجل الرجل، أى **أنها تدور دائما فى فلك «رجولي»**، وحياتها دون

---

(١) انظر سامية حسن الساعاتى، دور المرأة فى المجتمع المصرى الحديث، **المجلة الاجتماعية القومية**، عدد خاص عن المرأة، المجلد ١٢، سبتمبر ١٩٧٥، ص ٩٢.

الرجل لا قيمة لها لأنها لا تكتسب قيمتها الاجتماعية إلا من خلاله، ولا يقيمها الناس إلا من خلال علاقتها به. وتقول الأمثال الشعبية: « ضل راجل ولا ضل حيط »، و« أبو البنات يناسب الكلاب »، « واللى عايز له سيد يجوز بنته ».

(جـ) مع أن الزوجة المصرية الريفية **أكثر كدحا من الرجل لكنها أقل مكانة**، فبينما وقت الزوج فى الريف، فى الفئات الكادحة، موزع بين عمالة قصيرة متكررة، وبطالة طويلة متكررة أيضا، فإن الزوجة على العكس منه لا تنعم بالراحة قط. إذ إن وقتها مشغول بشتى الأعمال المنزلية ورعاية الأطفال، وتربية الدواجن والأغنام،هذا فضلا عن مساعدتها لزوجها فى الفلاحة فى كثير من الأحيان.

ويلاحظ أن ما تملكه المرأة المصرية الريفية كزوجة، أو ما سوف ترثه من أرض أو عقار، أو حلى يستطيع الزوج أن يتصرف فيه، **وتعتبر الزوجة نفسها وما تملكه ملكا لزوجها.**

وقد أكد بحث مصرى أن اشتغال الزوجات الريفيات بأجر لا يغير من دورهن التقليدى فى الأسرة، وأن اشتراك الزوجة الريفية فى اتخاذ القرار إنما يرتبط بعوامل أخرى مثل مدة الزواج، وخلف الأبناء وبخاصة الذكور[1].

(د) إذا ما حللنا **علاقات القوة** (من يسيطر، ومن يخضع، ومن يتخذ القرار، ومن ينفذه، ومن له الكلمة الأخيرة، ومن له القيادة) بين الرجل والمرأة فى الثقافة الريفية التقليدية، **لوجدنا أن المرأة الريفية على العموم، ضعيفة، مقهورة**، تابعة، لا حول لها ولا قوة،مقابل الرجل الذى تعطيه تلك الثقافة السيطرة والحرية.

(هـ) النظرة إلى المرأة الريفية من خلال **الجنس وإنسال الأطفال**، وذلك لأن الزوج الريفى ومجتمعه يرون فى عقم الزوجة أمرا مهينا، ومن ثم يرفعون من قيمة الزوجة الولود ويقولون فى المثل « ربنا يجعلك شجرة تطرح وتملا المطرح ».

---

(١) انظر سامية حسن الساعاتى، الدور الوظيفى للزوجين فى الأسرة المصرية، المصدر السابق، ص٦٢٨.

(و) موقف الزوجة الريفية الضعيف تحت التهديد المستمر بحق **الرجل فى الطلاق أو الزواج من أكثر من واحدة تجعل** المرأة الريفية تهتم اهتماما خاصا بزيادة عدد الأطفال تدعيما لمركزها، وحماية لأسرتها.

(ز) **يفضل الريفيون عدم خروج المرأة خارج منزلها،** كما يوحى لها المجتمع بأن عدم خروجها أفضل لها، بل إنه يرفع شأنها لدى الآخرين، وتؤكد ذلك الأمثال السائرة مثل « قعدتى بين أعتابى، ولا قعدتى بين أحبابى »، و «اللى يخرج من داره يتقل مقداره ».

(ح) الزوجة الريفية ــ فى الغالب ــ **لا تختار قرينها،** لأن أمر الزوج متروك للأسرة التى **يرأسها الأب،** فالزواج فى القرية المصرية ــ وإلى درجة واضحة بين **أسرتين أكثر منه اتحاد بين فردين.**

(ط) للرجل القروى **الحق فى طلاق زوجته** فى أى وقت يشاء ولأى سبب يراه.

(ك) وجود **ظاهرة تعدد الزوجات** التى تدلل على تحكم الرجل فى المرأة، وإن كانت بعض الدراسات القروية فى مصر تشير إلى اتجاه معدلات الطلاق نحو الارتفاع؛ ذلك أنه أصبح هو الأسلوب المفضل للزواج من أخرى نتيجة لضغط الظروف الاقتصادية[1].

(ل) **ينظر المجتمع الريفى إلى المرأة نظرة تجعلها أدنى من الرجل** ويؤكد أن المرأة شخص يجب ألا يوثق به أو يعتمد عليه، أو يستشار فى أمر من الأمور [2]، ويكفى أن نعرف أن أسوأ إهانة توجه لرجل فى ظل الثقافة الريفية التقليدية وصفه أنه « امرأة ».

(م) **لا تجد المرأة المصرية الريفية فى نفسها أى صراع بين المتوقع والمتحقق،** ولا تستشعر فى أدائها لدورها أدنى مشاعر الاغتراب، فالرجل فى نظرها كامل الإرادة والسيطرة، والمرأة أدنى منه، وأقل فى إرادتها وقدرتها، وحياتها تعتمد عليه، وهو سيدها، وما هى إلا خادمة له.

(١) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء، **الزواج والطلاق فى مصر**، أول نوفمبر ١٩٧٤، ص ١٣.

(٢) من الأمثال الشعبية التى تؤكد ذلك « الراجل ابن الراجل اللى عمره ما يشاور مرة »، و « عمر المرة ما تربى طور ويحرث ».

وعلى هذا النحو من التدريب والتعويد، وغرس الأفكار تنشأ المرأة الريفية على الإيمان بقيمة الطاعة، وبذلك لا تشعر بأية غضاضة ولا تأفف من سيادة زوجها عليها، ومن طاعتها له ولأهله، بل والغالبية العظمى من النساء الريفيات يكرهن سلوك المرأة قوية الشخصية التى تكثر من الاعتراض والمناقشة [١].

- **نسبة الأمية العالية بين النساء فى مصر تعد معوقا أساسيا أمام المرأة المصرية، وبخاصة المرأة الريفية**، حيث ترتفع النسبة ارتفاعا كبيرا، فالمرأة الأمية لا تستطيع أن تشارك فى التغير الاجتماعى ولا فى التنمية بالقدر الذى تستطيعه لو أنها تعلمت.

- تلجأ المرأة المصرية الريفية إلى السحر والخرافات فى حل كثير من المشكلات التى تعترضها فى حياتها [٢]، وفى هذا تعويق كبير لمشاركتها التنموية وبخاصة ما يتعلق بتنشئتها لأبنائها ومعاملتها لزوجها.

نحو زيادة المشاركة التنموية للمرأة المصرية الريفية : اقتراحات وتوصيات :

١- لازلنا نبحث شئون المرأة الريفية من مكاتبنا فى **القاهرة**، ونفتقد وجود المرأة الريفية بنفسها معنا، فإذا ما أردنا حقا، زيادة فى المشاركة التنموية للمرأة الريفية، فلابد أن توجد **ممثلات للمرأة الريفية** يتحدثن من واقع حياتهن، وهمومهن، وتجاربهن عن المشاركة التنموية؛ وبذلك نصبح **أكثر فهما للواقع الاجتماعى والاقتصادى والثقافى للمرأة المصرية الريفية.**

٢- البدء من الأساس، أى تدعيم **ما يسمى بالتنمية الأساسية**، فالملاحظة بالمشاركة، والالتحام بالنساء الريفيات فى بيئتهن يكسبنا القدرة على فهم واقعهن، والوقوف على المعوقات الحقيقية الفعالة للمشاركة التنموية للمرأة الريفية.

٣- تأكيد **لامركزية البحث والتخطيط المحلى** أى على مستوى المحافظات، **ومركزية التخطيط الشامل**، وتوزيع الميزانية على المحافظات فى ضوء ذلك.

---

(١) انظر فوزية دياب - القيم والعادات الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٠، ص ٢٥٨.

(٢) انظر سامية حسن الساعاتى، السحر والمجتمع، دراسة نظرية وبحث ميدانى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٢، ص ١٨١.

٤- أن يكون هناك قسم أو إدارة للبحث والتخطيط الاجتماعى فى كل محافظة يعمل جنبا إلى جنب مع إدارة أخرى للإحصاء. وأقترح أن يهتم **المركز القومى للبحوث الاجتماعية** بهذه القضية فيتصل بالمحافظات ويقنعها بهذه الفكرة، على أن يختار ويدرب لهم من يعملون فى هذه الإدارات.

٥- **تخلف المشاركة التنموية للمرأة المصرية الريفية مرتبط بتخلف الرجل، وأن تخلفهما معا هو نتاج القرية المصرية المتخلفة،** لذلك فإن المدخل الطبيعى يأتى من تنمية القرية المصرية تنمية اجتماعية واقتصادية **شاملة**، أى أن تتوجه التنمية **نحو كل الطبقات والفئات والجماعات مشاركة وعائدا.**

٦- تهيئة سياق وفرص مواتية للمرأة لنجاح مشاركتها التنموية بصورها المختلفة على النحو المطلوب لها **مجتمعيا وشخصيا،** بمعنى أنه إذا خطط لها لأداء أدوارها خارج البيت، فلابد من التخطيط لأداء أدوارها فى البيت كأن توفر لها الخدمات الأساسية، ودور الحضانة... إلخ.

٧- **التركيز على رفع الوعى النسائى الريفى، والكفاءات النسائية الريفية. فى دائرة نسائية مغلقة منفصلة عن المشاكل الأساسية للمجتمع الريفى، لا يساعد كثيرا على تحسين الموقف،** وربما يؤدى، وبخاصة على المدى البعيد، إلى المقاومة والاستفزاز، وتعويق عملية التخطيط، **والأجدى أن تواكبها تغييرات مجتمعة أخرى اقتصادية واجتماعية،** كأن نطالب **بالتعليم للقرية**، وبداخله تعليم المرأة، وبالخدمة الصحية للقرية وبداخلها الخدمة الصحية للمرأة.

٨- تشجيع المثقفات المصريات الريفيات النشأة اللائى سرعان ما ينسين القرية بعد تخرجهن من الجامعات والمعاهد، أو إرسالهن إلى بعثات، لخدمة قراهن، فهن أولى بالمشاركة التنموية الريفية من المثقفات اللائى يعقن التغير التنموى بسبب جهلهن بطبيعة المجتمع الريفي، واصرارهن على استعارة صيغ أوروبية أو أمريكية لا تتلاءم مع واقعنا الاجتماعى.

٩- وجوب الجمع بين محو الأمية الأبجدية ومحو الأمية السياسية بالنسبة للمرأة الريفية بمعنى مساعدتها على الربط بين حياتها اليومية والحياة السياسية العامة حتى تتخلص من التخلف الذى تعيش فى إطاره.

المراجع

١ـ **التقرير النهائى لمؤتمر دور المرأة العربيـة فى التنمية القومية**، القاهرة، ٢٤- ٣٠ سبتمبر ١٩٧٢.

٢ـ **الجهاز المركـزى للتعبئـة العامة** والاحصـاء، **الزواج والطلاق فى مـصـر**، أول نوفمبر ١٩٧٤، ص ١٣.

٣ـ **الموسوعة الفلسفية**، نخبة من العلمـا والأكاديميين السوفيـيت بإشراف روزنتال ويودين، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة.

٤ـ سامية حـسن الساعاتي، **الدور الوظيـفى للزوجين فى الأسرة المصـرية**: دراسة ميـدانية فى الريف والحضـر، رسالة دكتـوراه غير منشـورة، جامعـة القاهرة، ١٩٧٢.

٥ـ سـاميـة حـسن الساعـاتي، دور المرأة فى المجـتمع المـصرى الحـديث، المجلة الاجتماعية القومية، **عدد خاص عن المرأة، المجلد ١٢**، سبتمبر ١٩٧٥.

٦ـ سامية حسن الساعاتي، **السحر والمجتمع**، دراسة نظرية وبحث ميداني، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٢.

٧ـ على حسن فهمي، العلاقة بين دور المرأة المصـرية فى التنمية وتطور التشريعات الخاصة بالأسرة فى مصر، المجلة الاجتماعية القومية، **عدد خاص عن المرأة، ١ - ٣، ١٩٧٧**.

٨ـ فـــوزية دياب، **القيم والعادات الاجتـماعية**، دار النهضــة العربيــة، بيروت، ١٩٨٠. ط٢.

الفصل الرابع

دور المثقفات المصريات فى التغير الاجتماعى(*)

تمهيـد :

يركز هذا الفصل على معرفة دور المثقفات المصريات فى التغير الاجتماعى، لذا يجدر بنا تحديد المفهومات الأساسية فى هذا البحث.

فالدور يمكن تعريفه على أنه السلوك المتوقع من شـخص يشغل مركزا معينا ولكل دور متطـلباته وخصـائصه. فـمن ناحية نجـد أن هناك توقعـات من الأفراد لسلوك شخص يشغل مركزا ما (وهذه التوقعات تكون مشروطة ومتأثرة بالمعتقدات الشائعة) ومن ناحية أخرى نجد أن هناك قواعد سلوكية تنمط سلوك الشخص الذى يحتل مركزا معينا (١)

والدور فى نظرنا هو مجمـوعة مواصفات تحدد ما ينبـغى أن يفعله الشخص كشاغل مـركز معين على مسـتوى المجموعة الصـغيرة، أو المجتمـع الكبير. وهذه المواصفات قـد يضعها للشـخص المجموعة الصـغيرة، أو قد يحددهـا له المجتمع الكبير فى شكل معايير وقيم، أو قد يرسمها الشخص نفسه لنفسه، متخذا فى هذه الحالة صورة توقعاته هو نفسه عن متطلبات هذا الدور المتصل بمركز معين.

ويشتمل تحليلنا الإجرائى المتكامل للدور على ثلاثة تعريفات فرعية : **الدور المعيارى** Normative role، ونقصد به مـجموعة المواصفـات أو المتطلبات النابعة

(*) بحث قدم فى الندوة الدولية عن: **المثقـفون والتغـير الاجتـماعى فى العـالم العربي**، مركـز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، القاهرة ٣-٦ ديسمبر ١٩٧٩.

(١) International Encyclopedia of the Social Sciences, 1971, Vol. 13

من المجتمع أو من الثقافة بعامة، والتى ترسم للأشخاص أدوارهم فى حدود مراكزهم المتباينة. والقيم هنا جزء لا يتجزأ من هذه المواصفات.

الدور المتوقع Expected role وهو مجموعة من المواصفات التى يتطلبها الأنا من الآخر (والعكس صحيح أيضا) فى موقف تفاعل يتأثر بالثقافة الفرعية لكل منهما.

الدور الوظيفى Functional role، وهو الدور الفعلي، أى سلوك الدور فعلا أو أداؤه. وهو يؤدى وظيفة التوافق مع الثقافة العامة أو الفرعية المجموعية أو الجماعية Group or Communal قد يتمشى الدور الوظيفى مع الدور المعياري، والدور المتوقع، وقد لا يتمشى مع أحدهما أو كليهما كما أنه قد يسايره بدرجات متفاوتة[1]. وسوف ينعكس تحليلنا الإجرائى السالف الذكر على رؤيتنا لدور المثقفات المصريات فى التغير الاجتماعى كما سنرى فى الصحفات القادمة.

أما المثقفات المصريات فاقصد بهن تلك الصفوة من المتعلمات فى مصر، وبخاصة أولئك اللائى تبنين موقفا ثوريا تجديديا، من الأفكار والتقاليد السائدة فى مختلف مجالات العلم، والأدب والفن والسياسة، وغيرها، وهؤلاء فى الغالب جزء من الطبقة الوسطى[١، ٢].

---

(١) انظر سامية حسن الساعاتي، **الدور الوظيفى للزوجين فى الأسرة المصرية** - رسالة دكتوراه غير منشورة - جامعة القاهرة، ١٩٧٢، ص ٩٠-٩٥.

(٢) استخدام تعبير: المثقفون Intelligentsia فى روسيا فى منتصف القرن الماضي، وكان يطلق على الصفوة المتعلمة التى تلقت تعليمها فى الجامعات الأوربية الغربية على الخصوص أو فى الجامعات الروسية الحديثة. وكانت الكلمة تطلق على من سموهم «زبدة الصفوة» وهم الكتاب والنقاد الأدبيون وأساتذة الجامعات والعلماء، ثم أصبحت تطلق على رجال القانون والمعلمين، ثم على وجه الخصوص الأطباء. ولما كانت الدكتاتورية سائدة فى روسيا آنذاك، واستمرت سائدة حتى سنة ١٩٠٥، وكانت حرية الرأى مقيدة طيلة هذه الفترة، فقد امتد معنى الكلمة ليشمل كل من يعارضون سياسة روسيا السياسية والاجتماعية من المعلمين.

وانتشرت الكلمة من روسيا إلى كل جهات أوربا الغربية وكذلك بعض الدول الشرقية كالهند الصينية والهند ومصر. فمثلا فى مصر، كان الكتاب الأجانب يشيرون منذ سنة ١٩٠٠ على الخصوص إلى دور «المثقفين» المصريين فى السياسة، كقاسم أمين وسعد زغلول وعمر لطفي، ومصطفى كامل.. وغيرهم من أبناء ذلك الجيل كانوا يعدون من الصفوة المثقفة، وفى الدول العربية انتشرت الكلمة لتعنى «صفوة صغيرة» من الكتاب والشخصيات المثقفة الكبري. =

ويقصد بالتغير الاجتماعى أنواع التطور التى تحدث تأثيرا فى النظام الاجتماعى أى التى تؤثر فى بناء المجتمع ووظائفه. وما دام الانسان كائنا اجتماعيا، فان التغير الاجتماعى معناه التغير الإنساني، وكل تغير فى المجتمع ينعكس آثره على الإنسان بالضرورة(١). وقد شغل الاجتماعيون المحدثون بمسألة ضبط عملية التغير الاجتماعى والتحكم فيها وتوجيهها فى اتجاه يحقق أمانى المجتمع وآماله وظهر اصطلاح التنمية Development ليعنى ذلك الكل المعقد من الإجراءات والعمليات المتتالية المستمرة التى يقوم بها الإنسان للتحكم بقدر ما، فى متضمنات واتجاهات التغير الثقافى والحضارى فى مجتمع من المجتمعات وكذا فى سرعته بهدف إشباع حاجاته(٢)

خلاصة القول أن هذا البحث ينصب على الدور الفعلى الذى قامت به المثقفات المصريات وأثر هذا الدور فى التغير الاجتماعى وبخاصة فى عملية التنمية التى تهدف إلى نقل المجتمع المصرى من مجتمع تقليدى إلى مجتمع متقدم فى أساليب الإنتاج وفى العلاقات الاجتماعية. وجدير بالذكر أن الدور الفعلى للمثقفات المصريات كان كثيرا ما يتعارض مع الدور المعيارى الذى حددته لهن

= ولقد أصبحت تلك «الصفوات» فى كل بلد أوربي، وكأنها تكون جسما أو هيئة واحدة. ولها تأثيرها الضخم فى الشئون السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى بلدها. وكان لهذه الصفوات أماكن تشهد ندواتها مثل الحى اللاتينى فى فرنسا، أو بار اللواء وغيره من الأماكن التى كانت منتديات للصفوة المصرية إبان هذا القرن.

وتجب الإشارة إلى أن صفوة المثقفين هذه لا تكون طبقة مقفلة عليها بل هى عادة جزء من الطبقة المتوسطة، وليس ثمة فواصل قاطعة، أو محددة بينها وبين الطبقة المتوسطة عموما، كما أنه ليس ثمة فواصل بينها وبين طبقة أصحاب المهن الحرة، إذ لوحظ أن الصفوة تنشأ دائما مع طبقتها، وتظل تشعر دائما بشعورها، ولا تفصل تفكيرها من تفكير تلك الطبقة.

(٢) معجم العلوم الاجتماعية، تصدير ومراجعة دكتور ابراهيم بيومى مدكور، اعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥، ص ٥١٤ - ٥١٥.

(١) المصدر نفسه، ص ١٦٥.

(٢) انظر عبد المنعم شوقي، مفهوم التنمية : صياغة محددة للمشكلة (بحث غير منشور) مؤتمر علم الاجتماع والتنمية فى مصر، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة (٥-٨ مايو ١٩٧٣).

الثقافة المصرية Total Egyptian Culture ومع الدور المتـوقـع أى فكرة الرجل عنها، وتوقعاته منها.

ولابد لأى بحث من إطار زمنى تدور فى فلكه أهم أحداثه وحقائقه وسوف نقصر بحثنا على دور المثقفات المصريات فى التغير الاجتماعى فى مصر فى العصر الحديث، ونقصد بالعصر الحديث السنوات التى مـرت منذ أواخر القـرن التاسع عشر حتى الآن.

دور المثقفات المصريات وحركة تحرير المرأة فى المجتمع المصرى الحديث :

رؤية تحليلية :

إن إسهام المثقفـات المصريات الحقيقى فى عملية التغـير الاجتماعى وبالذات فى عمليـة التنمية لا يمكن تتبع مـساره إلا من خلال خروج المصـريات إلى العمل خـارج بيوتهن وتكسـبـهن. وذلك بعد تعلـمهن فى مـختلـف مراحل التـعليم، وتحررهن فكريا بالتدريج.

إن دور المثـقفـات المصريات هو الوجـه الآخر للعـملة لقضـية تحـرير المرأة المصرية، ولما كانت قـضية المرأة ترتبط إلى درجة كـبيرة بالتغـير الجذرى فى النظام الاقتصادى من حيث تشغيل النساء فى شتى المجالات وفى نطاق واسع، فإنه لابد من القول بادئ ذى بدء أن نمو الصناعـة فى مصر لم يأخذ شكل ثورة صـناعية أو انقلاب صناعى مثل الذى حدث فى إنجلترا مثـلا، فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وإنمـا بالتدريج البطيء أحيانا والسـريع نسبيا أحـيانا اخرى كمـا حدث فى الخمسـينيات والستينيات من سنوات ثورة ٢٣ يولـيو. . وعلى الرغم من ذلك فإن النمو الصناعى فى مصر وبخاصة فى إطار سـياسة التصنيع التى أخذت بها الدولة بعد سنوات قلـيلة من بدء الثورة (١٩٥٢)، كان له كـثير من الآثار المماثلة لتلك التى ظهرت فى كثير من الدول الأوربية التى حدث فيها الانقلاب الصناعي، ذلك الانقـلاب الذى نجم عنه أهم ظاهرة اجتـماعـية فى العـصر الحـديث وهى ظاهرة خروج المرأة إلى العمل، لأن عملها خارج بيتـها لم يعفها من أداء دورها الرئيسى فى الأسرة، بل إنه اضاف إلى هذا الدور دورا هاما، هو دور التكسب من العمل، الذى كان من قبل وقفا على الذكور وحدهم دون الإناث. وقد واكب هذه الظاهرة

ظاهرة أخرى أشد أثرا - فى رأينا - فى قضية تحرير المرأة، تلك هى تعليمها فى مختلف مراحل التعليم وتحررها الفكرى بالتدريج.

لقد كانت هذه الظواهر الثلاث وهى تعلم المرأة، وتحررها واشتغالها هى المسئولة عما صار يعرف «بالانقلاب النسوي» الذى امتاز به القرن العشرين، والذى ظهرت آثاره واضحة للعيان فى كل مكان.

ومما لاشك فيه أن تعليم المرأة فى جميع مراحل التعليم بما فى ذلك مرحلة التعليم العالى فى المعاهد والجامعات، هو الذى دفع عجلة التغيير النسوى فى مصر دفعة قوية، ذلك لأنه أوجد عند المرأة وعيا واضحا بذاتها ومركزها ومكانتها، ودورها فى المجتمع بعامة، وفى الأسرة بخاصة.

وقد ترتب على تحرير المرأة، تخلصها تدريجيا وبدرجات متفاوتة من سيطرة الرجل وسلطان التقاليد، والحرمان السياسى الذى كان مفروضا عليها، كما ترتب عليه أيضا تشغيلها فى مختلف المهن المتخصصة سواء ما كان منها صناعيا، أو زراعيا، أو تربويا، أو طبيا، أو تشريعيا، أو تنفيذيا أو غير ذلك من المهن التى كان يعتقد أنها وقف على الرجل وحده.

وقد كان ذلك فى الوقت نفسه مصاحبا لظاهرة الحد من الفروق الطبقية؛ **لأن التعليم وبخاصة التعليم العالى أتيح أول ما أتيح لبنات الطبقات المتوسطة ثم الراقية.** وما أن انتشر تعليم الفتيات بين هاتين الطبقتين حتى انتشرت من بعد ذلك ظاهرة اشتغالهن بشتى المهن خارج بيوتهن.

ونجم عن ذلك أن الفجوة التى كانت تفصلهن عن فتيات الطبقة الدنيا العاملات أخذت تضيق شيئا فشيئا على مر السنين، وذلك للتفاعل الاجتماعى الحادث فى المجتمع الجديد، الذى دفع بكل من الطبقة الدنيا من جهة والطبقتين العليا والوسطى من جهة أخرى، إلى التقارب إلى درجة كبيرة فى مستوى وسيط **هو مستوى الطبقة العاملة أى الطبقة الدنيا المتطلعة الواعية؛** ذلك لأنه لا يمكن إنكار أن التقدم الاجتماعى الاقتصادى الحديث فى كل المجتمعات المتقدمة، قد أدخل على الطبقة الوسطى والطبقة العليا. مظاهر معينة كانت لحقب كثيرة تعد من

خصائص الطبقة العاملة أى الطبقة الدنيا وحدها[1]. ومن بين هذه الخصائص اشتغال نساء الطبقة الوسطى بالوظائف الكاسبة، أى التى تدر دخلا منتظما ذا قيمة يعتمد عليه، وذلك نتيجة ضعف ثم تلاشى ظاهرة توريث المرأة دخلا ثابتا من أرض زراعية أو عقار، أو استثمار مال معين. وهى ظاهرة كانت شائعة إن لم تكن عامة، بين أسر الطبقتين العليا والوسطى. وهكذا حلّ محل ظاهرة تأمين مستقبل المرأة على هذا النحو، تعليمها فى مختلف مراحل التعليم وتوظيفها، وقد أصبح هذ النظام الجديد من الأنظمة الشائعة فى النسق الاجتماعى الشامل فى المجتمع المصرى الحديث.

أما تحرير المرأة الذى تمثل فى مساواتها بالرجل فيما يتعلق بممارسة حق الانتخاب فقد كان ثمرة تعليمها، وخروجها للعمل واشتغالها بشتى الوظائف.

وجدير بالذكر أن ما حدث من تغير نتيجة لخروج المرأة المصرية المتعلمة المتخصصة الواعية من بيتها للعمل فى مختلف ميادين الإنتاج والخدمات يشبه ما حدث للمرأة فى المجتمع الغربى الحديث، ولكن مع تفاوت فى الدرجة والشدة.

خلاصة القول أننا نود أن نوضح أن تعليم المرأة فى مصر فى العصر الحديث وبخاصة التعليم العالى المتخصص كان هو مفتاح تحررها ونهضتها ووعيها، والدليل على ذلك أن رائدات التحرر فى مصر كن من المثقفات المتعلمات الواعيات[2].

(١) كان هناك تردد كبير فى نشر تعليم الفتاة فى مصر، وفى إتاحة الفرصة لخروجها للعمل (وبخاصة فى سنوات ما قبل الحرب العالمية الأولى) ذلك لأن العلم فى أول الأمر، كان ينظر اليه الكثيرون على انه ليس بذى قيمة أو أى نفع للمرأة، بل إنه كان يخشى منه فى أن يصرفها عن قيامها بدورها فى بيتها، الذى لم يكن يتصور عندئذ أنه كان يستغنى عنها فى تدبر أى شأن من شئونه. هذا فضلا عن أن خروج المرأة للعمل كان إهانة لرب الأسرة، لأنه دليل على عجزه عن إعالة أسرته، ولهذا لم تكن تخرج للعمل إلا المرأة الفقيرة أو التى فقدت عائلها. وكانت فى هذه الحالة تعمل وهى مجبرة، ومتأثرة فى قرارة نفسها بالقيم المسيطرة على المجتمع حينئذ، وهى أن الفقر مذلة والعمل مهانة، فتعمل وهى غير راغبة فى عملها، وتنعى طول الوقت حظها وظروفها. ولذلك تختار من العمل ما تستطيع أداءه وهى محجوبة بقدر الامكان عن الناس مثل الخدمات الشخصية التى تزاولها داخل المنازل، وفى نطاق ضيق محدود وبطريقة غير منتظمة، تحت إشراف ربات البيوت. كذلك كان لظهور بعض الصناعات، كصناعة الغزل والنسيج والأطعمة، ودبغ الجلود، أثر ملحوظ فى إتاحة الفرصة لبعض النساء للخروج إلى العمل فى المصانع، لا من قبيل التحرر فى الفكر ولكن انتهازا لفقرهن وحاجتهن للعمل، واستغلالا لطاقتهن الإنتاجية بأجور زهيدة، لتحقيق الكسب الكبير لأصحاب الأعمال من الرأسماليين.

(الباحثة)

(٢) انظر الفصل الثانى

ولايمكن لنا أن نعرض لدور المثقفات المصريات فى التغير الاجتماعى فى مصر، فى العصر الحديث، بمعزل عن هذا الصراع الفكرى بين اتجاهين جد متعارضين:

أولهما: اتجاه تقليدى قديم راسخ ذو جذور ضاربة فى أعماق المجتمع ويستمد قوته من الأشكال التقليدية لعلاقات الإنتاج التى سادت مصر زمنا طويلا.

ثانيهما : اتجاه عصرى تجديدى عبر عنه عدد من المثقفين والمستنيرين ابتداء من رفاعة الطهطاوى إلى علي مبارك وجمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وقاسم أمين، ومنصور فهمي، ولطفى السيد وطه حسين وغيرهم.

معوقات فى طريق المثقفات المصريات:

تجابه المثقفات المصريات بعض المعوقات والمشكلات التى يمكن إجمالها فيما يلى

(١) **الشعور بالاغتراب** : والاغتراب ببساطة هو أن يفقد الإنسان ذاته، أى أن يصبح غريبا عنها [1]. وتعانى المثقفة المصرية بوجه عام اغترابا شديدا لأنها تنتقل اليوم من عهد التبعية الضعيفة المسحوقة المقهورة، إلى عهد التبعية المبدعة القوية.

والمثقفة المصرية تقع فى حيرة شديدة واغتراب أشد لأنها تجد نفسها مطالبة بالشىء وعكسه فمطلوب منها أن تتعلم وتتكسب وتستقل، ولكنها إذا أبدت ممارسة حقيقية لهذا الاستقلال فإنها تعوق بكل الطرق.

أنها تتعلم وتقضى سنوات وسنوات فى تحصيل العلم، لأنها مطالبة بذلك ولكنها تقيم فى الوقت نفسه - عند الزواج - بالمقاييس التقليدية القديمة، من حيث تفضيل كونها صغيرة السن مثلا، وغيرها من المقاييس التقليدية لذلك نجد أنه على الرغم من علمها وتفوقها، وعملها، إلا أنها أحيانا ماتتزوج بلا إرادة ولا اختيار، قبل أن يفوتها القطار، لأنها تقلق على نفسها قلق المرأة التقليدية التى لم تتعلم.

---

(١) انتهى ماركس إلى هذا المعنى للاغتراب فى كتابه مخطوطات اقتصادية وفلسفية عام ١٨٤٤، حين كان بصدد الفحص النقدى لوضع العامل فى المجتمع الرأسمالى.

إن المثقفة المصرية تتعلم وتعمل مثل الرجل تماما ولكنها مازالت تقيم من حيث هى جسد ناقص أو عاجز، أو فاتن [1].

(٢) **صراع الأدوار :** أطلق هذا الاصطلاح ليعنى تلك الصراعات التى يدركها الأفراد المتعرضون لها، كما أنه يعنى ذلك الموقف الذى يدرك فيه شاغل مركز معين، أنه مواجه بتوقعات متباينة. ويرى «سبيجل Spiegel» أن هذا الاصطلاح يشير إلى ذلك **الموقف الذى تقع فيه الأنا فى اختيار صعب أو مستحيل بين دورين مختلفين.**

وتنطبق كل هذه التعريفات لصراع الأدوار على **المثقفة المصرية فى المجتمع الحديث فهى تدرك أنها فى صراع، كما أنها مواجهة بتوقعات متباينة من زوجها، ومن رؤسائها فى العمل. كما أنها تقع فى اختيار أصعب بين دورها كامرأة وزوجة، وعاملة.**

والأدوار ماهى إلا نتاج لتفاعل اجتماعى سابق، لكنها توجه التفاعل الحالي. وفى المجتمع التقليدي، حيث التغير الاجتماعى فى أدنى حدوده، كان الجيل الأصغر يتقبل توقعات الجيل الأكبر دون مناقشة. أما فى المجتمع الحديث، فإن كثيرا من الناس غير قادرين على العيش وفق متطلبات أدوارهم، فقد تغيرت مواقف الحياة بشكل يجعل كثيرا من أنماط الدور غير ملائمة.

ولقد كانت واجبات وحقوق المرأة فى المحتمع التقليدى محددة واضحة المعالم فى الماضى، أما الآن فقد اعتراها كثير من الخلط، مما جعل الكثير من النساء المثقفات فى مصر اليوم غير متأكدات من أدوارهن الفعلية.

إن المثقفة المصرية الحديثة هى التى تواجه ذلك القدر الكبير من الخلط والفوضى فيما يتعلق بدورها، وذلك يعود ببساطة إلى أن دورها كامرأة مثقفة هو الذى تغير جذريا، إذا ما قورن بدور الرجل، فلم يعد للمرأة المثقفة الحديثة ذلك الاستمرار المحدد فى الدور. فبالاضافة إلى أدوارها التقليدية، فإنها مطالبة بدور الكاسبة الواعية فى عملها،

---

(١) انظر فرج أحمد فرج، المرأة والرجل والمجتمع، الطليعة، السنة الحادية عشرة عدد ٢٤، ١٩٧٥، ص١٨٤.

والشريكة والصديقة لزوجها، والطاهية ومربية الأطفال ومديرة المنزل فى بيتها، وكل ذلك يزيد مشكلة التكيف لديها.

(٣) الخلط فى تعريف أدوار الرجل والمرأة :

ذلك أن التعريفات الجديدة لدور المرأة المثقفة، وبخاصة كزوجة وأم، تتطلب **تكيفا مصاحبا من الرجل**، وبخاصة الزوج والأب. وقد تشكل هذه التعريفات تهديدا لأنا الرجل، وخصوصا أن أنماط الدور التى بقيت قرونا طويلة، **كانت مبنية على قوة الذكر الاقتصادية والاجتماعية، والقانونية.**

ولما أصبحت المرأة المثقفة تمارس قوة أكبر من تلك التى كانت لها من قبل أضحى الكثير من الرجال، والبعض من النساء يجدون مشقة فى تقبل الأدوار الجديدة [١].

(٤) نسبة الأمية العالية بين النساء فى مصر :

وهى معوق أساسى فى طريق المثقفات المصريات، لأنهن لن يجدن صدى لنشر دعوتهن، وتأثيرهن الثقافى بين نساء جاهلات غير واعيات، بالإضافة إلى أن المرأة الأمية لا تستطيع أن تشارك فى التغير الاجتماعي، وفى التنمية بالقدر الذى تستطيعه لو تعلمت. وجدير بالذكر أن نسبة الأمية بين الإناث فى مصر قد بلغت فى عام ١٩٦٠، ٨٤٪، ثم انخفضت فى عام ١٩٧٦ إلى ٧١٪ [٢].

---

(١) ظهر من تقرير للأمم المتحدة عن التكامل النسائى ودوره فى التنمية فى البلاد النامية، أن من أهم معوقات اشتراك النساء فى عملية التنمية فى هذه الدول عاملين هامين هما :

(أ) الاتجاهات التقليدية نحو دور المرأة فى المجتمع.

(ب) الاعتقاد بأن عمل المرأة شيء ثانوى.

انظر : United Nations : Headquarters Report of the Inter-regional Meeting of Experts of the Integration of women Development Sales No.E.73.LV,12June 1971.

(٢) انظر : نوال السعداوى، الوجه العارى للمرأة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٧، ص١٢١

(١) انظر : Spiegel, John P., "The Resolution of Role Conflict Within the Family",in Bell and Vogel (ed.).A Modern Introduction to the Family, the Free Prss, New York, 1968.

خاتمة وتعليق:

حاولت فى الصفحات السابقة أن أحدد معالم واضحة وموجزة لخطى المثقفات المصريات **على طريق التغير الاجتماعى**. ولعلى قد استطعت من خلال تصور شامل **يأخذ بالوحدة**، ويستلهم **المنظور التاريخى** الذى يرى الأشياء **جميعها فى حركة دائمة، وصيرورة لا تتوقف ـ أن أضع قضية المثقفات المصريات داخل إطارها الصحيح.**

وأستطيع أن أوجز خلاصة ما أردت تقديمه فى الصفحات السابقة فى الأفكار الآتية:

(١) **أن هناك فرقا بين مثقفة ومثقفة، فهناك مثقفات رائدات يتقدمن** المسيرة ويسهمن إسهامات رائدة كبرى فى التغير الاجتماعى فى مصر، وهناك **مثقفات تاليات،** جئن بعدهن. تاريخيا ـ وأسهمن **إسهامات لا يمكن التقليل** من شأنها، وهناك **مثقفات سلبيات** قد لا يسهمن فى التغير الاجتماعى بنصيب يذكر، **ومثقفات معوقات**، وهؤلاء يعقن مسيرة التغير الاجتماعى إلى التقدم بما لهن من أفكار وآراء ومعتقدات رجعية. وهناك **مثقفات يعقن** التغير إلى التقدم بشكل آخر، وذلك بسبب جهلهن بطبيعة المجتمع المصرى، وإصرارهن على استعارة صيغ غربية، أوربية أو أمريكية، لا تتلاءم مع واقعنا الاجتماعى والاقتصادى.

(٢) إن المثقفات المصريات يدخلن فى **علاقة جدلية مع المجتمع المصرى،** فهن إفراز المجتمع المصرى، ونتاج له من جهة، وهن من جهة أخرى مؤثرات فيه ومغيرات له.

(٣) إن تعلم المرأة المصرية وخروجها إلى العمل، وتحررها اقتصاديا يحولها (بعبارة مستمدة من فلسفة ـ سارتر) **من شخص يوجد فى ذاته** En-Soi **إلى شخص يوجد لذاته** Pour Soi أى أن المثقفة المصرية ستوجد لذاتها بعد أن ظلت توجد للآخرين وستستمد وجودها من ظروف حياتها الجديدة التى تعيشها هى بحريتها من خلال الإنتاج. وهنا **تنشأ علاقة جديدة بين المثقفة وكينونتها، علاقة أساسها المعايشة الخلاقة الحرة لإمكاناتها الإنسانية الحقيقية.**

(٤) إن قضايا التصنيع، وتطوير الزراعة، وتوزيع الثروات إلى غير ذلك لابد أن تنال اهتماما أكبر من المثقفات المصريات، لما فى هذه القضايا من تأثير جوهرى ومباشر على ما هو ذاتى: مشكلة المرأة بوجه عام وما هو موضوعى: مشكلة المجتمع بأكمله [1].

(٥) إن المثقفة المصرية التى تعلمت، ودخلت ميدان العمل الإنتاجى واستقلت اقتصاديا، لابد أن تخلق لها فرص عمل حقيقية، وفى شتى المجالات، الأمر الذى لا يمكن تحقيقه **إلا من إعادة تشكيل البناء الاقتصادى أفقيا، ورأسيا، وإدخال تغيير جذرى على علاقات الإنتاج. وفى عملية إعادة التشكيل هذه لابد أن يشترك المرأة والرجل معا.**

(٦) إن تركيز نشاط المثقفات المصريات على المدينة ــ فى الأغلب الأعم **وانفصال حركة المثقفات فى المدينة عن قضايا المجتمع الأساسية** تعنى فى التطبيق، بقاء المرأة الريفية على وضعها المتخلف والمتوارث منذ مئات السنين، مما لا يمكن معه تحقيق الهدف الاجتماعى الأسمى لتحرير المرأة، وهو إحياء نصف المجتمع المعطل، ودفعه إلى المساهمة المنتجة بالتعاون مع النصف الآخر لبناء مجتمع تقدمى قادر على مواجهة تحديات العصر بكامل طاقاته.

وينطبق قولنا السالف الذكر على **المثقفات المصريات الريفيات النشأة. اللائى سرعان ما ينسين القرية بعد تخرجهن من الجامعات** والمعاهد، أو إرسالهن إلى بعثات، ثم اشتغالهن فى التخصصات المختلفة.

(٧) إن تركيز نشاط بعض المثقفات المصريات سواء أكان ممارسة أو فكرا على رفع الوعى النسائى، والكفاءات النسائية، **فى دائرة نسائية منفصلة عن المشاكل الأساسية للمجتمع لا يساعد كثيرا على تحسين الموقف، وربما يؤدى على المدى البعيد، وبعد تطور المجتمع إلى نوع من حركة الرفض النسائية ضد الرجل تحمل ملامح انعزالية على غرار ما نشاهده فى بعض حركات التحرر النسائية فى غرب أوربا وفى أمريكا.**

---

(١) انظر: سلوى الخماش، المرأة العربية والمجتمع التقليدى المتخلف، دار الحقيقة، بيروت، ١٩٧٣، ص ٢٠.

إن نضال المثقفة المصرية، لابد أن يسير جنبا إلى جنب مع نضالها مع الرجل من أجل تغيير الواقع المتخلف الذى يعانى منه كلاهما.

(٨) يفوت على بعض المثقفات المصريات، أن دورهن فى التغيير الاجتماعى والتنمية، لابد أن يكون نابعا من ظروف مجتمعهن ومشاكله. **فالتنمية لا تستعار، وإنما هى فى الأصل عملية إبداع.** فأوربا قد درست علوم العرب وفلسفتهم، وأحيت تراث الإغريق والرومان، مركزة الأضواء على جوانبه التى تساند تطلعات التطور، ثم تجاوزت هذا كله بإبداع مستمر فى كل مجالات الفكر والسياسة. وقبلها فعل أسلافنا العرب. فقد أخذوا عن اليونان، والرومان والهند، ومصر، والشام، والعراق، وفارس. ولكنهم تجاوزوا ما أخذوا من إبداع حضارة جديدة زاهية بقدر ما هى أصيلة.

لابد إذن للمثقفات المصريات من نظرة بديلة للتغير والتنمية والتقدم، تقوم على أساس نماذج جديدة، تنبثق من واقعهن، ومنهن أنفسهن كعناصر ثقافية دينامية متجددة. وبذلك يصبح التغير، وتصبح التنمية معتمدين على الذات الحضارية المصرية الأصيلة، ويصبح التعامل مع الحضارات الأخرى، سواء بالتبادل، أو الاقتباس، يتم دون انبهار أو عقد.

المـراجـع

أولا : مراجع باللغة العربية :

١ـ مراجع عامة :

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، جزء ١ .

(٢) المصباح المنير، القاهرة، ١٩٢٥، جزء ١، ٢ .

(٣) المرأة فى مصر، وزارة التعليم العالى، الإدارة العامة للنشاط الثقافى والعلمى، القاهرة، ٩٧ .

(٤) دستور الجمهورية المصرية الصادر فى ٢٣ يونيو ١٩٥٦، الموسوعة العربية للدساتير العالمية، مجلس الأمة، القاهرة، ١٩٦٦ .

(٥) معجم العلوم الاجتماعية، تصدير ومراجعة د. إبراهيم بيومى مدكور، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥ .

ب ـ كتب ومقالات :

(٦) إنجى أفلاطون، نحن النساء المصريات، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٥٠ .

(٧) درية شفيق وإبراهيم عبده، تطور النهضة النسائية فى مصر، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٤٥ .

(٨) رفاعة رافع الطهطاوى، تخليص الإبريز فى تلخيص باريز، طبعة وزارة الإرشاد، ١٩٥٨ .

(٩) سامية حسن الساعاتى، الدور الوظيفى للزوجين فى الأسرة المصرية رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة ١٩٧٢ .

الفصل الخامس

دور الشابات المصريات فى التغير الاجتماعى بين السياق التاريخى والواقع الاجتماعى (١)

تمهيـد:

نعرض فى هذا الفصل لدور الشابات المصريات فى التغير الاجتماعى. ومن المعروف أن الشباب ظاهرة اجتماعية تشير إلى مرحلة من العمر تعقب مرحلة المراهقة، وتبدو خلالها علامات النضج الاجتماعى والنفسى والبيولوجى واضحة. وتميل معظم المجتمعات إلى تحديد بداية مرحلة الشباب ونهايتها وفقا لعدد من المعايير، وقد تلجأ - كما الأمر فى المجتمعات التقليدية - إلى طقوس معينة لابد للمرء من المرور خلالها لاكتساب المكانة الاجتماعية المخصصة للشباب(٢).

وكلما ازدادت المجتمعات تعقيدا وتركيبا وتباينا، نتيجة للتطورات التى شهدتها النظم الاقتصادية، والثورة الصناعية، والإدارية تصبح عملية تحديد بداية مرحلة الشباب إحدى مظاهر التطور الاجتماعى، وعاملا رئيسيا من عوامل تنمية المجتمع وتغييره ككل.

وهناك اهتمام معاصر فى مختلف فروع الدراسات الإنسانية والعلوم الاجتماعية بدراسة واقع الشباب، واتجاهاتهم، وقيمهم، ودورهم فى المجتمع، ويكاد هذا الاهتمام أن يكون « عالميا » إذ أصبح مفهوم الشباب يحظى بالعناية، والدراسة، والتحليل فى المجتمعات المتقدمة والنامية على الرغم من اختلاف الإطار الذى تعالج منه قضايا الشباب، وتنوع السياق الاجتماعى والاقتصادى والسياسى

---

(١) بحث قدم فى المؤتمر الدولى الثامن بتونس، عن دور الشباب فى التغير الاجتماعى، تونس ديسمبر ١٩٨٢.

(٢) انظر S . N . Eisenstadt, " Archetypal Patterns of Youth " in P. K. Manning, and M. Truzzi , Youth and Sociology, PP 15 , 16.

الذى تدرس فيه الظواهر المتصلة بالشباب. ولعل السبب الأساسى لمثل هذا الاهتمام العالمى بقضايا الشباب راجع أساسا إلى ما يمثله الشباب من قوة للمجتمع ككل، إذ هى شريحة اجتماعية تشغل وضعا متميزا فى بنية المجتمع. فالشباب كفئة عمرية هم أكثر الفئات العمرية حيوية وقدرة على العمل والنشاط، كما أنها هى الفئة العمرية التى يكاد بناؤها النفسى والثقافى أن يكون مكتملا على نحو يمكنها من التكيف والتوافق والتفاعل، والاندماج والمشاركة، فى تحقيق أهداف المجتمع وتطلعاته. بأقصى الطاقات التى يمكن أن تسهم فى تحقيق أهداف المجتمع وتطلعاته وانجازها.

والحقيقة أن المكانة المعاصرة التى يشغلها الشباب فى كافة المجتمعات يمكن النظر إليها بوصفها نتاج للتغيرات الاجتماعية والسياسية والديمجرافية، والتعليمية، والتربوية التى شهدها القرن الحالى، كما أن هذه المكانة قد انبثقت وتحددت من خلال الفلسفات المعاصرة والتيارات السياسية والثقافية والنفسية التى ترجمت عنها هذه الفلسفات وأصبحت تشكل سمة العصر، ولقد ترتب على هذه المكانة التى يمثلها الشباب فى بناء المجتمع المعاصر، نتائج بالغة العمق انعكست على مختلف مكونات بناء المجتمع، وعلى طبيعة العلاقات بين الأجيال ونوعية هذه العلاقات ومداها. ويتأثر معدل التغير فى المجتمع وإيقاعه تأثرا مباشرا بأوضاع الشباب فى المجتمع والوظائف المتعددة التى يؤديها الشباب فى مختلف قطاعاته.

ولذا تكمن أهمية الشباب بالنسبة للمجتمع فيما يمثله الشباب من مصدر للتجديد، والتغيير، فهم عادة ما يرفعون لواء الحديث من السلوك والعمل، من خلال القيم الجديدة، التى يتبناها الشباب، والتى عادة ما تدخل فى مواجهة مع ما هو سائد من قيم تقليدية، ولهذا يعد الشباب مصدر التغيير الثقافى والاجتماعى فى المجتمع ككل.

وهناك اهتمام متعاظم من جانب الأكاديميين. ، ورجال السياسة على السواء، بالظواهر المرتبطة باتجاهات الشباب وقيمهم السلوكية كالانحرافات، والثقافات الانعزالية والحركات السياسية، والثورات الطلابية، ومختلف نماذج الامتثال والتكامل مع النسق القيمى السائد فى المجتمع.

ومن الظواهر اللافتة للنظر فى هذا العدد **ظاهرة الرفض (rejection)** عند الشباب والذى يتبدى فى رفض الشباب للمعايير والقيم والسلطة والتوجيه الذى يمارسه الكبار بل أن هذا الرفض أصبح يمثل موقفا عاما موحدا، يظهر بصورة واضحة فى مواقف عديدة ومجتمعات مختلفة. ولكن مما لا شك فيه أن ذلك الرفض الذى يظهر بين الشباب يرتبط بالظروف التاريخية والسياسية والاقتصادية التى يمر بها المجتمع. والنسق القيمى السائد فيه.

أولا : دور الشابات المصريات فى المجتمع المصرى الحديث [*] :

السياق التاريخى والاجتماعى.

فى إطار السياق المصرى، لا يجب أن نصف التواجد الشبابى للشابات المصريات بالمعاصرة فقط، فقد كان لهن فى التاريخ المصرى دورهن، كما كانت لهن مواقف من قضايا مرحلية كانت فى عهدها. ذات أهمية اجتماعية بل وسياسية أيضا.

فقد بدأت الفتاة المصرية تظهر فى الاجتماعات السياسية التى كان يعقدها (الحزب الوطنى). وفى ٧ ديسمبر ١٩٠٧ حضرت بعض الفتيات والسيدات باليشامك والحبر إلى (دار اللواء)، وجلسن مع الحاضرين، ولكن فى ركن قصى، وكذلك كن موضع اعتزاز « مصطفى كامل » وفخره. وعندما توفى «مصطفى كامل»، أتى رجال السياسة بالفتاة (تفيدة طلعت صبور) وحمّلوها العلم فسارت فى مقدمة موكب الجنازة حتى وصلت إلى المقبرة فى حى الإمام الشافعى [١].

وكان للفتيات المصريات جنبا إلى جنب مع النساء المصريات نصيب بارز فى ثورة ١٩١٩، ففى يوم ١٤ مارس من ذلك العالم سقطت أول شهيدة ضمن القائمة الأولى لشهداء الثورة، وكانت جنازتها ناقوسا أيقظ فتيات مصر ونساءها. وفى ٢٠ مارس ١٩١٩ ألفن مظاهرة بدأت من حديقة قصر النيل حتى بيت الأمة حيث حاصرت المظاهرة قوة من الجنود الإنجليز فى سياراتهم المصفحة، كما كانت

(*) أقصد بالمجتمع المصرى الحديث الفترة من أواخر القرن التاسع عشر حتى الآن.

(١) أمينة السعيد. بطولات نسوية فى ثورة ١٩١٩، **الهلال**، ٨ أغسطس ١٩٧٣.

الفتيات والنساء المصريات فى طليعة الطوائف الوطنية التى همت للاحتجاج على لجنة ملنر (١).

وفى شهر يناير ١٩٢٢ قامت لجنة الوفد المركزية للسيدات عقب القبض على « سعد زغلول » وزملائه ونفيهم إلى مالطة بتنظيم حملة المقاومة السلبية، تلبية للنداء الذى أعلنه حزب الوفد فى ٢٣ يناير بعدم التعاون مع الإنجليز ومقاطعة جميع البنوك وشركات التأمين ووسائل النقل والبضائع البريطانية والدعوة إلى تشجيع المصنوعات الوطنية. ونجحت المقاطعة إلى حد كبير، بحيث أثارت حنق الإنجليز، وذلك بفضل الحملة التى نظمتها هدى شعراوى، والسيدات المصريات والتى ساعد على انجاحها بقية الشباب والشابات من الطلبة والطالبات للدعوة لقرار المقاطعة بين المواطنين (٢).

وفى عام ١٩٢٣ أسست « هدى شعراوى » الاتحاد النسائى فى مصر، وضم نخبة من سيدات الطليعة، وعديدا من فتيات مصر البارزات للمطالبة بالحقوق السياسية للمرأة وفى مقدمتها حق الانتخابات وحق الترشيح.

وبرز دور الفتيات المصريات فى أحداث ١٩٣٥ / ١٩٣٦، وكذلك فى النضال المصرى أثناء الحرب منذ ١٩٤٨، ففى خلال حرب فلسطين، وعلى الرغم من أن النساء المصريات لم يكن قد اعترف بوجودهن الاجتماعى أو حصلن على حقوقهن فى ذلك الوقت إلا أنهن مع الفتيات المصريات جنبا إلى جنب قد شاركن فى المعركة بجهودهن، وتطوعن عن طريق الهلال الأحمر والمنظمات النسائية الأخرى فى خدمة الجيوش المتحاربة، ووقفن كممرضات وطبيبات وعاملات وراء صفوف الجيش فى فلسطين، وتعرضن لما تعرض له الرجال فى هذه الحرب.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، اجتاحت مصر أنواع خطيرة من الأوبئة على أثر رجوع الجيوش المتحاربة إلى بلادها عبر الأراضى المصرية،ومن هذه الأمراض التيفوس والكوليرا، وقد قامت نساء مصر وشاباتها فى هذه الآونة بدور رئيسى فى مكافحة هذه الأمراض حيث قضين الأسابيع والشهور فى مخيمات

(١) عبد الرحمن الرافعى، **ثورة ١٩١٩**، كتاب الشعب، جـ ١، ص ١٢٧.

(٢) وديع أمين، « الجذور التاريخية لنضال المرأة فى مصر »، **الطليعة**، ١٩٦٩/١/١.

أقيمت لهـذا الغرض لمعالجة المرضى وحـماية الأصحاء ووقايتـهم سواء فى الوجه البحرى أم فى الوجه القبلى [1].

أما من حيث **تعليم الفتيات وتطوره فى المجتمع المصرى الحديث، وانعكاس ذلك على دور الشابات المصريات**، فيهمنا أن نذكـر أنه قد ظلت الجهود فى تعليم البنات أهلية، ولـم يظهـر من المدارس الرسمية فى البداية إلا مـا يتولى تعليم بنات الطبقة الفقيرة اليتيمات بقصد توفيـر بعض احتياجات سيدات الأسر الراقية كعملية الولادة، وبعض احتياجـات الجيش مثل ملابس الجنود وحياكتهـا، أو بقصد توفير الرزق عن طريق العمل.

وكانت أول مدرسـة حكومية أنشئت لتحـقيق هذه الأهداف عام ١٨٣٢ هى مدرسة الولادة.

أما بداية التعليم الابتدائى الرسـمى فى مصر، فكان عام ١٨٧٣، عند إنشاء مدرسة ابتدائية للبنات عرفت باسم السيـوفية، ثم أنشئت فى عام ١٨٨٩، مدرسة جديدة عـرفت باسم السنية تبركـا باسم إحدى أميـرات الأسرة الحاكـمة فى ذلك الوقت.

أما التـعليم بهدف التـثقيف فلم ينشـأ للفتـاة إلا بعد جهـود الزعيم الأول للنهضـة النسائية فى مـصر، رفاعـة رافع الطهطاوى الذى نادى فى كتـابه «المرشد الأمين فى تعليم البنات والبنين» بوجـوب تعليم الفتاة وأوضح عـدم تعارض هذا التعليم مع الشريعة الإسلامية.

وبفضل تعاليم رفاعة الطهطاوى أتيح للفتـيات لأول مرة أن يتقدمن لامتحان شهادة الدراسة الابتـدائية الذى فتح بابه لأول مرة للفتاة عـام ١٩٠٠، وكان بشيرا بالتقدم العلمى لتعليم الفتيات [2].

وفى عام ١٩٠٠ أيضا ظهر التعليم الثانوى الرسمى للبنات، عند إنشاء قسم معلمات السنية (بالإضافة إلى التعليم الابتدائى).

---

(١) أحمد طه محمد، **المرأة المصرية بين الماضى والحاضر**، ص ٦٠.

(٢) محمد فـرغلى فراج، وآخرون، **تغير الـوضع الاجتماعى للمـرأة فى مصر المعاصرة، الـتقرير الأول**، المركز القومى للبحوث ص ٢٩.

وقد تميز الربع الثانى من القرن العشرين بتطور كبير وإن كان بطيئا فى بدايته، وفى الاتجاه التعليمى لصالح المرأة. وتقبل فكرة إعدادها إعدادا مناسبا يهيئها للخروج للعمل، والاشتراك جنبا إلى جنب مع الرجل فى بناء مستقبل الوطن. وأخذت معالم هذا التطور تظهر بالتدريج فى التوسع فى نشر مدارس البنات الأولية والابتدائية والثانوية، وكذلك فى إنشاء المعاهد الفنية ومعاهد المعلمات المتوسطة والعالية،ولقد كانت نقطة التحول البارزة فى حركة تحرير المرأة المصرية شابة وامرأة، وتغيير نظرة المجتمع إليها تغييرا جذريا قبول الفتيات لطلب العلم فى أول حكومة رسمية (جامعة القاهرة حاليا)، ابتداء من سنة ١٩٢٨، حيث قبلت كلية العلوم ٨ طالبات، وفى سنة ١٩٢٩ قبلت كلية الآداب ٤ طالبات، وقبلت كلية الطب ٥ طالبات، وتلتها كلية الحقوق فقبلت طالبة واحدة سنة ١٩٣٠، ثم كلية التجارة التى قبلت طالبة واحدة كذلك سنة ١٩٣١. وقد حظيت الشابات المصريات بنصيب أكبر من التعليم الجامعى عندما أنشئت جامعة الإسكندرية ١٩٤٢ وجامعة عين شمس ١٩٥٠ [١].

وفى الفترة من ١٩٤٦ ــ ١٩٥٥، زاد التوسع فى الاتجاه التعليمى لصالح المرأة، وأرسلت دفعات قليلة من الشابات فى بعثات دراسية إلى الخارج، وعدن يحملن أرقى الشهادات فى تخصصات شتى فى نفس الوقت الذى أتيح فيه للدفعات القليلة الأولى من الفتيات الالتحاق بالجامعة.

وعند قيام ثورة ١٩٥٢، كان إقامة عدالة اجتماعية بين الجنسين هو أحد المبادئ الستة فى دليل عمل الثورة المصرية، لذلك نص فى الدستور الجديد الذى أعلن فى مصر سنة ١٩٥٦، على منح المرأة حقوقا سياسية أسوة بالرجل، وبذلك استطاعت المرأة المصرية بعامة والشابة المصرية بخاصة أن تدلى بصوتها فى الاستفتاءات على رئاسة الجمهورية، وعلى الدستور، وفى الانتخابات العامة لمجلس الأمة، وكذلك انتخابات الاتحاد الاشتراكى، وصار لها الحق فى ترشيح نفسها لمجلس الأمة (مجلس الشعب الآن) وفى مجالس ولجان أخرى شعبية.

(١) انظر كريمة السعيد، **تعليم البنت فى الجمهورية العربية المتحدة، المؤتمر الأول للجامعيات العربيات، اتحاد الجامعيات اللبنانيات** من ٥ ــ ٨ مارس ١٩٦٤.

كما أولت الثورة أيضا، وتحقيقا للمبدأ نفسه وهو إقامة عدالة اجتماعية، تعليم الفتاة وإعدادها للعمل، عناية فاقت كل ما كان قد بذل فى السنوات العديدة السابقة على قيامها. وقد أتاحت مبادرة الثورة بتعميم مجانية التعليم فى المرحلتين الإعدادية والثانوية، فرصة التعليم لآلاف الفتيات اللائى كانت ظروف أسرهن الاقتصادية لا تسمح لهن بمواصلة التعليم.

ولما أعلنت الدولة مجانية التعليم فى الجامعات قبل بداية العام الجامعى فى خريف ١٩٦٢، كان لهذا أثر فعال فى اشتداد إقبال الشباب من الجنسين على التعليم الجامعى، كما نتج عنه تزايد نسبة أعداد المتخرجات من الشابات سواء من الجامعات أو المعاهد العليا تزايدا كبيرا عن السنوات السابقة على هذا الإجراء.

ومن الأسباب الأساسية أيضا التى يسرت التحاق الشابة المصرية بمؤسسات التعليم العالى إنشاء عدد من الكليات الخاصة بالفتيات، وإقامة الجامعات الإقليمية التى التحقت بها فتيات الأسر الريفية فى المحافظات المختلفة.

وقد تعدى نشاط الشابة المصرية فى الدراسة مرحلة البكالوريوس والليسانس إلى الدراسات العليا فأقبلت عليها بأنواعها المختلفة (الدبلوم ــ الماجستير ــ الدكتوراة)، كما واكب إعداد الشابة المصرية علميا فى الداخل، إعدادها فى الخارج، فأرسلت للدراسة بالجامعات والمعاهد فى الخارج فى جميع التخصصات، كما سافرت الشابات المصريات أيضا فى اجازات دراسية للدراسات العليا أو مهمات علمية بهدف الاستزادة من العلم[١].

ومن عرضنا للسياق التاريخى لدور الشابات المصريات فى المجتمع المصرى الحديث يتبدى لنا أن إسهام الشابات المصريات الحقيقى فى عملية التغير الاجتماعى وبالذات فى عملية التنمية، لا يمكن تتبع مساره إلا من خلال خروج المصريات إلى العمل خارج بيوتهن وتكسبهن، وذلك بعد تعلمهن فى مختلف مراحل التعليم، وتحررهن فكريا بالتدريج.

---

(١) المرأة فى مصر، وزارة التعليم العالى، ١٩٧٥، ص ٨٤ / ٨٥.

ولما كان دور الشابات المصريات هو الوجه الآخر للعملة لقضية تحرير المرأة المصرية، فإنه من الواضح أن تعليم الشابة المصرية فى جميع مراحل التعليم بما فى ذلك مرحلة التعليم العالى فى المعاهد والجامعات، هو الذى دفع عجلة التغيير النسوى فى مصر دفعة قوية؛ ذلك لأنه أوجد عند الشابة المصرية وعيا واضحا بذاتها ومركزها ومكانتها، ودورها فى المجتمع بعامة، وفى الأسرة بخاصة.

وقد ترتب على تحرير المرأة المصرية بعامة، والشابة المصرية بخاصة، تخلصها تدريجيا من سيطرة الرجل، وسلطان التقاليد، والحرمان السياسى الذى كان مفروضا عليها، كما ترتب عليه أيضا تشغيلها فى مختلف المهن المتخصصة.

الواقع الاجتماعى للشابات المصريات

ومن أهم مقومات فهم الواقع الاجتماعى للشابات المصريات، وعلاقته بالتغير الاجتماعى، إجراء بحوث ودراسات تقسم بالشمول لوصف وتشخيص اتجاهات هؤلاء الشابات ومواقفهن من قضايا التنمية فى المجتمع خلال مرحلة تاريخية معينة.

وجدير بالذكر أن هناك دراسة **لسيد عويس**، قام بإجرائها فى خلال العام الدراسى ١٩٧٤ / ١٩٧٥ بعنوان **« نظرة الشابة المصرية المعاصرة نحو المستقبل »** طبقها فى محيط طالبات المعاهد العليا والجامعات إيمانا منه بأنهن وزملائهن الطلبة سيكونون قادة المستقبل فى مصر. وكانت الدراسة تتطلب الإجابة عن بعض الأسئلة التى تتعلق بمستقبل الطالبة ومستقبل أسرتها سواء كانت أسرة توجيه، أو أسرة تناسل، ثم بمستقبل المجتمع المصرى المعاصر. كوحدة من قادته الثقافيين الاجتماعيين فى المستقبل ستؤدى من أجله دورا أو أدوارا اجتماعية معينة.

والإجابات المطلوبة هى فى حقيقة الأمر الآراء التى يجب أن تعكس الخبرات الموضوعية لكل طالبة كما تعكس آمالها. وفى ضوء هذه الإجابات أو الآراء أو الخبرات الموضوعية، يمكن أن نصل إلى بعض الاتجاهات العامة فى محيط الشابات من الطالبات موضوع الدراسة نحو المستقبل، مستقبلهن كأشخاص، ومستقبل أسرهن ثم مستقبل مصر.

وكان قوام الدراسة ٥٠ شابة، متوسط أعمارهن ٢٣,١ عاما بانحراف معيارى ٢٢ سنة، وكان نحو ٨٦٪ منهن من المسلمات، و١٤٪ من المسيحيات. وقد نشأت نحو ٨٢٪ منهن فى المدينة، و ١٢٪ من القرية و ٦٪ فى المركز

وجميعهن يقمن وقت الدراسة فى المدينة . . والأغلبية الساحقة لا يعملن بنسبة نحو ٨٦٪ والأغلبية الساحقة أيضا بنسبة نحو ٨٧,٥٪ لم يتزوجن، وتعيش نحو ٩٠٪ من هؤلاء مع أسراتهن. أما المتزوجات فنسبتهن ضئيلة (نحو ١٢,٥٪)، وكلهن متزوجات من مصريين، وأغلبهن لا يوجد لديهن أبناء، ومن حيث مهن الآباء سواء كانوا على قيد الحياة أو متوفين، نجد أن نحو ٤١,٩٪ منهم من موظفى الحكومة، ومن هؤلاء ٩,٣٪ على المعاش، ونحو ٢٧,٨٪ منهم يعملون فى مهن حرة، ونحو ١١,٦٪ منهم من العمال والفلاحين ونحو ٢,٣٪ منهم من ذوى الأملاك. والباقى بنسبة نحو ١٦,٣٪ لم تذكر مهنهم، أما الأمهات سواء كن على قيد الحياة، أو كن متوفيات فكلهن لا يعملن ما عدا ثلاث أمهات فقط الأولى منهن ناظرة مدرسة والثانية مدرسة والثالثة أمينة مكتبة.

ومن أهم نتائج هذه الدراسة ما يلى :

(١) هناك أغلبية ساحقة حوالى أربعة أخماس الشابات موضوع الدراسة يرغبن فى ممارسة المهنة التى تخصصن فيها ويعنى ذلك أن المجتمع يتوقع قوة عاملة جديدة فى شخص هؤلاء الشابات من الطالبات وغيرهن ممن على شاكلتهن، ومع ذلك فإننا نجد ما يقرب من نصف هؤلاء يرغبن فى العمل فترة من الوقت فى بلد عربى بنسبة ٧١,٤ أو أجنبى بنسبة ٢٨,٦٪.

(٢) حوالى ثلثى الشابات من الطالبات موضوع الدراسة لا يقتنين مكتبة خاصة، والقراءة عندهن محصورة فى الكتب المدرسية.

(٣) أكدت الغالبية الساحقة من الشابات المصريات من الطالبات موضوع الدراسة قيمة المظهرية السائدة فى المجتمع المصرى المعاصر، فالسفر إلى بلد عربى فى المحل الأول أو أجنبى يكون بالضرورة من أجل الحصول على النقود التى تشترى بها السيارة وغيرها من السلع الاستهلاكية.

ومن الجدير بالذكر أن **جميع الشابات من الطالبات موضوع الدراسة قد رفضن بلا استثناء السكن فى الريف، حتى اللائى نشئن فى الريف !**

(٤) تبين أن أغلبية ساحقة من الشابات المصريات موضوع الدراسة من الطالبات المتزوجات منهن، وغير المتزوجات يرغبن فى إنسال أطفال لا يزيد عددهم

على ثلاثة، مع ملاحظة أن نسـبة عالية لا يرغبن فى إنسـال أكثر من طفلين، **وهن يرغبن فى تعليم أطفالهن وخصوصا الذكور منهم حتى المستوى الأعلى،** وهن يرين أن مشاركة الأزواج فى تربـية الأبناء ضرورة، ويرين ضرورة **وجود نمط من تقسيم الـعمل بينهن وبين أزواجهن الحاليين أو أزواج المسـتقبل،** وهن يوافقن على ممارسة الاخـتلاط بين الجنسين فى محيط الأسـرة بنسبة أعلى من هذه الممارسة بين الأصدقاء من الجنسين.

وكل هذه الحقـائق تؤكدها ظروف المجـتمع المصرى المعـاصر، فهى حـقائق متناقـضة، وتدل على البلبلة الـفكرية، فالشابات المصـريات موضـوع الدراسة أو مـعظمهن يوافـقن على تنظيم النسل، ولكنهـن تفضلن الذكـور على الإناث وهن يرين ضرورة وجـود نمط من تقسيم العمل بينهن وبين أزواجـهن الحاليين أو أزواج المستـقبل، ولكنهن يوافقن على ممارسـة الاختلاط بين الجنسين فى محـيط الأسرة بنسبة أعلى من هذه الممارسة بين الأصدقاء من الجنسين.

(٥) تجلت الوطنية المصرية عند الشابات المصـريات موضوع الدراسة من الطالبات، فقد ذكرن أن أول التحديات المعاصرة التى يواجهها المجتمع المصرى فى الوقت الحـاضـر عندهن هو « الحـرب مع إسـرائيـل» وأن هذا التـحـدى هو أخطر التحديات فى الوقت الراهن عند الطالبات، يلـى هذا التحدى « وباء » الأمية بأنماطها، أى أمية القراءة والكتابة، والأمية العلمية، والأمية الفنية. . . . إلخ. ويلى تحدى وبـاء الأمية بأنماطهـا، مشكلة السـكان، تلك المشكلة التى تشكل أمام المخطط المصرى مهـمة صعبة حيث عليه أن ينسق أهداف التنميـة القومية عامة مع أهداف السياسـة السكانية بغير تضحية لا مبـرر لها من أحد الجانبين، فالمشكلة السكانية تعنى ليس فـقط الترحيب بانخفاض معـدل وفيات الأطفال وارتفاع مستوى العمر، بل تعنى أيضا انخـفاض معدلات المواليد وارتفاع نسبة السكان فى المدن والمناطق الحـضرية إلى مجـموع السكان. . وتؤكـد الحقيـقة الأخيرة رفض الشابات المصـريات من الطالبات موضوع الدراسة جمـيعا حتى اللائى نشئن فى الريف، أن يسكن فى الريف، وتلى مشكلة السكان، مشكلة الأمـراض المتـوطنة، وهى تتـضـمن أمـراض البلهـارسـيـا والإنكلسـتـومـا والملاريا. . .إلخ، وتلى هذه المشكلة مشكلة المواصلات، ثم تعاطى الحشيش، وأخيرا مشكلة البيروقراطية (السلبية) على التوالى.

(٦) رتبت الشابات المصريات من الطالبات موضوع الدراسة تحديات العصر التى يواجهها المجتمع المصرى المعاصر حسب خطورتها وأهميتها فكان أول هذه التحديات فى رأيهن **تفوق التكنولوجيا الصناعية**، ويلى ذلك **تفوق التكنولوجيا العسكرية، ثم تفوق العلوم الإنسانية**، ثم تفوق مستوى الخدمات الصحية والاجتماعية، ثم تفوق مستوى البحث **العلمى فى محيط الظواهر المادية والإنسانية**، وأخيرا **المستوى الرفيع للفنون بأنماطها**. ولعل فى هذا الترتيب ما يدعو إلى التفاؤل ببعض أمهات المستقبل، وببعض القائدات الرسميات للمجتمع المصرى فى وقت غير بعيد.

(٧) **مازال الزواج هدفا تسعى إليه الشابة المصرية**، فقد نال دور، الزوجة والأم اهتمام الشابات من الطالبات موضوع الدراسة بأغلبية ساحقة، بينما لم يحظ الدور السياسى بحظ كثير من اهتمام الشابات من الطالبات[1].

وفيما عدا دراسة سيد عويس عن نظرة الشابة المصرية المعاصرة نحو المستقبل، **لا نجد بحثا كرس للشابات المصريات، وإنما معظم الأبحاث تناولت الشابات المصريات أما فى الحديث عن المرأة المصرية، أو فى الحديث عن الشباب المصرى بعامة.**

ومن تلك **الدراسات التى ألقت الضوء على الواقع الاجتماعى للشابات المصريات من خلال تناولها للشباب** بعامة الدراسة الخاصة باتجاهات الشباب **المصرى ومواقفه من قضايا التنمية فى المجتمع**، التى أجراها **محمد على محمد**، وراجعها محمد عاطف غيث.

وقد صممت هذه الدراسة على أساس عينة قوامها عشرة آلاف شاب مصرى (١٠,٠٠٠) ينتمون إلى عدة محافظات تمثل جمهورية مصر العربية بوجهيها البحرى والقبلى ريفا كان أم حضرا، وقد بلغ متوسط عمر أفراد العينة الذين شملتهم الدراسة الميدانية (٢٤,٤٩) وواضح أن هذا المتوسط يعبر عن الفئة العمرية للشباب التى تمتد من ١٨ - ٣٠ عاما. كما أن العينة قد شملت شبابا يعملون ويمثلون قطاعات إنتاجية مختلفة كالفلاحين والعمال والموظفين والحرفيين. وأصحاب المهن الفنية العامة هذا فضلا عن الطلاب.

---

(١) انظر سيد عويس، « نظرة الشابة المصرية المعاصرة نحو المستقبل »، فى حديث عن المرأة المصرية المعاصرة : دراسة ثقافية اجتماعية، ص ٢٦٧ : ٢٧٤.

وجدير بالذكر أن **عبارة الشباب المصرى فى هذه الدراسة تضم الرجل، والمرأة على حد سواء**، ولذا شملت العينة نسبة من الإناث فى مختلف المجالات، بالإضافة إلى النساء اللائى يمثلن ربات البيوت،وقد بلغ إجمالى عدد الذكور ٧٣٧٢ ذكرا فى مقابل ٢٥٩٥ أنثى أى بنسبة ٣-١ وبمعدل نوعى ٣٠٠٪.

وقد حاولت الدراسة أن تجعل من القضايا الكبرى فى تنمية المجتمع المصرى محورا لاستطلاع آراء الشباب ومواقفهم واتجاهاتهم فحددت عدة مجالات كمؤشرات لدراسة مواقف الشباب من قضايا التنمية، مثل المجال الاقتصادى، والمجال التعليمى، ومجال السكان وتنظيم النسل، وقيم الاختيار للزواج، ومجال القيم السلوكية والتربوية، والاتجاه نحو حقوق المرأة ومكانتها فى المجتمع، ومجال هجرة الشباب.

وفيما يلى أهم نتائج هذه الدراسة :

(١) كانت أهم المشكلات الاقتصادية التى يعانى منها المجتمع من وجهة نظر الشباب المصرى (ومنهم نسبة لا بأس بها من الشابات المصريات) **مشكلة قلة الدخل** ذلك أن ضعف مستوى الدخول يؤثر تأثيرا بالغا فى مختلف مجالات الحياة الأخرى. وترتبط مشكلة قلة الدخل بمشكلة أخرى جاءت فى المرتبة الثانية ألا وهى **ارتفاع الأسعار** إذ إن جوهر المشكلة الاقتصادية فى المجتمع المصرى المعاصر يمكن أن يتحدد فى ضوء ذلك بوصفه يعبر عن معادلة غير متوازنة بين الدخل والأسعار، فعلى حين أن الأسعار أخذت ترتفع ارتفاعا ملحوظا خلال السنوات الماضية، فقد ظلت معدلات الدخل ثابتة نسبيا مما ترتب عليه عدم مقدرة معظم الطبقات المحدودة الدخل بالذات من إشباع حاجاتهم الأساسية.

(٢) تغير اتجاه الشباب الذين أصبحوا **يتبنون قيما جديدة نحو العمل الحكومى** ففى مصر كان هناك اعتقاد راسخ بأن العمل الحكومى مصدر دخل ثابت، وأمان للمستقبل، وهيبة اجتماعية فى المجتمع، ولقد تغير هذا الاتجاه تغييرا حاسما بين مختلف فئات المجتمع، وبخاصة الشباب إذ بلغت نسبة الذين يفضلون العمل الخاص أو الحر عن العمل الحكومى (٤٣,٠٦٪) فى مقابل

(٢٣,٧٥٪) يفضلون العمل الحكومى، و (١٢,١٣٪) يفضلون العمل الذى يدر دخلا أكبر. وقد لوحظ فى الوقت نفسه أن النسب المعبرة عن تفضيل العمل الحكومى مرتفع نسبيا فى محافظات الوجه القبلى، والمحافظات ذات الطابع الريفى، عنها فى المحافظات الحضرية الأخرى كالإسكندرية مثلا :

(٣) فيما يتعلق بالنظام التعليمى كشفت الدراسة عن أن نسبة كبيرة من الشباب المصرى (٢٥, ٥٠٪) يرى أن التعليم فى مصر لا يؤدى الوظيفة التثقيفية بمعنى أنه لا ينمى لدى الشباب أحساسهم بالمسئولية تجاه أنفسهم ونحو مجتمعهم على نحو يجعلهم فى موقع يسهمون من خلاله فى عملية إعادة بناء مجتمعهم، كما أن هناك نسبة كبيرة أخرى من الشباب المصرى ترى أن التعليم الحالى فى مصر لا ينمى الوعى السياسى للشباب وهى تصل إلى (٦٣,٠٨٪).

(٤) يدرك الشباب المصرى مبلغ **خطورة مشكلة الأمية فى مصر** والتى وصلت وفقا لتعداد ١٩٧٦ إلى (٥٦,٥٪) وهى بين الذكور (٤٣,٢٪) وبين الإناث (٧١٪)، وقد بلغ هذا الادراك للمشكلة نسبة عالية وصلت إلى (٨٤,٩٨٪) من مجموع الشباب الذين تضمهم الدراسة.

وكان هذا الإدراك شاملا بين الشباب من مختلف الفئات المهنية والمستويات التعليمية.

(٥) هناك إدراك واضح من الشباب المصرى **للمشكلة السكانية،** فقد أوضحت نتائج الدراسة أن (٨٣ ٪) من الشباب يعون هذه المشكلة ويدركون أبعادها وبخاصة فى المحافظات التى ترتفع فيها معدلات النمو السكانى بشكل واضح.

وقد تبين من الدراسة أن الشباب المصرى يفضل انسال طفلين (٤٨,١٢٪) يلى ذلك نسبة بلغت (٣٣,٠١٪) تفضل انسال ثلاثة أطفال، وبحساب المتوسط الحسابى لعده الأبناء المفضل اتضح أنه قد بلغ (٣,٥٣) طفلا. والواقع أن الشباب المصرى يعتقد أن **تنظيم النسل** هو أهم إستراتيجيات مواجهة الزيادة السكانية كما سنلاحظ أن متوسط السن **المفضل لزواج الفتى فى العينة هو (٣١,٨٢ سنة) وهى**

سن لا تعد مرتفعـة الآن بالنظر إلى الأعباء الاقتصادية الملقـاة على الشاب المصرى الذى يرغـب فى الزواج. أما مـتوسط السن الملائـم لزواج الفتـاة فهو فى العـينة (٤٩ , ٢٠) مع ملاحظة أن هذا المتـوسط لا يعبـر عن ارتفاع واضح فى سن زواج الفتـاة، إلا أن الملاحظ أن الفتـيات المتعلـمات وبخاصـة فى المحافظات الحـضرية يتزوجن فى سـن أعلى، من السن الذى تتزوج فـيه الريفيـات، أو اللائى لم ينلن حظا من التعليم.

(٦) كشفت النتائج عن **أن التعليم يعد قيمة أساسية من قيم الاختيار فى الزواج بين الشباب إذ ترتفع** نسبة الشـباب الذين يفضلون الزواج من فتاة متـعلمة لتصل إلى (٤٤,٣٤٪).

وتتفق هذه النـتيجـة مع نتائج بحث سامـية الساعـاتى عن الاختـيار للزواج والتغير الاجتماعى الذى أجرى سنة ١٩٦٨، وإن كان بحث سامية الساعاتى يعطى ثقلا واضحا للفروق الريفية الحضرية فى هذا الشأن إلى جانب فروق التعليم [١].

وتشير بيانات الدراسة التى قام بها **محمد على** أيضا، إلى أن هناك اتجاها بين الشباب المصـرى لتفضيل الزواج من المرأة المتـفرغة (٨٥, ٥٠٪) أكثـر من تفضيل الزواج من المرأة العاملة (٥٣, ٢٤٪) وذلك رغم ضغط الظروف الاقتصادية على الشباب.

(٧) تفصح النتـائج عن اتجاه الشـباب المصرى نحـو ضرورة تعليم الشـابة المصرية تعليمـا جامعـيا أو عالـيا (٦٣,٣٣٪) وكانت أهم الأسـباب لذلك **هى أن تحسن تربية الأبناء، ثم لكى تشارك الزوج فى الإنفاق**. وكذلك يجمع الشباب المصـرى فى الدراسـة، على ضـرورة منح المرأة **حقوقها السـياسية كاملة فى المجتمع**،كما أن الشباب المصرى موضع الدراسة يوافق بنسبة قدرها (٦, ٥٠٪) على منع الزواج من أكثر من واحدة، لكنه فى الوقت نفسه يرفض تقييد حرية الرجل فى الطلاق.

(٨) بينت الدراسة أن هناك اتجاها عاما بين الشباب يعبر عن **موافقتهم على الهجرة للخارج** (٣٥, ٦٥٪)، فى مقـابل نسـبة بلـغت (٦, ٣٤٪) هم الذين لا يوافقون على هجرة الشباب.

---

(١) انظر سامية الساعاتى، **الاختيار للزواج والتغير الاجتماعى**، ص ٣١٠.

وقد ظهر أن العامل الاقتصادى والرغبة فى **تحقيق تطلعات الشباب فيما يتعلق برفع مستوى المعيشة وإشباع حاجاتهم** هو أكثر العوامل التى تعد دافعا مشجعا على هجرة الشباب للخارج.

أما الذين لا يوافقون على الهجرة فقد ذكروا ثلاثة أسباب لعدم الموافقة هى حسب أهميتها : **أن مصر أولى بشبابها**، ولأن الشاب **يمكنه أن يحقق ما يريد فى وطنه**، ولأنهم **لا يضمنون وجود فرص العمل الكريم بالخارج.**

وقد ظهر من الدراسة كذلك أن اتجاه الشباب نحو الموافقة على الهجرة يزيد ويتضح، بارتفاع المستوى التعليمى. كما وضح أيضا أن ما يصدق على العلاقة بين الهجرة والتعليم يصدق أيضا على العلاقة بين المهنة والهجرة، فالعمال والحرفيون، وأصحاب المهن الفنية العالية أكثر الفئات موافقة على الهجرة للخارج.

أما فيما يتعلق بالهجرة الداخلية، فمن المعروف أن الظاهرة الجديرة بالاهتمام فى هذا الصدد هى **هجرة الريفيين إلى المدن** بحثا عن فرص جديدة للعمل، خاصة بعد انتشار التصنيع وحاجة الصناعة إلى أيدى عاملة، وتركز كثير من المصانع الكبرى من المدن. كذلك يهاجر كثير من الشباب الريفى إلى المدينة طلبا للتعليم فى جامعاتها، ومعاهدها. حتى بعد إنشاء الجامعات الإقليمية القريبة من سكنهم[1].

ثالثا: التحليل الاجتماعى لدور الشابات المصريات فى ضوء التغير الاجتماعى:

يمكن تحليل ما سبق من معلومات عن واقع الشابات المصريات فى المجتمع المصرى الحديث كما اتضح من الدراسات والبحوث، سواء تلك التى كرست لبحث هذا الواقع فى ذاته، أو تلك الدراسات التى تناولت واقع الشابات المصريات فى معرض بحثها للمرأة المصرية، أو للشباب المصرى بعامة.

قامت ثورة ١٩٥٢، وكأى ثورة كانت فى حاجة إلى إيمان،فالثورة الفرنسية على سبيل المثال كانت لها إيمانها ومثلها، وكذلك الثورة البلشفية. وتكمن أهمية

---

(١) انظر محمد على محمد، الشباب والمجتمع، دراسة نظرية وميدانية، مراجعة وتقديم محمد عاطف غيث، ص ١١١ : ١٧٠.

الإيمان فى كونه يساعد على تأسيس فكر اجتماعى وسياسى متماسك حتى لا يتمزق الفكر الشبابى فى أى اتجاه لكن ما حدث فى أعقاب ثورة ١٩٥٢، أنه لم يتوفر وضوح كاف لمثل هذا الإيمان. ومن ثم **تعددت انتماءات المجتمع بين الانتماء الإفريقى، والغربى، والإسلامى، والاشتراكى، والانفتاحى**. وقد انعكس ذلك على المجال الواقعى، ومن ثم افتقد المجتمع إمكانية توفر النماذج الواجب احتذاؤها، هل فردية رأسمالية؟ أم جماعية اشتراكية، أم أنها تنتمى إلى تراث الأصالة والدين.

وفى ظل ذلك تميعت القيم والمثل لغياب الإيمان الذى تتخلق عنه هذه القيم والمثل، هذا إلى جانب عدم تأسيس القنوات الحرة والملائمة، التى تيسر انسياب الفكر الشبابى من خلال الحوار المخلص والصريح الذى يسهم فى امكانية خلق إيمان يقود المسيرة.

وابتداء من سنة ١٩٥٢، بدأ التخطيط للشباب والعمل الشبابى يأخذ شكل الوصاية، بل امتدت هذه الوصاية أحيانا لتشمل المجتمع المصرى ككل. وفى جو هذه الوصاية، رفضت المشاركة كفكرة أساسية، وهو رفض مازلنا نعانى منه حتى الآن. ولقد أدى فرض هذه الوصاية ورفض إمكانية المشاركة، وهدم قيم المجتمع القديم دون تأسيس فعال لسياق قيمى فعال يقود مسيرة التنمية فى مجتمع الثورة، التى تخلق نوعا من الفراغ، انصرف الشباب فى إطاره إلى عديد من التنظيمات اليسارية واليمينية، وحتى الجماعات ذات المنطلق المنعزل عن المسيرة، كالهروب فى إطار جماعات دينية.

وفى إطار ذلك الفراغ السالف الذكر، برزت فجوتان : **الأولى تتعلق بافتقاد القدوة والمثال**، والثانية **تكمن فى الفارق بين ما يقال وما يمارس**. ومن ثم، فقد كان نتيجة ذلك انتقال الشباب المصرى ذكورا، **وإناثا، من مرحلة المشاركة الفعالة إلى مرحلة السلبية والهجرة**، سواء كانت معنوية أو مادية، حيث يعيش الشباب المصرى ذكورا وإناثا غريبا عن الواقع المصرى مفتقدا الانتماء إليه.

ثم تجلت بعد مرحلة السلبية، فيما بعد، مرحلة جديدة هى الرفض بأشكاله العديدة، ثم مرحلة الهروب، حيث أصبحت البيئة المصرية فى إطارها بيئة طاردة.

وأصبحنا نجـد الشابة المصرية المحبة لوطنهـا المتمسكة به مهاجـرة، وكذلك وجدنا الشاب المصرى.

إن أول العـوامل التــى أسـهـمت فــى ذلك، أن المجـتمــع المصــرى بعــد ١٩٥٢ قد تعرض لمجموعة من الهـزات الأساسية. أولها حدث فى ســنة ١٩٥٢، حـيــث صــدرت مـجمـوعــة قـرارات الإصـلاح الزراعى والتبـشـيـر بمنطـق أيديـولوجــى جديد، وفى سنة ١٩٦١ صدرت مجـمـوعة قـرارات التأميم التى أكدت المنطلقات السابقــة وعمقتها، وشهدت هذه المرحلة انتقـالا واضحا ومحددا نحو المنطلقات الأيديولوجية الاشتراكية.

وفى ١٩٦٧ واجه المجتمع المصرى هزيمة عسكرية ساحقة، أثرت فى مختلف أرجائه. ثم جـاءت الفترة من ١٩٦٨ ــ ١٩٧٣، لتـفرض آثار الهزيمة والاستـعداد للمعركة كعامل جديد من الموقف، حيـث كانت القضية الأساسية فى هذه المرحلة هى تحرير الأرض، ومن ثم ثارت مطالب ونداءات تتساءل لماذا لا نحارب الحكومة ؟ ومن هنا شهدت هذه المرحلة مظاهر عنف وتظاهرات عديدة لعبت فيها الشابات من طالبات الجامعة دورا هاما واضحا.

وبحلول عام ١٩٧٣، بدأت تحـولات جديدة، إذ قامت المعركـة العســكرية التــى حقـقــت العبور وتحـرير جزء من الأرض المصرية، وأعـقــب ذلك بعــض التحولات الجـديدة فى النظام الاجتماعى والاقـتصادى، وبرزت تساؤلات شـبابية عديــدة تحاول تحديـد ملامح النظام فى هذه المرحلة وهويتـه، وإذا ما كـانت هذه التحولات تكتيكية أم إستراتيجية ؟

ولا شك أن هذا القدر من التحولات التى وقـعت فى إطار المجتمع المصرى تحتاج إلى إنسان حديدى قـادر على استيعاب كل هذه النقلات الاجتمـاعية الكبيرة دون أن يحدث له توتر أو قلق.

إن تلك النقـلات قد أدت إلى تأسـيس نوع من التسيب الأخـلاقى أدىَ فى النهاية إلى اهتـزاز ملامح الشخصـية الشابة، وإلى اهتـزاز فكرة الوطن أيضا. وفى ضـوء ذلك تساءل الشـبـاب ذكورا وإناثا، من نحن ؟ وإلـى أين نسيـر ؟ هل نحن عرب ؟ أم مسلمين ؟ أم أفارقـة ؟ هل نحن نتبع منطقا اشتراكيـا أم رأسماليا ؟ قد

تكون هناك توفيقية لذلك، إننا عرب ومسلمـون وأفارقة. إننا اشتراكيون لكن لابد أن يكون للقطاع الخـاص دوره البارز، لكن ذلك لا يحل المشكلة فـلابد كى يحدد الإنسان هوية لذاته، أن يؤسس نوعـا من الأولويات التى تستند إليها الشخـصية. فإن لم يتمكن من تحقيق ذلك فإنه عادة ما يشعر بالتمزق فى داخله، ويكون لذلك مظاهره العديدة بالنظر إلى الشخصية أو سياقها الاجتماعى [1].

إن الشباب **إناثا وذكورا، يحـتاج إلى وجود فكر، ومحـتاج إلى إيمان واضح ومحدد المعـالم، بالقيم التى يرتضيها المجـتمع ويستوعبهـا الشباب** بعـد أن **يشارك بالحوار، والتعبير الصريح فى تخليقها،** لأن ذلك **يحميه ذكورا وإناثا، من الحياة فى مناخ من البلبلة قد تسلمه إلى خيارات متطرفة غـير ملائمة لتحقيق ذلك،** ولكونها لا تتفق مع مصالح المجتمع ومسيرته. والمجتمع هنا ليس هو السلطة. فليس هناك دفاع عن قـيم السلطة، ولا يجب أن يكون هناك وجود لقيم الـسلطة منفصلة عن قيم المجتمع. إن قيم المجتمع يـجب أن تتأسس فى مرحلة التنمية من خلال تطوير تراثه الذى يتفـاعل مع ما تفرضـه المعاصرة من متـغيرات، وإذا لم يتـحقق ذلك، فسوف نواجـه بخيارات وتمزقات قاتلة أبسـطها ما يمكن أن نصفه بالجـماعات ذات الأيديولوجـية الهروبيـة، أو تكاثر تنظيمـات الانحراف فى إطار ذلك، فـهى تمثل اتجاهات هروبية تنتقد فى إطاراتها الواقع الاجتماعى بمشاكله وظروفه الراهنة، وفى النهاية لا يمثل هذا الهروب سوى الاندفاع فى إطارات مثـالية لا تساعد كثيرا على مواجهة المشاكل الواقعية.

* * *

(١) انظر التقـرير النهائى لبـحث الشبـاب المصرى وقضـاياه من وجهـة نظر المثقـفين المصريين، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٨٠، ص ٣١ / ٣٥.

المراجـع

أولا : مراجع عربية :

(١) أحمد طه محمد، **المرأة المصرية بين الماضى والحاضر**، القاهرة، ١٩٧٩.

(٢) التقرير النهائى لبحث الشباب وقضايا من وجهة نظر المثقفين المصريين، **المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية**، ١٩٨٠.

(٣) المرأة فى مصر، **وزارة التعليم العالى**، ١٩٧٥.

(٤) أمينة السعيد، **بطولات نسوية فى ثورة ١٩١٩**، **الهلال**، ٨ أغسطس، ١٩٧٣.

(٥) سامية حسن الساعاتى، « دور المرأة فى المجتمع المصرى الحديث »، تحليل اجتماعى ثقافى، **المجلة الاجتماعية القومية**، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، سبتمبر ١٩٧٥.

(٦) ــــــــــــــ، دور المثقفات المصريات في التغير الاجتماعى بحث أجتماعى تاريخى، الندوة الدولية عن المثقفون والتغير الاجتماعى فى العالم العربي، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، القاهرة ٣-٦ ديسمبر ١٩٧٩.

(٧) ــــــــــــــ، **الاختيار للزواج والتغير الاجتماعى**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١.

(٨) سيد عويس، « نظرة الشابة المصرية المعاصرة نحو المستقبل »، **فى حديث عن المرأة المصرية المعاصرة : دراسة ثقافية اجتماعية**، القاهرة ١٩٧٧.

(٩) عبد الرحمن الرافعى، **ثورة ١٩١٩**، كتاب الشعب، جـ١، ١٩٥٩.

(١٠) كريمة السعيد، **تعليم البنت فى الجمهورية العربية المتحدة**، **المؤتمر الأول للجامعيات العربيات**، **اتحاد الجامعيات اللبنانيات** من ٥ ــ ٨ مارس ١٩٦٤.

(١١) محـمد على محـمد، **الشباب والمجـتمع، دراسة نظرية ومـيدانية**، مراجعة وتقديم مـحمد عاطف غـيث، الهيئـة المصرية العامـة للكتاب، الإسكندرية ١٩٨٠.

(١٢) محـمد فرغلى فـراج وآخرون، **تغيـر الوضع الاجتمـاعى للمرأة فى مـصر المعاصرة**، التقـرير الأول، المركز القومى للبـحوث الاجتـماعيـة والجنائية، ١٩٧٤.

(١٣) هدى بدران، « المرأة والـتنمـيـــة »، **المركز القومى لـلبحوث الاجتمـاعية والجنائية**، ١٩٧٣.

(١٤) وديع أمين، « الجـذور التـاريخـيـــة لنضـال المرأة فى مـصـر »، **الطليعة**، ١٩٦٩/١/١.

ثانيا : مراجع أجنبية :

1) Eisenstadt, S. N., " Archetypal Patterns of Youth " , in Manning P. and Truzzi M., **Youth and Sociology**, Englewood Cliffs, **New Jersey, Prentice Hall, Inc., 1972.**

2) Erikson, Erick, Identity, **Youth and Crisis**, N. Y. Norton, 1968.

3) Parsons, T., " **Age and Sex in the Social Structure of the United States**. A. S. R. 7 , 1942.

* * *

الفصل السادس

المرأة والتنمية فى مصر(*)

تمهيد:

يحاول هذا البحث تركيز الضوء على المرأة والتنمية فى مصر. ويحتوى أولاً على تحديد لأهم المفهومات الأساسية التى يتناولها البحث، ثم على دراسة لأهم القضايا الأساسية التى تدور حول المرأة والتنمية فى مصر.

أولاً: مفهوم التنمية:

التنمية الاقتصادية والاجتماعية من أهم القضايا المطروحة الآن فى العالم أجمع، نتيجة عاملين أساسين: هما: التزايد المطرد فى عدد السكان، وزيادة الحاجات تبعا للتطور الفكرى والحضارى والاتجاه العارم الذى يسود البشرية كلها نحو تحقيق مزيد من رغد العيش والرفاهية .[1]

(*) بحث للمؤلفة قدم إلى الندوة العلمية التى نظمها معهد التخطيط القومى - مارس ١٩٨١ - حول القضايا الاجتماعية للتنمية فى مصر (الثوابت والمتغيرات).

(١) كمال نور الله، التنمية الاقتصادية والاجتماعية، والتنمية الإدارية فى الوطن العربى، المستقبل العربى، المستقبل العربى، العدد ١١، سنة ١٩٧٨، ص٩٦ .

والتنمية الشاملة عملية تضرب جذورها فى كل جوانب الحياة، وتفضى إلى مولد حضارة جديدة، أو إلى مرحلة جديدة من مراحل التطور الحضارى، بكل ما يميزها من قيم وعادات، وسلوك، وأساليب إنتاج، وأوضاع اجتماعية ونظم سياسية وتقدم علمى وتجدد أدبى وفنى.

وللتنمية أساس مادى، وآخر فكرى. والتنمية هى ثمرة التفاعل المستمر بينهما. بحيث يغذى كل منهما الآخر، ويقوى حركته. فمناهج العلم ومكتشفاته خلقت الجو المواتى للاختراع. ولكن تحويل الاختراعات إلى أدوات إنتاج تفسره ضرورات اقتصادية، وقوى اجتماعية ذات مصلحة فيه. كذلك استمرار البحث العلمى التطبيقى مرتبط بتطور الإنتاج.. إلخ.. وليس هنا مقام الأفاضة فى التحليل الفلسفى لأى الأساسين أهم من الآخر. ونكتفى بالقول بأنه ليس هناك تطور مادى متعاظم بدون تطور فكرى ملازم له يسبقه أحيانًا، ويلاحق متطلباته أحيانًا أخرى. كما أنه [illegible] فكرى دون أساس مادى يغذيه ويؤثر بالتالى فى اتجاهاته.

والتنمية لاتستعار وإنما هى فى الأصل عملية إبداع. فأوروبا قد درست علوم العرب وفلسفتهم، وأحيت تراث الإغريق والرومان مركزة الأضواء على جوانبه التى تساند تطلعات التطور، ثم تجاوزت هذا كله بإبداع مستمر فى كل مجالات الفكر والسياسة. وقبلها فعل أسلافنا العرب، فقد أخذوا عن اليونان، والرومان، والهند، ومصر، والشام، والعراق، وفارس. ولكنهم تجاوزوا ما أخذوا إلى إبداع حضارة جديدة زاهية بقدر ما هى أصيلة [1]

وتشير الكتابات الاقتصادية والسوسيولوجية المعاصرة إلى الاختلاف بين اصطلاحى النمو growth والتنمية developement ويمكن أن نحدد أوجه الاختلاف القائمة بين الاصطلاحين فى أن اصطلاح النمو يشير إلى عملية الزيادة

---

(١) انظر إسماعيل صبرى عبدالله، العربى بين الت[illegible] القطرية والتنمية القومية، المستقبل العربى، العدد التاسع، ٨٠[illegible] ص ٢٠ ـ ٢١ .

الثابتة أو المستمرة التى تحدث فى جانب واحد من جوانب الحياة، أما التنمية فعبارة عن تحقيق زيادة سريعة تراكمية ودائمة عبر فترة من الزمن (١).

والنمو يحدث فى الأغلب الأعم عن طريق التطور البطىء، والتحول التدريجى، أما التنمية فتحتاج إلى دفعة قوية ليخرج المجتمع من حالة الركود والتخلف إلى حالة التقدم والنمو.

والظواهر والأشياء حينما تنمو لابد وأن تتغير خلال عملية النمو، إلا أن القدر المتحصل من التغير عن طريق النمو ليس إلا قدرا ضئيلاً لا يعتد به، وهو أقرب ما يكون إلى التغير الكمى منه إلى التغير الكيفى، أما التغير الذى يسبق التنمية، أو يتحصل عنها فهو تغير كبير يتناول الجوانب البنائية كما يتناول الجوانب الوظيفية، وهو أقرب ما يكون إلى التغير الكيفى منه إلى التغير الكمى، والتغير الكيفى من سماته العمق والجذرية، والسرعة، والفجائية، ومن نتائجه تحول الظواهر والأشياء وانتقالها من حالة إلى حالة (٢).

خلاصة القول أن التنمية الاجتماعية، بمفهومها العريض، عبارة عن عملية تغيير اجتماعى تستهدف تغيير الخصائص الاجتماعية للبلاد النامية، وتعمل على إزالة المعوقات التى تراكمت عبر السنين، لتقيم تنظيمات جديدة ونظم مستحدثة، تفى باحتياجات الأفراد، وتلبى رغباتهم، وتحقق لهم أكبر قدر ممكن من إشباع تلك الاحتياجات والرغبات، كما أنها تهدف إلى تحقيق أقصى استثمار ممكن للطاقات والإمكانات البشرية الموجودة فى المجتمع بحيث تساعد على دفع عجلة لتنمية الاقتصادية، والسير بها فى طريق التقدم والنمو، كما تستهدف ازالة لعقبات والمعوقات التى تقف فى طريق التنمية الاقتصادية، ثم معالجة المشكلات

---

(١) انظر محمد زكى شافعى، التنمية الاقتصادية، الكتاب الأول، ص ٧٨ .
(٢) انظر عبدلباسط محمد حسن، التنمية الاجتماعية، ص ٩٠ .

وتدارك السلبيات التى قد تصاحبها أو تترتب عليها، بالإضافة إلى أنها تعنى بتقديم خدمات إضافية للفئات التى لا تستطيع أن تتكيف مع المجتمع أو التى لا تستفيد فائدة كاملة من الخدمات الاجتماعية التى تقدم لبقية الأفراد. (١)

فالتنمية فى نهاية الأمر تصورات وعمليات اجتماعية تستهدف تحقيق تغيير شامل وإيجابى فى التركيب الاقتصادى والاجتماعى، وهى صيغة اقتصادية واجتماعية لنقل المجتمعات التقليدية إلى مجتمعات متقدمة فى أساليب الإنتاج وفى العلاقات الاجتماعية، ويمكن القول أنها تجاوز الأهداف المحلية إلى آفاق أكبر باعتبارها حركة حضارية تستهدف الوصول إلى عالمية نمط اجتماعى حضارى متقدم. (٢)

والتنمية بذلك عملية متداخلة معقدة لابد لها من تسخير كل الطاقات المادية والبشرية، ولعل أهم عملية استثمارية تقوم بها أية دولة نامية ـ على الأخص ـ هى عملية تنمية مواردها البشرية، والمرأة فى المجتمع ـ كما يقال عادة ـ تكون نصف الموارد البشرية التى يعتمد عليها فى تنفيذ برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية، بالإضافة إلى دور المرأة فى تربية شخصية أطفال المجتمع وتكوينها، أو بمعنى آخر فى تنمية الموارد البشرية الصغيرة. (٣)

ثانياً: دور المرأة فى التنمية:

يقصد به تلك الجهود والإسهامات التى تبذلها المرأة سواء اتسمت بالطابع الاقتصادى أو الاجتماعى، والتى تؤدى إلى أحداث التغيير الاجتماعى وتسهم فى تحقيق درجة ما من التقدم الاجتماعى.

---

(١) انظر المصدر نفسه، ص ١١٠ .

(٢) محيى الدين صابر، تعليم المرأة العربية وتدريبها فى علاقتها بالتنمية القومية (بحث غير منشور) مؤتمر المرأة العربية والتنمية القومية، القاهرة ٢٤ ـ ٣٠ سبتمبر ٧٢ .

(٣) انظر التقرير النهائى لمؤتمر دور المرأة العربية فى التنمية القومية ـ القاهرة ٢٤ ـ ٣٠ سبتمبر ١٩٧٢ .

و المرأة كطاقة بشرية، تؤثر وتتأثر باستراتيجية التنمية سواء على مستوى وضع الخطة أو تنفيذها، فإذا كانت المرأة تنتمى إلى ثقافة متخلفة من النواحى المادية والمعنوية، فسوف ينطبع هذا التخلف على أحوالها بعامة، إلا أنه بقدر ما يكون الدور التنموى للمرأة مرتكزاً أساسًا على مهاراتها وقدراتها من ناحية وعلى ما يقدمه المجتمع من وعى لترشيد هذا الدور من ناحية أخرى، بقدر هذا كله ـ تكون درجة التقدم التى تحرزها المرأة فى تنمية مجتمعها . ويعد أسهام المرأة التنموى استثمارا بشريًا تأخذ به المجتمعات المتقدمة والنامية على حد سواء.

ويتأثر دور المرأة فى التنمية بحركة التغير الاجتماعى محليًا وعالميًا. ويمكن أن يكون لدورها فعالية فى هذه الحركة الشاملة، بمقدار وضوح شخصيتها فى إطار النسق الاجتماعى الذى يتفاعل معه تركيبه البنائى من خلال المؤسسات وما يسردها من علاقات.

وهناك نسبية اجتماعية فى تفسير طبيعة الدور التنموى الذى تؤديه المرأة بحسب قوة العادات والتقاليد، ومقدار تأثيرها على الاتجاهات السائدة كما يتأثر دورها فى التنمية بالوضع الثقافى السائد، والوافد إليها عبر حركة التاريخ ـ كما يرى مالينوفسكى ـ ، وبما يظهر فى ثقافة المجتمع من اتجاهات فكرية تعكس أثرها على وضع المرأة ومكانتها، وبالتالى على دورها.

ويتأثر دور المرأة التنموى أخيراً، بالعوامل الشخصية المتعلقة بقدراتها الفعلية فهى التى تشكل هذا الدور وتؤثر فيه [١].

ثالثًا: المرأة والتنمية فى مصر، قضايا أساسية:

(١) إذا تحدثنا عن المرأة والتنمية فى مصر فلابد أن نضع نصب أعيننا، ذلك التباين الظاهر، والاختلاف الواضح فى أسلوب الحياة الاجتماعية بين المناطق الريفية من جهة، وبين المناطق الحضرية من جهة أخرى. فثقافة الجماعات الريفية تتناقض إلى حد كبير مع الثقافة السائدة فى المجتمعات الحضرية.

---

(١) انظر إسماعيل عبدالبارى، المرأة والتنمية فى مصر، ص ٢٣ .

ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل أن المجتمعات الحضرية فى مصر أى المدن الكبيرة، وعلى رأسها القاهرة والأسكندرية، تحتوى فى داخلها ثلاثة أنواع من الثقافة وفق المناطق المختلفة فى المدينة. فهناك مناطق مغلقة تسود فيها ثقافة ريفية تكاد تكون خالصة، وعلى النقيض منها، هناك مناطق مفتوحة تسود فيها ثقافة عصرية. وهناك مناطق ثالثة تسود فيها ثقافة «ريفية ـ حضرية»، أى تجمع بين كثير من القيم والمعتقدات والعادات، والتقاليد التى تسود فى الريف، وبين كثير من العناصر المادية التى تكون جزءاً بارزاً من الثقافة الحضرية (١).

(٢) للمرأة المصرية دور فى التنمية، وهو الوجه الآخر لدور الرجل فى مجالات التنمية على خريطة الجهد البشرى. ويظهر دور المرأة فى التنمية جليًا واضحًا فى علاقته بدور الرجل فى مجالات التنمية وفى الأثر المتبادل للدورين، وما إذا كان هناك التقاء بينهما أم تنافر وصراع. فنحن بإزاء وجهين لشىء واحد، تماماً كوجهى العملة الواحدة. والموقف إذن موقف جدلى تماما بالمعنى الجدلى.

وحيث لا وجود لذات المرأة المصرية إلا من خلال الوجه الآخر وهو الرجل المصرى والمرأة والرجل هما وحدة الوجود الإنسانى، وهى وحدة قوامها التناقض، أو التقابل الخارجى بين الرجل والمرأة.

(٣) من وجهة النظر التاريخية، يمكن أن نخرج باستنتاجات مختلفة عن دور المرأة المصرية فى التنمية الاجتماعية، والاقتصادية والثقافية.

فالمرأة المصرية قامت منذ فجر التاريخ المبكر بالعمل ـ جنبا إلى جنب ـ مع الرجل فى الزراعة وأعمال الاقتصاد المنزلى، إلا أن عملها كان يتم فى ظل سيطرة الرجل الاقتصادية، ولهذا لم يشفع لها ذلك أن تلعب دورها كاملا فى مجتمعها الكبير، وإن كانت الأديان قد أشادت بدورها كأم (٢).

---

(١) انظر سامية الساعاتى، دور المرأة فى المجتمع المصرى الحديث، المجلة الاجتماعية القومية سبتمبر ٧٥، عدد خاص عن المرأة، ص ٩١ .

(٢) بيير مونتييه، الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة، ترجمة عزيز منصور، ص ٨١ .

والمرأة الريفية المصرية كانت أكثر أسهاماً فى التنمية الاجتماعية والاقتصادية من زميلتها الحضرية، وبالتالى فقد تمتعت بقدر أكبر من الحرية، إذ كانت تعمل مع الرجل فى الزراعة ولم تعرف الحجاب، على العكس من المرأة الحضرية. وقد يدعو ذلك إلى الاعتقاد بأن المرأة الريفية المصرية كانت ـ بحكم كونها طرفا إيجابيًا فى عملية الإنتاج اليومى ـ على قدر من المساواة بالرجل، لم تعرفه المرأة المصرية الحضرية وبخاصة فى عصور الحريم [(١)].

(٤) إذا أردنا تحليلاً اجتماعيا معاصرا لدور المرأة الريفية فى التنمية فمعنى ذلك أننا سنتناوله من منظور ريفى تقليدى يسير فى تنمية بطيئة ومعنى ذلك أيضًا أن نحدد معالمه إزاء معالم ودور الرجل الريفى وذلك حتى تكون الصورة أكثر جلاء.

ولنبدأ بتناول مفهومى الذكورة والأنوثة فى الثقافة الريفية التقليدية فالذكورة فيها تعنى القوة والسيطرة، والسطوة والسيادة أما الأنوثة فتعنى الضعف، والخضوع، والاستسلام لسيطرة الرجل.

إن المرأة الريفية تعمل من أجل الرجل، وتخدم من أجل الرجل، وتملك من أجل الرجل، وتفضل إذا كان لها «رجالة» بارزين أى أنها تدور دائمًا فى فلك رجولى.

وإذا ما حللنا علاقات القوة بين الرجل والمرأة فى الثقافة الريفية لوجدنا أن المرأة الريفية ضعيفة بوجه عام، فهى «مكسورة الجناح» على حد قولهم، تابعة لا حول ولا قوة لها مقابل الرجل الذى تعطيه تلك الثقافة السيطرة والحرية فهو السيد ذو السيطرة القوية، وهو كل شىء فى حياة المرأة، وحياتها بدون الرجل لا قيمة لها لأنها لا تكتسب قيمتها الاجتماعية إلا من خلاله، ولا يقيمها الناس إلا بعلاقتها به، وتقول الأمثال فى ذلك «ضل راجل ولا ضل حيط» أى أن المرأة الريفية تكتسب قدراً كبيرا من القوة بانتسابها إلى الرجل.

---

(١) على حسن فهمى، العلاقة بين دور المرأة المصرية فى التنمية وتطور التشريعات الخاصة بالأسرة فى مصر، المجلة الاجتماعية القومية، عدد خاص عن المرأة، ١ـ٣، ١٩٧٧، ص ٩٣ .

ورغم تسليمنا بأن المرأة الريفية مقهورة بوجه عام إلا أنها تملك عناصر قوة محدودة تتلخص في:

(١) جاه أهلها أي عصبيتهم.

(٢) ممتلكاتها مالا وعقاراً.

(٣) ذريتها وبخاصة الذكور.

ويلاحظ أن عناصر قوة المرأة الثقافية الريفية التقليدية، يشوبها كثير من عدم الوضوح وعدم التحديد، لأن تلك الصورة التي استخلصناها والمتعلقة بعناصر قوتها الكامنة والمحدودة، إنما تنطبق فقط على تلك الطبقة الريفية المتميزة بما تملك سواء من ناحية الذكور، أو من ناحية الإناث. أما بالنسبة للسواد الأعظم من أهل الريف، وهم الطبقة الفقيرة الكادحة، فإن صورة القوة عندهم مختلفة، لأن علاقات القوة بينهم مختلفة أيضًا، فالمرأة في هذه الطبقة أكثر كدحًا من الرجل، وبالتالي فهي أقل مكانة من الرجل، فبينما وقت الرجل في الريف، في هذه الطبقة الكادحة، موزع بين عماله قصيرة متكررة، وبطالة طويلة متكررة أيضًا، فإن المرأة على العكس منه لا تنعم بالراحة قط، إذ أن وقتها مشغول بشتى الأعمال المنزلية، ورعاية الأطفال، وتربية الدواجن والأنعام هذا فضلاً عن مساعدتها لزوجها في الفلاحة في كثير من الأحيان.

وفي هذا الإطار من الحياة الكادحة تزيد وطأة استعباد الرجل للمرأة. وتنكمش قوتها النسبية حيث تتبلور فقط في كونها منجبة ونافعة للرجل في بيته، إلا أن هوة القوة التي تفصل بين قوة الرجال الكادحين وقوة النساء الكادحات تكون أكثر اتساعا منها بين قوة الرجال المالكين، وقوة النساء المالكات في الطبقة الميسورة المستريحة في الريف.

ومن الأهمية بمكان أن نقول في معرض حديثنا عن دور المرأة في الثقافة التقليدية في المجتمع المصري الحديث أن الدور المعياري لها كامرأة، وزوجه، وأم، أي الدور الذي يتوقعه منها المجتمع، وينتظر منها القيام به، يتفق اتفاقا كبيراً، إن لم

يكن يتطابق مع دورها الفعلى أى ما تقوم به فعلاً وتؤديه. ولهذا فلا تجد المرأة الريفية فى الثقافة المصرية التقليدية، فى نفسها أى صراع بين المتوقع والمتحقق، ولا تستشعر فى أدائها لدورها أدنى مشاعر الاغتراب [1].

(٥) إن دور المرأة الريفية المصرية فى التنمية هو نتاج للظروف البنائية النوعية للقرية المصرية، وبخاصة حالة الأساس الاقتصادى، وما يترتب عليه من علاقات اجتماعية، وما بين هذا الأساس والبناء الفوقى من تفاعل جدلى.

وتأسيسًا على ذلك يمكن القول بأن سيادة نمط الملكية الفردية ومعظمها فى جانب الرجل؛ ترتب عليه تبعية المرأة للرجل تبعية اقتصادية كما أن الفرصة المتاحة أمام المرأة الريفية للمشاركة فى العمل المنتج ضيقه، وذلك لانخفاض نصيب الفرد من الأرض، ولعدم وجود أعمال خارج نطاق الزراعة لأنها النشاط الاقتصادى الأساسى، ولغيبة نشاطات أخرى كالتصنيع الذى أثبتت بعض الدراسات أنه غير من تبعية المرأة للرجل ونظرته إليها [1]. كما توجه بعض الظواهر المترتبة على الإنتاج الزراعى المتخلف، كوجود الأسرة الممتدة، ووجود العصبية، وما يستتبعها من تفضيل الذكور الذين يقوون عصبية العائلة وعزوتها داخل القرية. ويرتبط بالزراعة البدائية اعتبار الأرض، والماء، والحيوان، وسائل أساسية فى الإنتاج، الأمر الذى يصحبه ارتباط وعى القروى وثقافته وقيمه بهذه الوسائل ومجئ المرأة فى مرتبة تالية لها لأنها أقل منها من حيث العائد الاقتصادى.

ويتضح مما سبق أن المرأة الريفية تحتل وضعًا اجتماعية متخلفًا بكل المقاييس الاجتماعية والإنسانية والحضرية ويزداد هذا الوضع الاجتماعى وضوحًا بمقارنته بوضع المرأة الحضرية المصرية برغم وجود بعض مظاهر تخلفها هى الأخرى. ويرتبط

---

(1) R.Blood, Impact of jndustrialijation on Americen Family, Souology and Eoual Kes-eard, Vol 49. No. 1 .1969. p.5.

تخلف الوضع الاجتماعى للمرأة، بتخلف الرجل، وتخلفهما معا هو نتاج لتخلف القرية المصرية [1].

(٦) تعد نسبة الأمية العالية بين النساء فى مصر معوقا أساسيًا أمام المرأة المصرية، وبخاصة المرأة الريفية، فالمرأة الأمية لا تستطيع أن تشارك فى التغير الاجتماعى، وفى التنمية بالقدر الذى تستطيعه لو أنها تعلمت. وجدير بالذكر أن نسبة الأمية بين الإناث فى مصر قد بلغت فى عام ١٩٦٠، ٤٨٪ ثم انخفضت فى سنة ١٩٧٦ إلى ٧١٪ [2].

(٧) القطاع الريفى يمثل حوالى ٦٠٪ من المجتمع، وهو المسئول بشكل أساسى عن معدلات النمو السكانى المرتفعة التى مازالت هى العقبة فى تحقيق أهداف التنمية الاجتماعية والاقتصادية، ويشكل المنبع الرئيسى للمشكلة السكانية.

(٨) أن تتبعنا لدور المرأة المصرية الحضرية فى التنمية، لابد أن يقودنا إلى أن نضع فى اعتبارنا ذلك التداخل الكبير بين الثقافة الريفية التقليدية، وبين الثقافة الحضرية الحديثة مع ما بين الثقافتين من اختلاف واضح يصل أحيانًا إلى درجة التناقض.

وتأسيسًا على ذلك فإن الدور الذى ترسمه الثقافة المصرية الحديثة للمرأة المصرية الحضرية فى مجال التنمية دور مختلط المعالم أو لنقل أنه جماع أدوار يصعب التوفيق بينها، والدليل على ذلك أن المرأة المتعلمة التى تخرج للعمل أصبحت تقوم بعدة أدوار فى المجتمع. فهى تؤدى دورها التنموى الجديد فى الإسهام فى أى ميدان من ميادين الإنتاج أو الخدمات خارج بيتها، مدفوعة إلى ذلك بالقيم الاجتماعية الجديدة التى تقدر تعليم الفتاة واشتغالها، وتكسبها، وبرغبة الشبان

---

(١) انظر عبدالباسط عبدالمعطى، الوضع الاجتماعى للمرأة القروية المصرية، المجلة الاجتماعية القومية، عدد خاص عن المرأة، سبتمبر ١٩٧٥، العدد الثانى والثالث ص ١٣٣.

(٢) تجدر الإشارة إلى أن نسبة الأمية بين الإناث تضاءلت إلى ٥٠,١٨٪ حسب تعداد ١٩٩٦، وإلى ٤١,٧٩٪ فى سنة ٢٠٠٣ ـ المصدر الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء.

أنفسهم فى شريكة حياة متعلمة ذات دخل، وبالفلسفة التى تبنتها الدولة والتى تجعل أسهام المرأة المصرية فى عملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية السريعة، لتحقيق مجتمع الرخاء والرفاهية، ضرورة اجتماعية، ورغبة الفتاة نفسها فى أن تعيش فى مستوى اجتماعى واقتصادى كريم يعجز الزوج الشاب عن توفيره لها بإمكاناته المادية المحدودة. وهى تؤدى فضلا عن ذلك أدوارها التقليدية فى الأسرة كزوجة، وأم ، ومديرة بيت، وبخاصة أن الشباب المصرى رغم تعلمه لايزال يفضل أن تكون شريكة حياته ماهرة فى أعمال المنزل (١).

وأصبحت المرأة المصرية الحضرية العاملة منجبة كانت أم غير منجبة تحمل عبئًا آخر، ذلك العبء متسبب عن الاهتمام بالدور الثانى، أى العمل خارج البيت والنظر إليه نظرة جد واهتمام، فهو يطالبها بالتزامات محدودة لا يمكن التهاون فيها، حتى لا يرتبك العمل الذى صار فى تنظيمه الحديث يرتبط ببعضه أشد الارتباط، ويتوقف بعضه على بعض بشكل دقيق.

وتجازى المرأة المصرية الحضرية العاملة، التى تقصر فى أداء دورها فى عملها بانقاص علاواتها، أو تأخيرها أو حرمانها منها، أو تفويت فرصتها فى الترقية. وهذه جزاءات تكرهها المرأة العاملة تمامًا كما يكرهها الرجل. ولذلك أحيانًا ما نرى الكثيرات ينظرن إلى دورهن الثانى، وهو العمل خارج البيت بنظرة أعلى من نظرتهن إلى دورهن الأول والأساسى، وهو رعاية شئونهن وشئون باقى أفراد الأسرة، وتدبير البيت. وربما كان ذلك لأن دور المرأة فى بيتها دور غير رسمى، ولا تطالب فيه بالتزامات محددة وواضح أن التنظيم الاجتماعى داخل البيت، بعكس التنظيم الاجتماعى فى محل العمل، غير رسمى، وتسوده علاقات حميمة ويغلب فيه التسامح. كما يمكن تلافى أى نوع من التقصير فيه من جانب الزوجة عن طريق الخدمة المنزلية، أو بواسطة الزوج إذا كان متعاونا، والأطفال إن كانوا فى سن تمكنهم من المساعدة، أو عن طريق الهيئات الكثيرة الموجودة فى المجتمع.

---

(١) انظر سامية الساعاتى، الاختيار فى الزواج والتغير الاجتماعى ص ٣١٢

ولئن كان العمل قد جعل المرأة المصرية الحضرية الحديثة تشعر بالرضا النفسى ـ الذى يمكن أن نسميه بالاعتداد الإقتصادى بالذات ـ، إلا أنه قد تسبب من جهة أخرى فى شعورها بإرهاق وتوتر شديدين لكثرة ما تتحمله من أعباء ومسئوليات داخل البيت وخارجه.

(٩) يمكن القول بأن المرأة المصرية الحضرية بعد حصولها على كثير من الحقوق، قد كبر دورها فى أحداث التغيير من داخل ذاتها أولا، ومن خلال المؤسسات الاجتماعية من ناحية أخرى، الأمر الذى جعلها من القوى البشرية المؤثرة فى بناء المجتمع وتقدمه، ورخائه، ورفاهيته، وإن كان حظها فى أحداث هذا التغير لم يساير بعد دور الرجل فى هذا المجال.

(١٠) تعليم المرأة المصرية الحضرية تعليماً عاليا، يزيد وعيها بمتطلبات وأهداف المجتمع، كما أن التعليم يرتبط بوعى المرأة التخطيطى، كما أنه كان ولايزال جواز مرور المرأة الحضرية إلى سوق العمل الذى تنفذ خطة التنمية فى إطاره.

خاتمة:

إن المرأة المصرية شأنها شأن الرجل سواء بسواء وهى ليست مقولة عامة مطلقة، بل هى مرتبطة بانتمائها الاجتماعى والاقتصادى والفكرى، وتستمد قيمتها ومعناها من سياق اجتماعى تاريخى.

إن دور المرأة المصرية فى التنمية، لابد وأن يسير جنبا إلى جنب مع دور الرجل، من أجل تغيير الواقع المتخلف الذى يعانى منه كلاهما.

ويترتب على تأكيد الاهتمام بالدور التنموى للمرأة المصرية فى المدينة ـ فى أغلب الأعم ـ بقاء المرأة المصرية الريفية على وضعها المتخلف والمتوارث منذ مئات السنين، ما لايمكن معه تحقيق الهدف الأسمى للتنمية، وهو إحياء نصف المجتمع المعطل، ودفعه إلى المساهمة المنتجة بالتعاون مع النصف الآخر لبناء مجتمع تقدمى قادر على مواجهة تحديات العصر بكل طاقاته.

وفى النهاية نقول أننا إذا أردنا التأثير فى بعض الظواهر السلبية فى القرية المصرية كالدور التنموى المتخلف للمرأة، والأمية، وزيادة السكان، فإن المدخل الطبيعى يأتى من تنمية القرية، تنمية اجتماعية شاملة، ومن أحداث تغييرات أساسية فى الإنتاج الاقتصادى وعلاقاته، وما يترتب عليه من ظواهر معوقة للتنمية.

أهم المراجع:

أولاً: مراجع عربية:

(١) إسماعيل صبرى عبدالله، العرب بين التنمية القطرية والتنمية القومية، **المستقبل العربى**، العدد التاسع، ١٩٧٨ .

(٢) إسماعيل عبدالبارى، المرأة والتنمية فى مصر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩ .

(٣) ببير مونتييه، الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة، ترجمة عزيز منصور، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٥ .

(٤) سامية حسن الساعاتى، دور المرأة فى المجتمع المصرى الحديث، المجلة الاجتماعية القومية، سبتمبر ١٩٧٥، (عدد خاص عن المرأة).

(٥) سامية حسن الساعاتى، الاختيار للزواج والتغير الاجتماعى، دار النجاح بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٣ .

(٦) عبدالباسط عبدالمعطى، الوضع الاجتماعى للمرأة القروية المصرية، المجلة الاجتماعية القومية، عدد خاص عن المرأة، سبتمبر ١٩٧٥ .

(٧) عبدالباسط محمد حسن، التنمية الاجتماعية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٠ .

(٨) على حسن فهمى، العلاقة بين دور المرأة المصرية فى التنمية وتطور التشريعات الخاصة بالأسرة فى مصر، المجلة الاجتماعية القومية (عدد خاص عن المرأة) ١ ـ ٣، ١٩٧٧ .

(٩) كمال نور الله، التنمية الاقتصادية والاجتماعية والتنمية الإدارية فى الوطن العربى، المستقبل العربى، العدد ١١ ،١٩٧٨ .

(١٠) محمد زكى شافعى، التنمية الاقتصادية، الكتاب الأول، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٧ .

(١١) نوال السعداوى، الوجه العارى للمرأة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٧ .

ثانيًا: مراجع أجنبية:

(1) R.Blood. Impact of Industraialization on American Family, Sociology and Social Research, vol 49. no.1,1969.

الفصل السابع

دور المــرأة كــربــة بيــت(*)

«سوسيولوجيا العمل المنزلى»

تمهيـد:

نتناول فى هذا الفصل بالعرض، والتحليل، والنقد كتاب «سوسيولوجيا العمل المنزلى» لمؤلفته «آن أوكلى» .

وتأتى **أهمية** هذا الكتـاب من أنه يفرض قراءته على كل مهتم بقـضايا تحرير المرأة، فهو دراسة تتحدى النظر التقليدية إلى العمل المنزلى التى تحاول دائما التقليل من شأنه، كما أنها تتحدى إهمال السوسيولوجيين، وبخاصة المتخصصين فى علم الاجتماع الأسرى وعلم اجتماع العمل، للعمل المنزلي، كموضوع علمى جاد.

فقد دأب الباحثون فى علم الاجتماع الأسرى على دراسة المرأة إما من خلال دورها الأسرى كزوجة وأم، أو من خلال دورها كعاملة خارج المنزل بدون أجر لم يحظ بدراسة جادة أو منظمة.

ويتناول هذا الكتاب قـضية هامة وهى مـوقف علم الاجتماع التـقليدى من المرأة. كما يعرض بين دفتيه موضوعات جديرة بالاهتمام مثل: نظرة النساء للعمل المنزلي، ونظرتهن لأنفسهن كربات بيوت، ومشاعرهن المختلفة نحو العمل المنزلي، واتجاهاتهن نحو الأعـمال المنزلية المختلفة من طهـى وتنظيف.. إلخ. ومدة العمل المنزلى الذى تقوم به المرأة محسوبا بالأسبوع. ومدى أهمية المعايير والروتين كطريقة للتأكد من أن العمل المنزلى يتم على وجه أكمل، وكأسلوب على مكافأة الذات.

(*) انظر سامية حسن الساعاتي، **سوسيولوجيا العمل المنزلي**، عرض وتحليل ونقد، عالم الفكر، المجلد الثامن العدد الثالث، ١٩٨٣.

The Sociology of House work, Martin Robertson, 1974، Ann Oakley

وقد حاولت الباحثة فى هذا الكتاب وضع تقييم يكشف عما إذا كانت النساء راضيات أو غير راضيات عن العـمل المنزلي، ومدى الاختلاف فى درجات الرضا بينهن. كما يتناول الكتاب أيضا الطبقة الاجتماعية، وصلتها بالعمل المنزلى والرضا عنه، كما تناقش الباحثة تأثير التنشئة الاجـتماعية على الحياة المنزلية للمرأة، وتحلل تقسـيم العمل بين ربة البيـت وزوجها فى المنزل، وتتـفحص صعـوبات الجمع بين العمل المنزلي، وواجبات الأمومة.

وعماد هذا الكتـاب دراسة قامت بها البـاحثة « آن أوكلى » فى سنة ١٩٧١ على أربعين زوجة من ربات البيوت الإنجليزيات الحضريات.

والباحـثة توجه كتـابها إلى فئتين مـختلفتين من القـراء، الأولى تتألف من المتخصصين فى علم الاجـتماع، والثانية تتضمن هـؤلاء الذين يهتمون بموقف ربة البيت اهتمامـا خاصا دون أن تكون لديهم معرفة بعلم الاجتمـاع، لذلك فقد جاء الكتاب فى جملته جليا واضحا.

وعلى الرغم من أن العـينة التى ينصب علـيهـا هذا الكتـاب، كانت عـينة إنجليزية، **فإن وضع الزوجة ربة المنزل فيهـا، ينطبق فى أساسياته على الزوجات فى مجتمعات صناعية معاصرة أخرى.**

وإذا ما تناولنا العـمل المنزلى على سبيل المثال، وهو عـمل أساسى للمرأة، فسنجد أن إغفال هـذا الموضوع من ميدانى علم الاجتماع الأسري، واجـتماعيات العمل، إنما ينقل بوضوح انطباعا محرفا ومشوها عن موقف المرأة الحقيقي. فليس هناك اهتمام بمدى **أهميـة العمل المنزلى للمـرأة، لا من حيث مـقدار الوقت الذى تنفـقـه فى الأنشطة المنزليـة والعناية بالمنزل من جـهـة، ولا من حـيث المعنى الذاتى للعمل المنزلى بالنسبـة للمرأة الذى يمكن أن يختلف باختلاف المواقع الاجتـماعية، والطبقة من جهة أخرى.**

وفى الفـصل الأول ترى المؤلفة تناقـضا بين وجـود المرأة فى علم الاجتـماع ووجودها الاجتماعى الحقيقي، كما يعد أيضا دليلا على فـشل علم الاجتماع **فى** أخذ خبرات المرأة وواقع حياتها فى الاعتبار. ويمكن أن يوحى ذلك بإعادة **تصنيف** موضوعـات علم الاجتماع ومـيادينه بحيث تمثل كلا المنظوريـن الذكرى، والأنثوى على السواء.

وتمضى المؤلفة إلى الفصل الثانى من الكتاب لتحلل العمل المنزلى بوجه عام، وتصف البحث الذى قامت به بوجه خاص. وترى أنه على الرغم من أن هناك ميلا، يتزايد فى السنين الحالية، إلى تقليل حدة الفروق النوعية بين الذكور والإناث فى عالم العمل والمهن والوظائف، فسيظل هناك دائما دور وظيفى أنثوى برمته وهو دور ربة البيت. وعلى الرغم من أنه ليس هناك قانون يمنع الرجال من القيام بهذه الوظيفة إلا أن هناك ضغوطا اقتصادية واجتماعية وسيكولوجية تقف عائقا أمام الرجل، وتمنعه من الدخول فى رحاب هذه المهنة.

وتبدأ المؤلفة هذا الفصل بتعريف ربة البيت، ويرتكز هذا التعريف على مفهوم المسئولية، وعلى ذلك تكون ربة البيت هى الشخص المسئول وحده (دون الخادم المنزلى) عن معظم المهام المنزلية، أو عن الإشراف على الخادم المنزلى الذى يقوم بهذه المهام. وقد تكون ربة البيت متزوجة كما قد لا تكون، كما قد تكون عاملة خارج المنزل وقد لا تكون، وقد أفصح ذلك المسح الذى قام به « هنت » (Hunt) عن أن تسعة أعشار النساء من غير العاملات خارج منازلهن كن ربات بيوت متزوجات. كما كانت سبعة أعشار للعاملات خارج منازلهن من ربات البيوت(1). وعلى هذا لا يكون دور ربة البيت دورا أنثويا فقط، بل إنه يعد الدور

---

(١) تتفق هذه النتيجة مع نتائج توصلت إليها باحثات مصريات، جاء فيها ما يلي:

« يتضح مما سبق بالنسبة لتقسيم العمل الخاص بشئون المنزل بين الزوجين فى الأسرة الحضرية أن الزوجة العاملة فى معظم الحالات تقوم بعمل كل شيء يتعلق ببيتها بعد عودتها من عملها، وأنه ليس صحيحا ما يذهب إليه البعض من أن الأم المشتغلة لا تقوم بأى عمل منزلى فى بيتها، وقد تبين من استعراضنا لما سبق من الأعمال المنزلية، ومدى لمسنا لاضطلاع الزوجة بالمنصب الأكبر فى الغالبية العظمى من تلك الأعمال جميعا، وهذا على الرغم من وجود الخادمة فى الكثير من الأحيان ».

انظر سامية حسن الساعاتي، الدور الوظيفى للزوجين فى الأسرة المصرية، دراسة ميدانية فى الريف والحضر، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٧٢، ص ٥٤١.

« ويتفق هذا مع ما وجدته « فوزية دياب » عند تقصيها النشاط المنزلى لعينة تبلغ الواحد والسبعين من الأمهات العاملات ومدى إسهامهن فى أعمال البيت. إذ تبين لها أن أغلبية الأمهات العاملات ونسبتهن ٦٤,٨٪ من مجموعهن يقمن بكل الأعمال فى البيت بعد عودتهن من العمل، وأن أقلية من هؤلاء الأمهات العاملات بنسبة ١٢,٧٪ من المجموع يقمن بالإشراف فقط على شئون البيت، بينما تقوم ٢٢,٥٪ من المجموع بالإشراف والاشتراك فى بعض الأعمال ».

انظر: فوزية دياب، دور الحضانة والمجتمع، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة عين شمس، ١٩٧٠.

الوظيفى الرئيسى للمرأة فى عصرنا الحالي، لأن مسئولية إدارة المنزل هى مسئولية مشتركة بين معظم النساء البالغات.

ذلك إذن هو التبرير الأساسى لدراسة العمل المنزلي، فإنه يمثل الخبرة اليومية المتكررة فى حياة معظم النساء اللائى يكوّن إحصائيا قسما كبيرا بين السكان.

وتنتقل الباحثة بعد ذلك إلى وصف دراستها، التى تطلق عليها المسح الاستطلاعى الكشفي، والسبب فى هذه التسمية يرجع كما تقول الباحثة إلى ندرة البحوث والدراسات فى هذا الموضوع الذى صادف إهمالا بالغا فى علم الاجتماع.

وتبدأ بتعديد أهداف دراستها التى تجملها فى ثلاثة أهداف رئيسية، أولها يتضمن وصف موقف العمل المنزلي، واتجاهات ربة البيت نحو ذلك العمل، والثانى يتبلور فى فحص نماذج الرضا، وعدم الرضا عن العمل المنزلى فى علاقته بعدد من المتغيرات التى تتضمن الطبقة الاجتماعية، والتربية والتعليم، وتقسيم العمل في الزواج والأجهزة والمعدات الفنية، ونماذج التفاعل الاجتماعي.. إلخ. أما الهدف الثالث والأخير فينحصر فى اقتراح الفروض الممكنة والموجهة نحو تفسير الفروق بين ربات البيوت فيما يختص باتجاهاتهن نحو العمل المنزلي، وموقف العمل المنزلى ذاته..

وقد تكونت العينة من أربعين من ربات البيوت الإنجليزيات والأيرلنديات اللائى تتراوح سنهن ما بين العشرين والثلاثين، أثناء إجراء الاستبار، وكن جميعا من الأمهات ولهن طفل واحد على الأقل عمره أقل من خمس سنوات، وقد تم اختيارهن من واقع التقارير الطبية لاثنين من الأطباء العموميين. وقد تم استبار أفراد العينة فى أوائل سنة ١٩٧١، وكان عماد البحث استبارا مقيدا باستبيان، وكانت تلك الاستبارات مسجلة على شرائط تظل مدة تصل إلى حوالى الساعتين فى المتوسط. وعلى أساس من اجابات الاستبارات قننت الباحثة مقياسا لقياس الرضا عن العمل المنزلى بدرجاته المختلفة، كما توصلت إلى اختبار مظاهر أخرى داخل موقف العمل المنزلى ذاته، وتشمل الرضا وعدم الرضا عن العمل المنزلى والعناية بالطفل، والزواج، والعمل الخارجى بأجر، كما كان هناك تقييم لدرجة توحد المرأة مع دور ربة البيت، وأهمية تحديد معايير للعمل المنزلى وروتينيته.

وترى الباحثة أن النتائج التى حصلت عليها من بحثها إنما تنطبق على مجتمع العينة فقط، لكنها تذهب أيضا إلى أنه ليس هناك من سبب يدعونا إلى القول بأن هذه العينة هى عينة غير ممثلة، وبخاصة أنه ليس هناك دليل على أن تلك التسجيلات لا تعكس الواقع.

وتمضى الباحثة فى وصف دراستها، فتقول إن نصف عدد النساء البالغ مجموعهن **أربعين كن من الطبقة العاملة، أما نساء النصف الآخر فكن من الطبقة الوسطى.**

أما الفصل الثالث فيعطينا فكرة واضحة عن **صور العمل المنزلى** وتبدؤه المؤلفة بعرض فكرتين نمطيتين سائدتين عن العمل المنزلى فى التفكير الشعبى المعاصر: الفكرة **الأولى تذهب إلى أن ربة البيت عاملة مظلومة، تستعبد فى عمل محقر، كريه، بغيض،** يتضمن بالضرورة إنكارا كبيرا للذات. أما الفكرة الثانية فترى أن العمل **المنزلى يعطى فرصة** غير محدودة **للقيام بمجهودات خلاقة** مبدعة. **ولا تنظر** هذه الفكرة إلى العمل المنزلى على أنه عمل بل على أنه صناعة منزلية **يشكل فيها المنزل وزارة للمالية.**

وقد ظهر من خلال فحص الأربعين استبارا، أن هناك مفهوما واضحا للعمل المنزلى كعمل قد بدأ يبزغ. فالنساء فى عينة البحث **يخبرن العمل المنزلي، ويعرفنه على أنه عمل مماثل لذلك الذى يتطلبه أى موقف عمل، وقد ارتبطت ملاحظات هؤلاء النساء ارتباطا وثيقا بنتائج علم اجتماع العمل، فقد كان لمظاهر العمل المنزلى التى أطلق عليها أنها مشعبة أو غير مشعبة نظائر فى عالم المصنع، والمكتب. ويتأكد هذا التطابق بوجود ميل لدى النساء لمقارنة انعكاساتهن نحو العمل المنزلى بخبرتهن فى العمل خارج منازلهن.**

وقد كانت هناك أسئلة تكشف عن إيجابيات العمل المنزلى وحسناته كما يفصح عن سلبياته ومساوئه. وقد تبلورت إيجابيات العمل، كما عبرت عنها الزوجات فى مظاهر كثيرة أهمها الاستقلال والذاتية، ووجود الأطفال، وتوفير ظروف العمل الحر، وعدم الاضطرار للخروج من المنزل، ووجود الزوج، وتوفير الحياة العائلية، وقد قصدت عينة الزوجات بالذاتية والاستقلال، التحرر من الرقابة

والقدرة على تحـديد إيقاع العمل المنزلى وسرعـته. وقد استخـدمت حوالى نصف الزوجات المستبرات فى إجابتهن عن هذه الأسئلة عبارة **«إنك تكون رئيس نفسك» ليصفن شعورهن إزاء العمل المنزلي.** وقد احتوت إجـابات الكثير من هذه الاسئلة على مقارنة عقدتها النساء بين العمل المنزلى والعمل الوظيفى خارج المنزل مثل:

«إنك إلى حد كـبيـر تكونين سيـدة نفسك. إنك تسـتطيعين أن تحـددى ما تريدين أن تفعلى وما لا تريدين، إنه شيء مختلف عن الوجود فى عمل وظيفي، حيث يدق أحدهم الجرس، فتضطرين إلى الصعود أو الهبوط لتلبية طلبه، أو حيث تجدين نفسك مضطرة لإنجاز هذا العمل أو ذاك فى غضون نصف ساعة».

وفى إجابة أخرى نجد تعبيرا آخر عن مظاهر الاستقلال والذاتية مثل:

« إن أعظم محـاسن كونك ربة بيت، هو أنك لا تضطريـن إلى الاستيـقاظ مبكرا، والذهاب إلى العمل ».

وفى الحقيقة أن الذاتية والاستقلال فيما يتعلق بربة البيت هى أمر نظرى أكثر منه واقعى مـتحقق، فكونها رئيـسة نفسها يـفرض عليها واجبـا، هو أنها لابد أن تنجز العمل المنزلى **وتتأكد من أن كل شيء فى مـوضعه.** ومسئولية العمل المنزلى هى **مسئولية من جانب واحد فقط،** والفشل فى تحملها، قـد يكون له نتائج بعيدة المدى، وبخاصة على الزوج والأولاد.

أن حقيقة كون الإنسان رئيس نفـسه يضيف إلى الضغوط السيكولوچية لأداء العمل المنزلى أكثر من كونه يخفف منها. وتوضح إحدى الزوجات ذلك بقولها:

« إن أسوأ شيء يتعلق بالعمل المنزلى هو أنك تضطرين لأدائه لمجرد أنك فى المنزل. وعلى الرغم من أنى أملك حرية الاختيـار فى ألا أقوم به، فإنى أشعر أنى لا أستطيع، لأنه يجب أن أقوم به ».

وتصوره اخرى بقولها:

« ليس هناك أحد يمسك لى سوطا إذا لم أقـم بالعمل المنزلى ولكنى أعرف، أننى إذا لم أفعل، فـغدا سيكون على أن أقوم بضـعف العمل، ففى الحقـيقة إننى أقوم بإمساك السوط لنفسى ».

إن مسـألة حرية العمـل المنزلى يمكن اختزالهـا فى أنها حـرية من، وليست حرية لفـعل. إنها حرية ربة المنزل من الرقـابة، لكنها ليست حـرية لها لتختـار ما تفعله من أنشطة.

وعندمـا سئلت الزوجـات عن مـساوىء العـمل المنزلى تبلورت الإجـابات بالترتيب فى **العمل المنزلى نفسه، والرتابة، والتكرار، والسـأم، والمسئوليـة المنزلية المستـمرة والعزلة والـوحدة، وضرورة الانتـهاء من العمل المنزلـى والتقيـد الشديد بالمنزل.**

وعندمـا طلب من الزوجات **أن** يقـارن عمـلهن المنزلي، بعمل أزواجـهن، كانت معظم الإجابات تشير **إلى أنهن** يعتقدن أنهن يعملن أكثر من أزواجهن، بينما ذهبت نسبة قليـلة منهن إلى أن الزوج يعمل أكثر، أو أن هذه المسـألة تتحدد بنوع الشخصيـة من جهة، ونوع العمل من جهة أخرى. وقـد صورت إحدى الزوجات ذلك بقولها:

« لا شك أن ربات البيوت يـعملن أكثر. إن زوجى يعود دائمـا من عمله، ليقول لي: **لقد جلسنا اليوم وتحـدثنا فى كيت وكيت. أو لقد كان يوما مـسليا فقد ضحكنا، وتسامرنا حول كذا من الموضوعات. أما أنا فلا أفعل ذلك، إنى لا أجلس لحظة** ».

وكثيرا ما يوصف العمل المنزلى بأنه « **عمل لا ينتهى** »، ويذهب البعض إلى أنه عمل أكثر إرهاقا من الناحية الجسمية، **من أى عمل آخر مأجور. وتذهب بعض السيدات** إلى القول بأنه يأخذ جهـدا عاطفيا أكثر من أى عـمل آخر،بالإضافة إلى الجهد الفيزيقي. وتشير بعض السيدات إلى طبيعة الأعمال المنزلية غير البناءة، كما يلفتن الأنظار، إلى الإحباط العاطفى الذى ينشأ عن كـون إحساس ربة البيت بأنها مشدودة إلى طاحونة، أو ساقية، يتطلب منها أن تؤدى الفعل نفسه مرات ومرات.

والزوجات بوضعهن العمل المنزلى ضمن **الأعمال اليدوية، يجعلنه بذلك فى مرتبة عالية** من مراتب الأعمـال. وقد كان هذا الدفاع عن العـمل المنزلى ضرورى من جانب الزوجات، إزاء الإهمال السـائد لهذا العمل، وإزاء النظر إلى ربة البيت على أنها مدبرة منزل تعمل بحريتها، ووفق ما يحلو لها.

وعندما سئلت الزوجات عن مشاعرهن إزاء كتابتهن لوظيفتهن كربات بيوت فى أية صحيفة أو أوراق رسمية. أجابت أكثر من نصف أفراد العينة بأنهن يستشعرن حرجا، ومشاعر بالأقلية نشأت من أن العمل المنزلى عمل أقل من غيره من الأعمال، وهن يعبرن عن ذلك بكتابتهن فى تلك الأوراق: « مجرد ربة بيت». إن هذه الكلمة مجرد ربة بيت أو ربة بيت فقط تعنى الكثير، أنها تصور مدى شعور ربة البيت بتقليل المجتمع من شأن هذا العمل مقارنا بالأعمال الأخرى، كما أن هذا يتضمن أيضا تقليلا من شأن أدوارها كزوجة وأم. وتصور إحدى أفراد عينة البحث هذه المشاعر أصدق تصوير حين تقول: « إنى أكره كلمة ربة بيت، وعندما يسألوننى من أنت ؟ وماذا تعملين ؟ وأجيب بأنى أم، ولى أولاد، وإننى زوجة، فإنهم يهزون رؤوسهم باستخفاف قائلين: أوه، مجرد ربة بيت إننى أتعجب... مجرد ربة بيت ! أشق مهنة فى العالم... ينظر إليها بهذه الطريقة ؟! ».

ويتبين مما سبق أن مسألة التصنيف المهنى أو الوظيفى مرتبطة ارتباطا وثيقا بصورة الذات، لأنها تعكس كيفية رؤية الزوجات لأنفسهن كربات بيوت، ولكن مهما كان مستوى توحد الزوجات الذاتى مع دور ربة البيت، فيكفى أن الفكرة السائدة عنه فى ثقافة المجتمع هو أنه عمل تافه وضيع، منخفض المكانة بالنسبة للأعمال الأخرى، وهذا ما يخلع عليه أوصافا معينة مثل العمل الممل، أو العمل التافه، وما يخلع على ربة البيت أوصافا مثل المملة، والغبية... إلخ، من الأوصاف السلبية وتصور أحد الزوجات ذلك بقولها:

« إنى أتحرج من كتابة ربة بيت على أية أوراق رسمية، إنى أفضل أن أكتب سكرتيرة مثلا أو أية وظيفة أخرى، فإن لها انعكاسا أحسن، إن معظم الزوجات ربات بيوت، وهذا يبدو رتيبا مملا. إنك لا تتوقع حينئذ إلا التنظيف، والأتربة، والطبخ ».

تنتقل الباحثة بعد ذلك إلى نقطة أخرى جديرة بالاهتمام وهى مسألة الخلط بين الأنشطة المختلفة التى يتضمنها العمل المنزلي، ومدى الحاجة إلى تحديدها، وتصنيفها. إن العمل المنزلى فى رأيها هو مجموعة من الأعمال غير المتجانسة التى

تتطلب مهارات متنوعة، وأنواعا مختلفة من النشاط، فمسح الأرضية يختلف عن الذهاب لشــراء بعض اللحـوم والفـاكـهة، وطهى وجـبـة يخـتلف عن غـسل الملابس. . . إلخ. وإطلاقنا الاسم نفسه على كل هذه الأعمـال أمر يتضمن إنكارنا لوجود اختلافات وفروق بينها. ففى الحقيقة توجد بين هذه الأعمال، أعمال أحب من الأخرى، وأعـمال أقل رتابة وبعثا على الملل، وأخـرى أكثر خلقا وإيجـابية، وهكذا. وجـدير بالذكـر أن كل عمل من الأعـمـال التى تقوم بـها ربة البـيت **كـالطهي، وغـسل الملابس، وكـيـهـا، وتنظيف المنـزل يمكن أن يشكل دورا مـهنيـا مأجورا.**

ومن تحليل المؤلفة للأعمال المنزلية المخـتلفة وجدت أن أهمها هي: **التنظيف والتسـوق، والطهي، وغسل الأطـباق، وغسـيل الملابس، والكي.** وقد كانت هناك **أسئلة عن أحب هذه الأعمال إلى قلب ربات البيوت** وعن أبغضها إليهن، كشفت الإجابات عن أن أبغض تلك الأعمال، كان كـى الملابس لأنه عمل مجهد رتيب، يتلوه العمل الخاص بغـسيل الأطباق لما فيه من قـذارة، وتكرار. أما تنظيف المنزل فأتى ترتيـبه الثالث من حيث كـراهية ربات البيوت له؛ ذلك لأنه عـمل متكرر لا ينتهي، كمـا أنه على العكس من عملية التسوق، عـمل يؤدى فى عزلة وصمت، فعندمـا تعمل المكنسـة الكهربائيـة فإنها لا تسـتطيع تبادل الحـديث مع الآخرين، بعكس ما يحدث لعـملية الطبخ والكي، فيمكن لربة البيت تأديتـها وهى تتحدث إلى صديقـة مثلا. وتأتى بعـد ذلك فى الترتيب الأعـمال الخاصـة بغسل الملابس والتسـوق، والطهي. أما بالنسبـة لغسيل الملابس فـهو عمل أقل بغـضا إلى ربات البـيوت من غـسيل الأطبـاق، رغم أن كلا العـملين يتطلب إزالة القـاذروات من الأشياء.

ويعزى ذلك إلى أن هناك ارتباطـا شخصيا بالملابس. فالمـلابس التى تغسلها ربة البيت تنتـمى إلى زوجها أو أحد أبـنائها، أو إليها ذاتهـا. يضاف إلى ذلك أن وسائل الإعلام تركز على عملية الغسيل وتغلفها بهالة جميلة فى إعلاناتها التجارية عن المنظفات المختلفـة موحية إلى ربة المنزل بأن نقاء غسيلـها وبياض لونه هو أحد واجباتها الأساسية.

وجدير بالذكر أن استخدام الآلة بالنسبة لعمليتى غسيل الأطباق وغسيل الملابس، يقلب اتجاه ربة البيت إليهما من كره إلى تقبل، وقد لوحظ ذلك بالنسبة إلى الكثير من أفراد العينة [1].

أما التسوق، كدور من أدوار ربة البيت، فأمره مختلف، ذلك أنه دور أكثر اجتماعية، فهو يتطلب غيابا عن مقر عملها وهو المنزل، لذلك فقد ذكرت معظم الإجابات أن التسوق من الأعمال المحببة لأنه يتضمن خروجا من المنزل، ومقابلة للناس ونوعا من التغيير من جو المنزل. وقد ذكرت بعض السيدات أنهن لا يحتجن للخروج من المنزل يوميا للتسوق، لكنهن يفعلن ذلك لمجرد الخروج من المنزل، أو لإعطاء صغيرهن فرصة لنزهة قصيرة. ورغم هذه المزايا المرتبطة بالدور الاستهلاكى لربة البيت فإن هناك سلبيات لهذا الدور تتبلور فى المصاعب الفيزيقية. فاصطحاب أطفال أثناء عملية التسوق ترهق ربة البيت جسمانيا وعقليا، فإن الجمع بين عملية التسوق وبين رعاية طفل أو أكثر أثناءها يجعل اهتمام ربة البيت موزعا، ويقلل من كفاءتها كمشترية،كما أن الانتظار الطويل فى بعض المجمعات الاستهلاكية، أو المحلات أمر يبعث على الملل. ويلاحظ أن هناك فرقا بين نوعين من التسوق: تسوق بشكل جزئي، ويحدث يوميا تقريبا لشراء متفرقات بكميات قليلة، وتسوق آخر كلى يأخذ شكل التخزين ويحدث مرة أسبوعيا أو كل أسبوعين. وهذا النوع الأخير من التسوق هو الأكثر كراهية من جانب ربات البيوت لأنه يتطلب جهدا مضاعفا فى شرائه وتوصيله إلى المنزل، ولا شك أن وجود سيارة، وهو أمر لا يتوفر للكثيرات، يسهم فى التقليل من حدة كراهية هذا العمل.

أما العمل السادس من الأعمال المنزلية الرئيسية فهو الطهي، والذى اعتبرته جميع ربات البيوت اللائى تضمنتهن العينة أكثر الأنشطة المنزلية قربا إلى قلوبهن لأنه يمثل فى رأيهن فنا خلاقا، واستعراضا للقدرة والمهارة. ولا شك أن نظرة ربات البيوت للطهى على أنه عمل فنى خلاق، يمثل انعكاسا للفكرة الثقافية السائدة

---

(١) تتفق هذه النتيجة مع نتائج بحث مصري، تقول فيه صاحبته:

« إن الزوجات أنفهسن أصبحن يتضايقن من أداء الأعمال الخاصة بالغسيل، وغسيل الصحون بالطرق التقليدية لأنها تتضمن قدرا كبيرا من (المرمطة). ولكنهن يقبلن عليها كلما أصبحت آلية».

انظر: سامية حسن الساعاتي، المصدر السابق، ص ٥٤٣.

عنه، والتى تؤكدها وسائل الإعلام والإعـلانات، والمجلات النسائية، ودور النشر التى تخصص كتبا بـأكملها لهذا الفن. والملاحظ أن معظم التوجيهـات الثقافية فى هذا المجال والتى تتناول الطـهى بوصفه فنا، واستـعراض عضـلات، لا ترشد ربة البيت إلى كـيفية صنع أكـثر الوجبات غنى بالمواد الغـذائية المفيدة فى أقـصر وقت ممكن، قدر ما تعلمهـا كيف تزين الأكلات المختلفة وتجعلها شهـية. وهذه محاولة لنقل الطهى من كونه عـملا إلى كونه تسلية وقضـاء وقت، وتعكس تلك المحاولة مثلا واضحا على الإنكار الاجتماعى لاعتبار العمل المنزلى عملا بالمعنى الصحيح. ولكن إيجـابيات العـمل المنزلى الخاص بالطهى تفـسده سلـبيات منـها أن الأزواج يطلبون الطعـام فى أوقات محددة، وأن وقت طهى الطعام قـد يتداخل مع الوقت المحدد لغسل الملابس أو تغيير الأسرة، أو إطعام الوليد أو الصغير. ومن السلبيات الأساسية لعملية الطهى **تلك المهمة الثقيلة التى لا تنتهى أبدا وهى التفكير الدائم فى السؤال الخالد: ماذا نأكل اليوم ؟.**

ويمكن أن نلخص فى آخر هذا الفـصل الإيجابيات المتصلة بالأعـمال المنزلية بعامة مرتبة حسب أهميتها فى نظر الزوجات، وهي: **التمكن من محادثة الآخرين أثناء العمل**، واعتدال المزاج أثناء أداء العمل المنزلى.ووجود وقت كاف لأدائه، وأن تكون هناك خلفية جيدة للعمل وذلك بتوفـر الأدوات الحديثة، ووجود مقدار كاف من المال للمتطلبـات المنزلية المختلفـة وتوفر التقـدير اللازم للعمل، أما السلبـيات المتـصلة بالعمل المنـزلي، فتـمركـزت حول الملل والـرتابة والتكرار، وعدم توافـر الأدوات المناسبـة لأداء الأعمال المنزليـة، وانحراف المزاج أثناء العمل، واعـتراض الأطفـال طريق ربة البيت أثناء أدائهـا لعملهـا، وعدم وجـود الوقت الكافى لأداء العمل، والعـزلة الاجتمـاعيـة، والاضطرار الدائم إلى التفكير فى الـعمل المنزلى وترتيباته.

مما سـبق يتضح لنا إذن صـدق مـا ذهبت إليه المؤلفـة من أن ربات البيـوت ينظرن إلى العمل المنزلى على أنه عمل يماثل غيره من أنواع الأعمال الأخرى. ومن تحليل ملاحظاتهن عن أحب مظاهر العمل المنزلي، وعن أبغضها بالنسبة إليهن تبين أن التحـرر من الرقابة كان على رأس الصفـات الإيجابية، أمـا العمل المنزلى ذاته فكان فى مـقدمـة السلبيـات التى ذكرناهـا. وقد عـرفن العمل المنزلى بأنه عـمل

«حقيقى وشاق»، وهى صفات أكـدنها ليجابهن بها تلك الأفكار النمطيـة الخاطئة السائدة فى ثقافتـهن، والتى تخلع على العمل المنزلى مكانة وقيمة منخفـضة. كما تبين من البـحث أيضا أنه بينمـا تتناول تلك الأفكار النمطية الخـاطئة الشـائعة فى الثقافة، العـمل المنزلى كنشاط منفرد، فإن ربات البيـوت ينظرن إليه على أنه عمل رئيسى يتضمن أعمالا وأنشطة فرعية منفصلة. وظهر من البحث أن مشاعر الرضا أو عدم الرضا عن مختلف الأعمـال المنزلية تتأثر كثيرا بالظروف التى تتم فيها هذه الأعمال والتى تتعلق بمدى توافر الأجهزة والأدوات الميسرة والمخففة.

وفى نهاية هذا الفصل يمكن القـول بأن الصورة التى رسمتهـا المؤلفة للعمل المنزلى ولربات البـيوت من خـلاله، من واقع النتـائج التى أسفـر عنها بحـثهـا، تتعـارض مع الصورة السائـدة عنه وعنهن فى الثقافـة، والتى تذهب إلى أن ربات البيوت يشكلن طبقة مرفهة، وأنهن لا يعملن شيئا طوال اليوم.

أما الفصل الرابع، فيتناول موضوعا هاما هو العلاقة بين الطبقة الاجتماعية والأعمـال المنزلية ومدى الـرضا أو عدم الرضـا عنها. ومفهـوم الرضا عن العمل المنزلى فى هذا الفـصل مشـتق من مفـهوم الرضـا عن العمل المسـتخـدم فى علم الاجتماع الصناعي، وعلم اجتماع العمل فهو يمثل تقييما شاملا لدرجة الإيجابية أو السلبية التى تتناول بهـا ربات البيوت عملهن. وقد حـددت الباحثة مفهـوم الطبقة الاجتمـاعية على أسـاس مهنة الزوج، وهو مقيـاس تقليدي، وقد بررت البـاحثة اختيـار ذلك المحك التقليدى بأنه أكثر مـلاءمة فى المقارنة بين بحثـها وبين بحوث أخرى تناولت الموضوع نفسه، واتخذت ذلك المحك التقليدى أساسا للدراسة.

ومن النتائج الجديرة بالاهتـمام فى هذا الفصل أنه ليست هناك فروق طبـقية فى النوع وإنما فى الدرجـة فقط بـين الطبقـة العاملة والـطبقـة الوسطى من ربات البيوت، اللائى كـان لهن عمل خارجى قبل الزواج، فى تفضـيل العمل الوظيفى على العمل المنزلى على أساس أن العمل المنزلى يفتقـد المكافأة الاقتصادية، ويتميز بالانعزال ونقص الاعتراف الاجتماعى بالمسئوليات الملقاة على عاتق ربة البيت.

ومن أهم النتائج التى توصلت إليها البـاحثة، هو أنه ليست هناك فروق فى الطبقة الاجـتماعيـة بين الراضيات وغيـر الراضيات عن العمل المنزلي، فـقد كان الاتجاه السائد بين الغالبية العظمى من المستبرات فى عينة البحث هو عدم الرضا عن

العمل المنزلى سواء بين ربات البيوت من الطبقة العاملة أو من الطبقة الوسطى. أما من حيث اتجاه أفراد العينة نحو دور ربة البيت فقد كان هناك بعض الفروق الطبقية، وحيث كان اتجاه ربات البيوت من الطبقة العاملة بعامة أكثر إيجابية من مثيله بين ربات البيوت من الطبقة الوسطي. ومن هنا يتبدى أن ربات البيوت من الطبقة الوسطى أكثر ميلا لإدراك المكانة المنخفضة لدور ربة البيت من مثيلاتهن من الطبقة العاملة. ولذلك فإن الشكوى من تلك العبارة الشائعة: « مجرد ربة بيت »، هى أكثر ترددا بينهن منها بين نظيراتهن من الطبقة العاملة.

وقد يبدو فى النتائج السابقة شيئا من التناقض، ولكن هذا التناقض يزول إذا ما أدركنا أن المؤلفة تفرق بين المشاعر نحو العمل المنزلي، وبين الاتجاه نحو دور ربة البيت. فربما أحست المرأة بإيجابية وتقبل لدور ربة البيت، ولكنها فى الوقت نفسه تكره العمل المنزلي، كما أن عكس ذلك النموذج يمكن تواجده أيضا، فالمشاعر تجاه العمل المنزلى يتدخل فيها التعود على أداء هذه الأعمال والخبرة بها، أما اتجاهها نحو دور ربة البيت، فمسألة يتدخل فيها مفهومها عن ذاتها ومعايير الثقافة الفرعية التى تعيش فيها والخاصة بمظاهر سلوك الدور الأنثوي، وحيث تختلف اتجاهات المرأة نحو دور ربة البيت فى الطبقة العاملة عنها فى الطبقة المتوسطة، بينما لا توجد اختلافات بينهما فيما يتعلق بنشاط العمل المنزلي.

وفى الفصل الخامس تناقش المؤلفة ظروف العمل المنزلي، وتتناول فيه الفترات التى يستغرقها هذا العمل، والخلفية التكنولوجية التي يتم فيها. وقد تبين منه أن متوسط عدد ساعات العمل المنزلى لربات البيوت فى هذا البحث كان سبعا وسبعين ساعة أسبوعيا، وهو عدد يماثل تقريبا ضعف عدد ساعات العمل الأسبوعية للعامل الصناعى والذى يقدر بأربعين ساعة فى المتوسط. كما تبين منه أن استخدام الأجهزة والأدوات المناسبة فى العمل قد يقلل من الشعور بعدم الرضا عن العمل المنزلى لكنه لا يحوله من عمل بغيض إلى عمل سار محبوب. كما ظهر أن بعض الصلات الاجتماعية لربة البيت قد تقلل أيضا من ذلك الشعور بعدم الرضا.

وفى الفصل السادس تلقى المؤلفة الضوء على المعايير المتعلقة بالعمل المنزلى والتى على أساسها تتبع ربة البيت أسلوبا معينا أو روتينا معينا فى أدائه. وقد كانت هناك اختلافات عديدة بين ربات البيوت فى عينة البحث بهذا الصدد، وحيث كانت بعضهن تضع لنفسها معايير صارمة فى أداء العمل المنزلي، حتى أنه يمكن تصنيفها باثولوجيا ضمن الحوازيات، بينما لا تتبع أخريات أسلوبا أو نظاما معينا فى أدائه. ولتحديد تلك المعايير وذلك الروتين وظائف هامة، **أولها** أنها وسيلة لتوحيد أعمال غير متجانسة تكون العمل المنزلى فى بناء وظيفى متماسك، **وثانيها** أنها دليل على أن العمل المنزلى عمل له معاييره وروتينه مثل أى عمل آخر، وهذا فى ذاته دفاع ضد من يقول أن المرأة فى المنزل لا تفعل شيئا، **وثالثها** أن فى تحديد تلك المعايير وذلك الروتين توسيع لمجال العمل المنزلي، وبخاصة أمام ربة البيت المتفرغة التى لا تعمل خارج منزلها، **وآخرها** أن ربة البيت بذلك التحديد إنما تضع ميكانيزما تستطيع أن تكافئ نفسها عن طريقه فى إنجاز العمل المنزلي. وتأخذ المكافأة السيكولوجية التى تحصل عليها ربة البيت من تمسكها بمعايير أداء العمل المنزلي، وروتينه المعين، شكلا موضوعيا على الرغم من أنها موضوعة سلفا بواسطة ربة البيت كعاملة. وتلعب وسائل الإعلام أيضا دورا فى تحديد معايير العمل المنزلي، كما تسهم فى ذلك إلى حد كبير، التنشئة الاجتماعية المنزلية السابقة لربة البيت وإعدادها للعمل المنزلي.

وتخصص المؤلفة الفصل السابع للعلاقة بين التنشئة الاجتماعية لربة البيت وبين صورتها عن ذاتها. وفيه تبين أن العمل المنزلي، مثله فى ذلك مثل أى عمل، لابد أن تسبقه فترة تدريب مهنى أو تلمذة وظيفية. ولكن الإعداد الأنثوى للدور المنزلي، يختلف عن الأعمال الأخرى فى أنه لا يتخذ شكلا رسميا، ولذلك لا ينظر إليه على أنه تلمذة وظيفية. **والسبب الرئيسى فى ذلك هو أن إعداد المرأة لتكون ربة بيت يختلط مع تنشئتها لدورها الأنثوى بالمعنى الواسع.** وتفصح نتائج البحث عن أن جميع أفراد العينة قد قررن أنهن على وعى بوجود صلة وثيقة بين طرقهن فى أداء العمل المنزلى وبين الطرائق التى كانت أمهاتهن يستخدمنها لأداء العمل نفسه. وفى هذا تقول إحدى أفراد العينة:

« إن لى نفس المعايير التى كانت تتبعها أمى فـيما يتعلق بأعمال المنزل. فقد كانت تفعل كل مـا ينبغى عمله، ولم يكن هناك من يستطيع أن يتجـول بعينيه فى المنزل ليـقول إن هذا العـمل أو ذاك ينقـصه شـيء. . إننى دائما أحـاول أن أتمثل بها. . . ».

ومن النتائج الهامة فى هذا الصدد، أن هناك فروقـا طبقية بين ربات البيوت فيما يتعلق بصورة الذات، فقـد كان هناك ميل لدى اللائى ينتمين منهن إلى الطبقة الوسطى إلى ذكر أحـد دورى الزوجة والأم أو كليهمـا، دون الإشارة إلى دور ربة البيت فى تـصورهن لذاتهن. كمـا وجد مـيل لديهن أيضا إلى رؤية أنفـسهن من خلال أدوار أخرى غير منزلية، كالأدوار الديـنية أو السياسية. . . . إلخ. أما ربات البيوت من الطبقة العاملة فقد كن يملن إلى اختصار دورى الزوجة والأم تحت كلمة « ربة بيت »، وذلك فى وصفهن لذواتهن. وفيمـا يلى إجابة إحدى ربات البيوت من الطبقة الوسطى على اختبار العشر جمل، الذى يكشف عن تصور الذات. .

« إننى متقلبة ــ إنــنى أعمل بجد ــ إننى اتكلم كثيرا ــ إننى سـعيدة معظم الوقت ــ إننى امـرأة راضيـة ــ إننى احتـاج وجود الآخـرين طوال الوقت ــ إننى أعشق الخروج ــ إننى مسيطرة ــ إننى حالمة ــ إننى قلقة ».

وبهدف وضوح المقارنة فانا نسوق اجـابة أخرى للاختبار ذاته، لربة بيت من الطبقة العاملة تكشف عن تصورها لذاتها:

«إننى ربة بيت جيدة ــ إننى أجيد مـعاملة أبنائى ــ إننى أجيد العمل المنزلى ــ إننى أجيد معاملة زوجى ــ إننى أجيد الغسيل ــ إننى أشعر بالسأم أحيانا ــ إننى أشعر بالغضب أحيانا ــ إننى شديدة السعادة بعملى ــ إننى سعيدة بأولادى ــ نادرا ما أكون تعيسة ».

وتتضح من المقـارنة السابقة نتـيجة هامة أخـرى، تضاف إلى النتائج سـالفة الذكر وتؤيدها، وهى أن صورة المرأة من الطبقة العاملة عن نفسها يتضح فيها بشدة توحدها بدور ربة البيت. وإقـبالها على العمل المنزلي، بينمـا تظهر قدرة المرأة من الطبقة الوسطى على رؤية نفسها ووصفها لها من منظور الشخصية وسماتها.

وفى الفصل الثامن تبحث المؤلفة موضوع الزواج. وتقسيم العمل بين الزوجين من وجهة نظر بعض المتخصصين فى علم الاجتماع الأسري، كما تتعرض المؤلفة فى هذا الفصل إلى وصف تقسيم العمل المنزلى بين الزوجين وتحليله كما تبحث معتقدات ربات البيوت من أفراد العينة حول الأدوار الذكرية والأنثوية.

وقد أجريت الاستبارات مع الزوجات فقط، ولم تشمل الأزواج، وقد طلب منهن تقييم مدى اشتراك أزواجهن معهن فى العمل المنزلى وفى رعاية الأبناء على السواء بثلاثة محكات تتراوح بين عال، متوسط، ومنخفض، وقد أفصحت إجابات الاستبارات عن ثلاث نتائج هامة:

١ ــ إن قلة من الأزواج فقط هم الذين يساعدون زوجاتهم بقدر مرتفع. فقد كان ١٥٪ من الأزواج فقط هم الذين حصلوا على تقدير عال فى المشاركة فى العمل المنزلى بينما حصل ٢٥٪ منهم على التقدير ذاته فى المشاركة فى رعاية الأطفال.

٢ ــ اختلفت نماذج مشاركة الأزواج لزوجاتهم باختلاف الطبقة الاجتماعية فقد كان اشتراك الأزواج من الطبقة المتوسطة فى العينة، أكثر انخفاضا من اشتراك الأزواج من الطبقة الدنيا، وذلك فيما يتعلق بالعمل المنزلى ورعاية الأطفال.

٣ ــ كان هناك ميل أكثر من قبل الأزواج للمشاركة فى رعاية الأطفال منه فى العمل المنزلي.

ومن بين من حصلوا على تقدير عال فى المشاركة فى كل من العمل المنزلي، ورعاية الأطفال ننتقى هذه الصورة لزوج يعمل فى تجارة المعلبات، وكانت زوجته تعمل على الآلة الكاتبة قبل أن ترزق بطفلها:

« إننى أساعده فى عمله، فأطبع له أوراقه، وأضيف بعض فقرات إذا لزم الأمر. كما أنه يساعدنى فى عملى أيضا. إنه طاهٍ ممتاز، وهو لا يمانع فى أن يأتى فى نهاية اليوم ليطهى وجبة. وفى الأسبوع الماضى مثلا قام بطهى ثلاث وجبات. وإذا حدث أن كنت أقوم بتنظيف حجرة بالمكنسة الكهربائية وأقبل هو فى هذه اللحظة فإنه يقوم بتنظيف الحجرة الأخرى، كما أنه ينظف النوافذ بانتظام، ويقوم بتجفيف الأطباق، وهو يعيننى على الانتهاء من عمل المنزل لأنه يحب أن نجلس

سويا بعد الظهر، وهو يكوى ملابسه أيضا. وعندما نكون فى المنزل معا فإنه يشاركنى فى رعاية الطفل، فهو يحممه فى المساء **ويغير له لفائفه، وفى يوم العطلة يصحو له مبكرا** فى الصباح كى يعطينى الفرصة لأنام بضع ساعات».

وهذه صورة أخرى **لزوج حصل على تقدير منخفض فى المشاركة فى كل من العمل المنزلي**، ورعاية الأطفال، تقول زوجته:

« إنه لا يساعدنى أبدا فى الأعمال المنزلية، ولا فى شراء لوازم المنزل، ولا فى الطهي، إنه يقول دائما: إننى أعمل طوال اليوم، وعندما أعود إلى المنزل أكون مرهقا تماما. وهو لا يشترك فى رعاية أبنائه أبدا. إنه يحب الأطفال، ولكنه لا يرعاهم. فقد كان على أن أؤدى واجب العزاء منذ يومين، ولكنه لم يدعنى أذهب لأنه قال لي: أنا غير مستعد لأن أرعى الأطفال إلى حين عودتك. لذلك فإنه إذا كان على أن أذهب لأى مكان لقضاء أحد شئونى فلابد أن تكون « مارى » أكبر بناتى بالمنزل. إننى أقصد أنه يرفض مجرد الجلوس مع أبنائه لحين عودتي، لا لأنه يكره الأطفال، بل لأنه ببساطة قد ورث هذا الاتجاه عن والده ودائما ما يردد كلمته المأثورة: إننى لا يمكن أن أقبل أن تدلنى امرأة على ما ينبغى فعله ».

أما من حيث تحليل معتقدات ربات البيوت التى تدور حول الأدوار الذكرية والأدوار الأنثوية فقد ثبت من البحث أن معظمهن يذهبن إلى أن مكان الرجل ليس فى البيت، حتى وإن كن يحبذن مشاركة الرجل لهن فى الأعمال المنزلية مشاركة أكثر. وبالمثل فإن من كانت تريد منهن أن تسهم بقدر أقل فى العمل المنزلى فإنها كانت تجابه بتلك الضغوط الاجتماعية الناشئة عن المعيار القائل بأن المرأة تنتمى إلى مملكة العمل المنزلى ورعاية الأطفال.

كما أسفرت نتائج البحث أيضا أنه خلال دورة الزواج تكون هناك فترات تتسم بالمشاركة أكثر من غيرها. فحين تخرج الزوجات إلى العمل تزداد درجة مشاركة الأزواج لهن فى الأعمال المنزلية، وفى رعاية الأبناء. وهذه النتيجة **تتسق** مع ما ذهبت إليه بحوث أخرى كبحث « هوفمان » Hoffman الشهير عن **النساء** العاملات وتأثير عملهن على **الأسرة، ولكن ذلك لا يعنى أن آراء الزوجين** متحررة أو منادية بالمساواة؛ ذلك لأنه عندما تكف الزوجة عن العمل خارج المنزل فإن رغبة

الزوج فى مساعدتها تقل، ويعكس تقسيم العمل بينهما عندئذ نموذجا تقليديا واضحا. ويدل ذلك على أن معتقدات الزوجين الأصيلة عن الأدوار الذكرية والأنثوية لم تتغير.

وتعالج الكاتبة فى الفصل التاسع والأخير تربية الأطفال كوظيفة مرتبطة كل الارتباط بالعمل المنزلي. فمعظم ربات البيوت من الأمهات، وكل الأمهات ربات بيوت. وقد ظهر من خلال هذا الفصل والفصول السابقة، أن الأطفال يؤثرون فى مدى الاستمتاع بالعمل المنزلي، لأنهم يجعلون ساعات العمل الأسبوعية أطول، كما أنهم كثيرا ما يظهرون كعوامل محبطة لربة البيت كعاملة منزلية. فدائما ما يقطعون عليها عملها، ودائما ما تجد نفسها وسط أعمالها المنزلية الكثيرة، مطالبة برعاية أبنائها فى الوقت نفسه. ويزيد رضاء ربة البيت عن عملها المنزلى كلما ساعدها زوجها فى أن يحمل عنها بعض العبء فى تربية الأطفال لأنه عندما يحدث ذلك فإن الضغوط الناشئة عن أداء ربة البيت ودور مربية الأطفال تخف حدتها.

وتلقى الكاتبة الضوء على دورى الزوجة كربة بيت ومربية أطفال معا، وعلى المشكلات الناجمة عن الجمع بين هذين الدورين. وهى ترى أن هناك تناقضا واضحا بينهما، ولا ينجم هذا التناقض فقط عن أن الأطفال مخلوقات فوضوية، تفسد نظام البيت المنظم، ولا عن حاجتهم لأن تطعمهم الأم، أو تلعب معهم، أثناء إعدادها الطعام أو تنظيفها للحجرات، بل إن هناك تناقضا أساسيا يكمن فى طبيعة هذين الدورين ذاتهما. فتربية الأطفال عمل منتج ومثمر Productive، بينما لا ينطبق ذلك على العمل المنزلي. فالعمل المنزلى عمل له أهداف وقتية ومتكررة، فالمنزل ينظف اليوم، وتعاد نظافته فى الغد، وهكذا لمدة سنوات قد تربو على الثلاثين أو الأربعين. أما الأمومة فإن لها هدفا وحيدا بعيد المدى، فالأم تربى الأبناء حتى يعتمدوا على أنفسهم ويستغنوا عنها بالتدريج، ولذلك فقد كان أحد المحكات الأساسية فى اختيار العينة أن يكون لدى كل امرأة طفل على الأقل فى سن ما قبل المدرسة.

وتنظر الكثير من الزوجات إلى دورهن كربات بيوت، ومربيات أطفال على أنهما وجهان لعملة واحدة، وغالبا ما يعتبرن تربية الطفل، وتنظيف ملابسه،

وترتيبهـا جزءا من العمل المنزلي، كما أن المعـايير التى يضعنها لأنفسـهن والمتعلقة بالعمل المنزلي، غالبـا ما تنسحب على تربيتـهن لأطفالهن وأهمها معـايير النظافة والترتيب. **وتعـد هذه المماثلة بين الدورين، مـجـرد انعكاس لمعـاييـر المجتـمع، والاتجاهات الاجتـماعية السـائدة فى النظر إلى المرأة، والتى تذهب إلى أن دور ربة البـيت يشـمل أدوار المرأة، والـزوجـة، والأم ونادرا مـا تفـرق بين هذه الأدوار، أو تذكرها منفصلة.**

وتنتهى الباحـثة فى هذا الفصل إلى نتائج هامة اسـتقتها من بيانات بحـثها، **وهى أن الأم المعاصرة تؤدى دورها فى سياق اجتماعى لا يبعث على الرضا. ومنشأ عدم الرضا هو العزلة الاجتماعية، والمسئولية المستمرة، كما وجدت أن الأم كعاملة منزلية تواجـه صراعا بين المطالب المختلفـة للعمل المنزلى بحيث يعد الطـفل أحيانا وسط خـضم هذه المطالب عائقـا فى سبـيل الرضا عن العـمل المنزلي،** أما بالنسبة للطفل فيعد الجمع بين مطالبه ومطالب **العمل المنزلى شيئا محبطا له وللأم.** وعلى الرغم من أن الرجل يحـاول أحـيانا أن يعـالج تلك المشكلة بالـتدخل فى رعـاية الأطفال، فإن تدخلـه يكون غالبا محدودا بأنشـطة معينة مفضلة لـديه كاصطحاب الأطفـال للنزهة أو وضـعهم فى الفـراش، لكنه يحـجم عن الاشتـراك فى أنشطة أخرى لهـا مظاهر أكثر روتينيـة، وأقل متعـة فى تربية الأطفال ورعـايتهم. وهذا التوسع فى دور الأب يعطى الأم الفرصة لأداء **بعض الأعمال المنزلية، وترتيبا على ذلك** فإنه يعطيها مزيدا من الإحساس بالرضا عن العمل المنزلي.

وفى الخـاتمة تركز المؤلفـة على تلخيص أهم نتائج بحـثهـا. وتكرس الجـزء الأخير منها لمناقـشة مسألة مركز ربة البيت فى المجتمع بعـامة. وتطرح عدة أسئلة أهمها: **مـا هو مـدى وعى ربات البـيـوت - أو مدى الـوعى الذى ينبـغى أن يكن عليه- بموقفهن كنساء، وهل ينظرن إلى أنفسـهن كجماعة مضطهدة ؟ وهل تلاقى حـركة تحـرير المرأة صدى بينهن؟ وإلـى أى مدى نجـحت حركـة التحـرير هذه فى توصيل أيـديولوجيتـها وأفكارها إليـهن ؟ وما هى أنسب الوسـائل، وأنجح الطرق لتحرير ربة البيت؟.**

وتجيب الباحثة عن هذه الأسئلة إجابة مركـزة فتقول: إن انتماء معظم النساء للأدوار التقليدية لربة البيت والزوجة والأم، لا يمكن أن يعالج فقط بالنظر لمواقعهن

من بناء اجتماعى واقتـصادى معين، بل يجب أن تمتد لتشمل فهما شـاملا للكيفية التى تستطيع بها النـساء أن يتوحدن مع قهرهن. بمعنـى آخر أن الأبنية والنظم التى تضطهد المرأة، لا يمكن أن تتـغير ما لـم يوجد وعى مسبق لدى المرأة لأهمـية هذا التغيير، وهذا هو دور حركة تحرير المرأة.

وقد نجح الكتاب فى إيضاح النظرة الجديدة إلى العمل المنزلى، وفى تحليلها له كعمل يماثل غيره من الأعمال، كما أنه أظهر زيف تلك الأسطورة السائدة فى الثقافة الإنجليزية، وفى ثقافات أخرى كثيرة، والخاصة بسلبية العمل المنزلى، وسهولته، وطبيعته بالنسبة للمرأة والتى تتضح من أسئلة توجه إلى النساء فى عالمنا المعاصر مثل: هل ستعملين؟ أم ستبقين فى المنزل؟ وكأن البقاء فى المنزل لا يتضمن عملا(١).

وكـان تعـمق المؤلفـة فى تحليل صـور ربات البيـوت عن أنفـسـهن، وعن اتجاهاتـهن نحو العمـل المنزلى وما يتـضمنه من أعـمال فرعـية مـختلفـة، ومدى شعـورهن بالرضا أو عدم الرضـا عن عملهن، ونفاذهـا إلى طبيعـة العمل المنزلى نفسه، بما يستغرقه من وقت وما يتـفرع إليه من أعمال، والكشف عن المعايير التى تحكم انجازها، كل ذلك كان عملا جديرا بالاعجاب، كما وفقت الكاتبة فى عرض أفكارها فجاءت فصـول الكتاب منطقية مرتبطة، يسلم كل فصـل منها إلى ما بعده فى سلاسة ووضوح.

لكننى بالتعمق فى دراسة محتويات **هذا الكتاب** فيما عدا الفصل الأول منه، وأجزاء يسيرة من الفصل الثالث **والسابع والثامن، سيكولوجى النزعة** قلبا وقالبا. فهو يلقى الضوء كله على مسـألة الرضا أو عدم الرضا عن العمل المنزلي، ويحلل

(١) هناك عبارات تشير إلى ذلـك فى الثقافات المختلفة، ففى الثقافـة الأوروبية تجيب المرأة إذا سئلت عن هويتها (مـجرد ربة بيت Just a House wife) وفى الثقـافة المصرية تجيب (مـجرد ست بيت) وتشير عبارات مصرية مثل (فلانة مش بتشتغل، دى قاعدة فى البيت.. إلخ) إلى أن البقاء فى المنزل يتضمن الجلوس وعدم القـيام بعمل وعبارة « فلانة بتشتغل وجـوزها قعدها فى البيت » تشير أيضا إلى أن البقاء فى البيت راحة، بعكس العمل الذى لا يكون إلا خارجه.

دور العاملة المنزلية من وجهة نظر سيكولوجية بحتة وذلك بالكشف عن صورة الذات، واحيانا يفرق فى تحليلها بمنظور علم النفس التحليلى فيأتى ذكر (فرويد) فى عدة صفحات من صفحات الكتاب. أما تحديد الباحثة للطبقة على أساس تقليدى وهو مهنة الزوج، فلم يكن منطقيا مع اتجاهها التجديدي، كما أنه لم يكن واضح الدلالات فى ثنايا الكتاب. ولا يشفع لها فى ذلك ما بررت به موقفها، من أن ذلك التحديد كان أكثر ملاءمة فى المقارنة بين نتائج بحثها ونتائج بحوث أخرى تناولت الموضوع نفسه.

وإنى أرى أن استبدال عنوان هذا الكتاب بـ (سيكولوجية العمل المنزلى) كان يصبح أكثر إيحاء ودلالة على ما احتواه بين دفتيه من حقائق ومعلومات[١].

إن كتابا عن سوسيولوجيا العمل المنزلي، لابد أن يتضمن موضوعات سوسيولوجية متخصصة من بينها: تصنيف الخلفيات الاقتصادية والاجتماعية التى يجرى فى إطارها العمل المنزلى فى ثقافات مختلفة، والمقارنة بوجه خاص بين الدول المتقدمة تكنولوجيا، وبين الدول النامية والمتخلفة، من حيث طبيعة العمل المنزلى فى كل منها. وتحليل دور ربة البيت وما يتضمنه من قوة تتمثل فى تأثيرها فى نماذج شخصيات أطفالها وسلوكهم فهى المنشئة الأساسية لهم، بل إن مركزها المحورى فى الأسرة يمكن أن يؤثر فى صحة أفرادها ومرضهم على السواء. كما لابد أن يحتوى مثل هذا الكتاب على دراسة التفاعل الاجتماعى لربة البيت، وتحليل عملها المنزلى كعمل يجعلها تتفاعل مع زوجها وأبنائها وجيرانها وأقاربها، وصديقاتها، ومعارفها، والبائعين سواء من يذهبون إليها فى المنزل، أو من تذهب هى إليهم، وتفاعلها مع الدولة والأسعار عن طريق وضعها لميزانية الأسرة، وتحديدها لمواصفات السلع المتوقفة على مدى إقبالها أو إحجامها عن شراء سلع

(١) ربما كان السبب فى تلك النزعة السيكولوجية التى لونت الكتاب هو أن المؤلفة أخذت أفكار هذا الكتاب وموضوعاته عن رسالتها للدكتوراه التى قدمتها سنة ١٩٧٤، وكانت بعنوان « الاتجاهات نحو العمل، واتجاهات الرضا لدى ربات البيوت » وهو عنوان ينبئ عن منظور سيكولوجي.
Ann Oakley. "Work Attitudes and Work Satisfaction of Housewives", unpublished PH.D thesis. University of London, 1974.

معينة، كـذلك فى اتخاذ القرارات اليوميـة المتعلقة بنماذج الاستـهلاك والموضات، والشئون العامة، وأهميـة النظر إلى مطالبها التكنولوجية وكل ذلك يدخل فى إطار علم الاجتماع الأسرى وعلم الاجتماع الاقتصادي.

كما أن كتابا عن سوسيولوجـيا العمل المنزلى لابد أن يشمل توضيحا للصلة بين العمل المنزلي، وبين اختيـار الشريكة فى الزواج، فكم من رجل فضل الزواج بامرأة معـينة لأسباب من بينها أنها تجـيد الطهي، أو أنها قدمت إليـه أكلة مفضلة بطريقة مـشوقة، أو لأنهـا ممتازة فى العمل المنزلى أو « شـغل البيت » كمـا تشيع الإشارة إليه فى لغتنا الدارجة [1] وكم من رجل أعرض عن الزواج بامرأة جاهرته بأنها لا تحب العمل المنزلى ولا تجيده. كما أن مفهوم العمل المنزلى نفسه لابد وأن يدرس فى أطره الاقتـصادية المختلفـة، فهو فى المجـتمع الزراعى الريفى غـيره فى المجتمع الصناعى الحضري، غيره فى مجتمع الرعى [2] وهكذا.

---

(١) انظر فى ذلك نتائج البحث الذى قامت به باحثة مصرية عن الاختيار للزواج والتغير الاجتماعي، وقارنت فيـه بين جيلين: جيل الشباب مـن ريف وحضـــر، وجـيل آبائهم « أما المهارة فى أداء أعمال المنزل (الشطارة فى شـغل البيت) فقد أتى ترتيبـها الثالث بين مجموع الصـفات المفضلة عند اختيار الزوجة، وذلك عند كل من الآباء الحضريين والريفيين على السواء، بل لقد كان هناك إجماع منهم على هذا الترتيب بلغ حد التطابق.

وقد كـانت المهـارة فى أعمـال المنزل، أمرا هامـا وجوهريا فى اخـتيـار زوجة المسـتقـبل فى المجموعات الثلاث المكونة لعينة الأبناء، وهى المجموعـة الحضرية، والمجموعة الريفى ــ حضرية ومجموعة القرناء الريفيين.

كما أن أحدا من أفراد عينة الأبناء، لم يقرر أبدا فى إجابته بأنه لا يرغب فى توافر هذه الصفة فى زوجة المستقبل ».

انظر: سامية حسن الساعاتي، **الاختيار للزواج والتغير الاجتماعي**، دار النجاح بيروت، ١٩٧٣، ص٣٠٢.

(١) انظر فى ذلك نتائج البحث السابق نفسه وفيه تقول الباحثة:

« رأينا أن أغلبيـة أفراد عينة الأبناء فى مجـموعاتهـا الثلاث يرغبون بلا اسـتثناء فى أن تكون زوجة المستـقبل ربة بيت ماهرة، لكن مفـهوم ربة البيت الماهرة هذا مفهـوم نسبي، لذلك رأينا أن نتعرف على أهم مـقاصده الشائعة فى عرف كل مـجموعة من المجموعـات الثلاث. وكانت أهم الإجابات الشائعة ما يلي:

(١) تهتم بشئون المنزل.

(٢)تجيد الطبخ.

=

وقد اهتمت المؤلفـة كثيرا بالجزاء الذاتى السـيكولوجى الذى تحصل عليه ربة البيت من خـلال قيامـها بعمـلها وتمسكها بالمعـايير التى حـددتها، والروتين الذى وضعته لنفسها. ولكنها نسيت أو تناست أبعادا اجتماعية غاية فى الأهمية، وتشمل الجزاءات الاجـتماعـية التى تحصل عليـها من خلال تعليـقات زوجهـا، وأبنائها، وجيـرانها، أو صديقـاتها، أو من مقـارنة عملها بالأعـمال المنزليـة التى تصورها وتبرزها وسـائل الإعلام المختلفـة من إذاعة وصحافـة وتليفزيون وسـينما. إن ربة البيت حين تعمل فإنها لا تعمل فى فـراغ وإنما تعمل وهى تضع فى ذهنها توقعات الآخرين منهـا، وتتدخل علاقاتهـا مع هؤلاء الآخرين ابتداء من زوجـها وأولادها وانتهـاء بمعارفهـا، فى مدى إقبـالها على العمل المنزلى وتقـبلها له، أو إعراضـها ونفورها منه، فالزوجة المحبـة لزوجها، والتى تتميز علاقاتهـا معه بالتفاهم والود، تفكر فى زوجها أثنـاء عملها المنزلي، وتضع نصب عينيـها أن تدخل السرور على قلبه حين يعود وأن تنجز عـملها على وجه يرضاه وترتضيه هى لإسـعاده، كما أن ثناءه عليهـا، ومكافأته لعـملها بالتقـدير يجعلهـا أكثر رضـا وإقبالا على عـملها المنزلي، ويصدق ذلك أيضـا على أبنائها وأصدقـائها وجيـرانها. أما من لا تتـمتع

= (٣) مدبرة.

(٤) توازن بين عملها ومسئولياتها المنزلية.

(٥) توائم بين واجبها كزوجة وأم.

(٦) تجيد العجن والخبز والحلب، وتربية الطيور.

وكان السبب الثانى أكـثر تواترا فى إجابات مجموعة القرنـاء الريفيين، أما السبب الرابع فكان أكثر شيوعا فى إجابات الطلبة الحضـريين، تليهم فئة الطلبة الريفى ـ حضريين، ولعل ذلك يتفق مع تحبيذ هاتين المجموعتين الظاهر لاشتغال المرأة خارج المنزل واعتبار ذلك قضية مسلم بها.

أما السبب السادس والأخير فاقتصر عـلى فئة القرناء الريفيين، ولعلنا نلاحظ أن مفهوم المهارة لديهم واسع، ويتطلب دراية بأمـور كثيرة ومـتشابكة. ولا غرابة فى ذلك؛ فـالمهارة (أو شطارة البنت) كما يقول الريفيون، من أولى الصفات التى ترفع قـيمة الخطيبة وتتحدث عنها النساء فى القرية إذ يقلن « إن بنت فلان، نار وشرار »، قلبها حامى « أى أنها سريعة فى العمل ».

انظر: سامية حسن الساعاتي، المصدر نفسه، ص ٣٣.

وانظر أيضا للباحثة نفسها تفصيلا للأعمال المنزلية فى الثقافة الريفية والثقافة الحضرية في:

سامية حسن الساعاتي، **الدور الوظيـفى للزوجين فى الأسـرة المصـرية**، المصدر السـابق، الفصل الثالث عشر.

جيدة مع زوجها، أو لا تتمتع بتقدير زوجها أو أبنائها لعملها فسوف لا تستشعر بدوافع الإبداع فى عملها ولا الرضا عنه، وينطبق القول ذاته بنسب مختلفة على ردود فعل أصدقائها وأقاربها.

وفى النهاية كان لابد وأن يتضمن كتاب عن سوسيولوجيا العمل المنزلى تحليلا وافيا لديناميات العمل المنزلي، ودراسة لمدى مشاركة آخرين غير الزوج والأبناء لربة البيت فى العمل المنزلى وانماط تلك المشاركة، فهناك المشاركة المتبادلة، وهى التى تحدث بين ربة البيت وجيرانها أو صديقاتها، كأن يتبادلن المشاركة فى أعمال منزلية معينة كطهى أكلات معروفة وشائعة فى أوقات معينة كالأعياد مثلا، أو كإعداد الخبز بطريقة معينة (١).

وهناك مشاركة طويلة المدى يقوم بها خدم دائمون، أو مشاركة موقوتة يقوم بها خدم لساعات معينة من اليوم، كما أن هؤلاء الخدم الذين يقومون بدور مساعد فى العمل المنزلى قد يمتد دورهم أحيانا ليشمل رعاية الأطفال أيضا، أو أداء العمل المنزلى برمته،وفى ذلك انعكاسات بعيدة المدى على العلاقات والتفاعلات الاجتماعية لربة البيت فى أسرتها وفى عملها الخارجى إن كانت تعمل.

(١) يشيع فى القرية المصرية، أن تتبادل ربات البيوت الريفيات، المساعدة فى الأعمال المنزلية لإعداد الخبز بطرق معينة تستلزم عمليات شتى من طحن وعجن وخبز، وأن يتبادلن المساعدة فى الأعمال المنزلية فى الأعياد والمواسم،وبخاصة فى العيد الصغير أثناء قيامهن بعمل الكعك،ويأخذ ذلك شكل تجمعات متفاعلة تتشابك فيها العلاقات الاجتماعية بينهن بشكل واضح.

الفصل الثامن

أحمد لطفى السيد وتحرير المرأة(*)

مقدمة وتعريف :

« أحمد لطفى السيد (١٨٧٢ ــ ١٩٦٣) مفكر وفيلسوف عربى، ورائد من رواد الحركة الوطنية، ولد ببرقين بالدقهلية. حصل على ليسانس الحقوق ١٨٩٤ ، التحق بخدمة القضاء، ورقى إلى وظيفة مساعد نيابة ١٨٩٦ ، فوكيل للنيابة، استقال من منصبه ١٩٠٥ ، واشتغل بالسياسة. شارك فى تأسيس حزب الأمة، وتولى رياسة تحرير الجريدة (١٩٠٦ ــ ١٩١٤) عاد إلى خدمة القضاء. عين مديرا لدار الكتب المصرية (١٩١٥ ــ ١٩١٨)، فمديرا للجامعة المصرية ١٩٢٥ . فوزيرا للمعارف ١٩٢٨ . عاد إلى إدارة الجامعة ١٩٣٠ ، ثم استقال ١٩٣٢ . وفى يوليو ١٩٣٨ عاد للمرة الثالثة مديرا للجامعة. عين عضوا بمجمع اللغة العربية ١٩٤٠ ، فرئيسا له (١٩٤٥ ــ ١٩٦٣). عين وزيرا للخارجية ١٩٤٦ ، فنائبا لرئيس الوزراء، وعضوا بمجلس الشيوخ. أسهم فى عدة مجامع وجمعيات علمية. ترجم لأرسطو، وجمعت خطبه ومقالاته وأحاديثه، دون مذكراته. نال جائزة الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية ١٩٥٨ » (١).

كان أحمد لطفى السيد رجلا يعيش فى المستقبل. ويرفض أن يعيش فى الحاضر أو الماضى، وفى أوائل هذا القرن أصدر جريدة «الجريدة» وكانت شيئا جديدا فى صحافة تلك الأيام وفوجئ القراء بدعوة غريبة هى أن « مصر للمصريين».

وكانت الوطنية يومئذ أن مصر ولاية عثمانية تابعة لسلطان تركيا ! ولكن لطفى السيد رفض هذا الرأى، وقال إنه يرفض حكم الإنجليز، لأن الزعيم

(*) بحث نشر فى الكتاب التذكارى عن **استاذ الجيل،احمد لطفى السيد**، المجلس الأعلى للثقافة، لجنة الفلسفة والاجتماع، ١٩٨٦ ، ص ص ٦٣-٨٩.

(١) الموسوعة العربية الميسرة، إشراف محمد شفيق غربال، دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ص١٩٥٩ ، ص ٦٢ .

مصطفى كامل كان يؤمن بأن علاقة مصر وتركيا إلى الأبد هى «علاقة التابع بالمتبوع».

وبقى لطفى السيد مصرا على رأيه رغم اللعنات التى انصبت عليه والاتهامات التى وجهت إليه، وكان أغربها أن لطفى السيد « إنجليزى » لأنه يطالب بأن تكون مصر للمصريين لا للأتراك.

ولا يعرف الكثيرون أن أحمد لطفى السيد كان من رواد تحرير المرأة، والداعين إلى تعليمها منذ صغرها، وإعدادها منذ نعومة أظفارها لأن تكون قبل كل شيء إنسانة حرة مستقلة، ذات مبادئ ثابتة وأخلاق حسنة.

وعندما أصدر قاسم أمين كتابه عن تحرير المرأة، قاطعه الناس وحرم الكبراء عليه دخول بيوتهم، وأفتى بعض العلماء أنه خرج عن الإسلام، وكان أحمد لطفى السيد من القلائل الذين وقفوا إلى جانب قاسم أمين. **وقال لطفى السيد يومها أنه لن تمر على مصر أكثر من خمسين عاما إلا وتكون المرأة المصرية وزيرة !** وسمع الخديوى عباس بهذا الرأى، فقال إن لطفى السيد قد جن وأنه يحسن وضعه فى السراى الصفراء، والسراى الصفراء هو الاسم الذى كان يطلق على مستشفى الأمراض العقلية بالعباسية !

وقبل أن تمضى خمسون عاما على هذا الحديث، كانت المرأة المصرية قد عينت بالفعل وزيرة للشئون الاجتماعية.

ودعا أحمد لطفى السيد إلى الديمقراطية ولعن حكم الفرد. ثم جاءت انتخابات الجمعية التشريعية ورشح نفسه فى بلدته حيث أسرته وعزوته. وتقدم للترشيح ضده رجل لا يقرأ ولا يكتب، وتوقع الناس أن يهزم الفيلسوف الكبير وأستاذ الجيل ومترجم أرسطو ذلك المنافس الجاهل !

وإذا بهذا المنافس الجاهل يثبت أنه أستاذ فى فن الانتخابات. فقد طاف على الناخبين يقول لهم إن لطفى السيد رجل يؤمن بالديمقراطية، ومعنى الديمقراطية أن تتساوى المرأة مع الرجل، فتتزوج المرأة أربعة رجال كما يتزوج الرجل أربعة نساء !

وصدق الناخبون السذج هذه الأكذوبة وأرسلوا وفدا لمقابلة أحمد لطفى السيد، وسألوه : هل صحيح أنك ديمقراطى ؟ وقال لطفى السيد : نعم ! ولى الشرف !

وخرج الوفد يضرب كفا على كف، وذهب وانتخب خصم لطفى السيد الذى لا يقرأ ولا يكتب. وهكذا سقط أكبر أديب وفيلسوف فى مصر فى الانتخابات.

وكان لطفى السيد يؤمن بالتطور والتقدم. وكان يرى أن العقبات التى توضع فى طريق انطلاق الشباب هى عقبات مؤقتة. **وكان يفخر أن أعظم أعماله هو إدخال البنت إلى الجامعة** (١).

المنتخبات:

يعد كتاب أحمد لطفى السيد «المنتخبات» الذى جمع مادته وأخرجه للناس إسماعيل مظهر مدير « المقتطف »، والذى يضم المقالات التى كتبها لطفى السيد فى جريدته « الجريدة »، خير ما يمكن أن نستعين به لفهم موقف هذا الرائد الكبير من المرأة، وتحليل موقفه منها بخاصة، ومن قضيتها بعامة.

يحتوى **كتاب « المنتخبات » فى جزئه الأول، الذى أمكننا العثور عليه بعد عناء، على تسع وثمانين مقالة، بينها عشر مقالات أفردها للحديث عن المرأة فى شتى أدوارها، كابنة، وأخت وزوجة، وأم، ومربية، ومعلمة، وعاملة داخل البيت وخارجه، كما تعالج تلك المقالات أيضا موضوعات اجتماعية على جانب كبير من الأهمية مثل التنشئة الاجتماعية للمرأة منذ نعومة أظفارها، والفرق بين تنشئة الولد وتنشئة البنت، والأخطاء التى يقع فيها الآباء والمربون، وأهمية التعليم فى حياة البنت المستقبلة، وإعدادها لتكون زوجة واعية متفهمة، وأن تربية المرأة أساس صلاح العائلة، وفى صلاح العائلة صلاح الأمة بأسرها.**

وهو يمهد لمقالاته عن المرأة، بمقالتين رائعتين له عن قاسم أمين رائد تحرير المرأة، ومؤلف أول كتاب بهذا الوصف، ويطلق عليه لطفى السيد وصف « القدوة الحسنة » إعجابا به وعرفانا بفضله.

---

(١) انظر مصطفى أمين، رجل عاش فى المستقبل، الشرقية، العدد ١١٤، يناير ١٩٨٤، ص ٣٠:٣٣.

وتأخذ مقالات المرأة والتقديم لها مساحة لا بأس بها من المقالات التى حواها كتاب المنتخبات فى جزئه الأول، بين دفتيه فهى تشغل حوالى $\frac{١}{٧}$ حجم المقالات بأسرها.

ويتوج لطفى السيد مقالاته عن المرأة، **بمقالة جامعة مانعة عن الحركة النسائية فى مصر، فيذكر هدفها، وأهم العقبات التى واجهتها، وظروف نجاحها حتى أصبحت حقيقة واقعة لا جدال فيها.**

وقد اتخذ أحمد لطفى السيد لمقالاته العشر التى تتناول المرأة فى شتى أدوارها، وديناميات تنشئتها وتربيتها، العناوين الآتية :

« بناتنا وأبناؤنا »، و «حفت الجنة بالمكاره »، و « لا تضيقوا عليهن »، و«المرأة أيضا »، و « بناتنا »، و « بناتنا وأمهاتنا »، و « صلاح العائلة وصلاح الأمة »، و « سعادة النساء »، و « تربية البنات »، و «المرأة فى البلاد العربية »، و« الحركة النسائية فى مصر ». وسوف نستعرضها بحسب ترتيبها الزمنى فى الصدور.

١ـ قاسم بك أمين : القدوة الحسنة[1] :

كتب أحمد لطفى السيد عن قاسم أمين فى صدر هذه المقالة « من الطبقة الممتازة فى كل أمة، يخص الله أفرادا قلائل بصفات استثنائية، يكون ظهورها فيهم واضحا جدا، حتى تكون قريبة من الكمال الوجودى. أولئك هم القدوة الحسنة لقومهم، فيجب أن تفصل صفاتهم وتدرس ملكاتهم وتمجد قدرة الله فى إطرائهم، حتى تصح القدوة بهم، والسير على سننهم. ومن أفضل هؤلاء الأفراد الممتازين، فقيد الوطن والعلم : قاسم بك أمين ».

وذكر أحمد لطفى السيد فى معرض حديثه عن قاسم أمين كاجتماعى ورؤيته له من هذه الزاوية : « كان قاسم بك اجتماعيا لا كبقية الاجتماعيين الذين يجعلون أدمغتهم محافظ لآراء الغير، فإذا حضرتهم المناقشة، أو دعتهم الكتابة إلى

(١) أحمد لطفى السيد، المنتخبات، جمع وإعداد إسماعيل مظهر، الجزء الأول، ص ١ وأيضا الجريدة العدد ٣٤٣ ــ ٢٥ من أبريل سنة ١٩٠٨.

موضوع اجتماعى، أخذوا يسردون عليك محفوظاتهم من المؤلفين السابقين من غير أن يكون لعقلـهم فى الموضوع نصيب من الرأى. لا لـم يكن كذلك أبدا **بل كان مفكرا بالأصالة، ناقدا لا يستغنى عن أفكار الغير، ولكنه لا يعتنقها إلا إذا اعتقدها، وصارت له، بما قام فى نفسه عليها من الأدلة اليقينية.**

أما عن قاسم أمين محرر المرأة الأول فى مصر، فقد كتب أحمد لطفى السيد فى المقالة ذاتها محللا لاتجاهه « **بحث قاسم بك فى المسألة الاجتـماعية لمصر على الخصوص، فـوجد أن حلها متوقف على نظام العـائلة المصرية، ووجد أن المرأة هى الأساس الأول لبناء العائلة.** فأخذ يفكر كيف يرقى المرأة المصرية، وأطال فى ذلك التفكير. وأخذ يجمع قوته وعدته لـيفك هذا الإنسان الضعيف من سلاسل الأسر التى قيدته بها العادة. وليهدم هذا السجن العـميق الذى حبس الاستبداد فى غيابته عقول نصف المصريين، وحجب ذلك الضوء الساطع، ضوء روح السيدة المصرية، عن أن ينتشر بين سمائها الصافية، وأرضها المخصبة، انتشارا يضيء للرجال طريق السعادة المنزلية، ويوصلهم من غير عناء إلى ذروة المجد والاستقلال. أجل. ليفك أسر المـرأة التى أوقعـوها فيـه باسم الدين، وما هو من الدين فى شيء، فـالدين أسمح مما يظنون.

فكتب كتاب تحرير المرأة، ثم قفَّاه بكتاب المرأة الجديدة كتبهما فهدَّ بهما ركن سجنها وأضاء لهـا ظلمات الحياة المنزلية والزوجية، وجـعلها تحس بأنها أم الرجل لها احـترامه، وأختـه لها عطفه وحنانه، وزوجتـه لها منه محبـته لذاتها واعـتباره لمركزها، كما هدى لذلك الدين القيم. ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

كتب فـأجاد ولم يخش منتـقدا، ولا لائمـا. ولم ينزله خوف الانتـقاد عن فكره من أفكاره، ولا لفظ من ألفاظه؛ ذلك لأنه يـعتقد اعتـقادا كاملا بصـحة ما كتب، ويغريه الاتقاد فى حب البلاد، بألا يعبأ بالانتقاص الذى وجه لشخصه. بل صيره متينا فى رأيه، مكينا فى اعتـقاده، مجاهرا به فى كل يوم، حتى يوم وفاته، بل ساعـة وفاته، إذ يدعـو الله بقلب مليء بالإخلاص، ونفـس مستـضيـئة بنور الحقيقـة، وقلب يذوب أسفا على حال الشابات المصريات، بأن يـكن كغيرهن من شابات الأمم الأخرى، يقدرون العلم ويسعين لاكتسابه.

أخذ قاسم على عهدته حمل هذا العبء الثقيل، عبء السعى بالمرأة المصرية إلى نظام العائلة وبنظام العائلة إلى الرقى الاجتماعى المنشود. وبهذا الأخير إلى استقلال البلاد. فما علمت امرءاً يخاطر بنفسه ويقف حياته لإحياء أمته، بهذه الشجاعة الفائقة كما فعل قاسم. بذلك تكون شاباتنا مدينات لقاسم بك هنّ أولاً وبالذات، لأنهن يجب أن يعلمن أن ما هن فيه الآن من المساواة بينهن وبين إخوتهن فى المعاملة المنزلية، الفضل فيه راجع إلى قاسم أمين. وإن قاسما لا يطلب إليهن أن يبكينه كما فعلن، ولكنه يطلب إليهن أن يعملن بهديه، ليقمن بالواجب عليهن نحو أمتهن » [1].

وفى الجزء الثانى من هذه المقالة المعنونة بالعنوان نفسه، لكنها تتخذ الرقم ـ ٢ ـ يواصل أحمد لطفى السيد تحليله لفكرة تحرير المرأة عند قاسم أمين فيقول « ... قلنا إن أول شيء وجه قاسم عنايته إليه، هو ترقية المرأة المصرية، إتيانا للاستقلال من بابه، ودخولا إلى التقدم من نهجه الواضح الخالى من عقبات الصدفة، ومهاوى سوء البخت، على الرغم من طائفة المتأخرين الذين يكرهون الانتقال من حال إلى حال، ويسكنون إلى عاداتهم الاستبدادية الأصلية فى نفوسهم، لا حرصا على الذين (الذى لا يفهمونه) كما يقولون، ولا مدفوعين بدافع الوطنية كما يدعون، ولكن لأنهم يجدون من جهلهم عجزا عن مجاراة التقدم، واعتقادا بأن الترقى سيرفع عليهم الشبان المتعلمين، ومن أغرب ما يقول أمثال هؤلاء ما روى لنا أمس عن كبير من الظالمى أنفسهم قال : إن فكرة تحرير المرأة التى قام بنشرها قاسم بك أمين، إنما هى فكرة إنجليزية، أريد بها تسهيل السبل لإنكلترا لتضع يدها على مصر. كبرت كلمة تخرج من فم هذا الذى عد من الذوات، ما أراد بها وجه الله، ولكنه أراد بها إبعاد يوم يجب أن يكون فيه هذا القائل المتأخر مسودا لا سيدا كما هو الآن. ولكن أفكار قاسم أرفع مقاما وأمتن ركنا من أن تصل إليها مثل هذه الكلمات التى تعودنا أن نسمعها عن كل مصلح مخلص. عنى قاسم بترقية المرأة، وعانى فى هذا السبيل ما علم الناس.

(١) المنتخبات، المصدر نفسه، ص ٦.

ثم رأى قاسم بك أن الناس قد فطنوا إلى قوله، وأخذوا بتعاليمه، وجدوا فى فتح المدارس للبنات، وأن نظارة المعارف سمعت نداءه. ترك موضوعه مؤقتا ليعود إليه بعد، وأخذ يبنى للعلم العالى صرحا لا يبيد فأخذ بيد الجامعة المصرية، والناس يعلمون ما لاقى فى سبيلها من الصعوبات. . . » (١)

٢ ـ بناتنا وأبناؤنا :

فى هذه المقالة يبرز أحمد لطفى السيد **أهمية تعليم البنات فى حياتهن المستقبلة كزوجات واعيات** متفهمات لأزواجهن المتعلمين وأثر ذلك على السعادة العائلية التى هى أساس السعادات الأخرى، وعلى التنشئة السليمة للأبناء، فيقول: «. . . لأن التعليم يوجد بين المتعلمين شبها عظيما، خصوصا إذا كانت طريقة التعليم واحدة. فتعالوا بنا إلى المدارس؛ لا نجد فيها البنات على نسبة البنين. ويكون من الطبيعى أن كل متعلم لا يستطيع إذا كبر، أن يتزوج بمتعلمة. وعلى ذلك لا يمكننا أن نحصل السعادة العائلية التى هى قاعدة جميع السعادات الأخرى. فإما أن نرضى بتردد الشبان فى الزواج وكرههم له، وهذا خطر على الأمة المصرية، خطر من حيث النحو العددى، ومن حيث كمية الرقى الأدبى الذى ينقله الوالد المتعلم لولده بحكم الوراثة.

إنه لا سبيل لملاقاة هذا الخطر إلا بإكثار عدد المتعلمات من البنات. وتقريب معلوماتهن العامة من معلومات البنين بقدر المستطاع. فإن التى لا تعرف إلا القراءة والكتابة لا تعلم شيئا، بل لابد لتكوين ملكة الفهم أو إنمائها، وتقوية الاستعداد لقبول الآداب العالية ومبادىء الأخلاق، من العلوم المختلفة. كالعلوم التى تدرس فى المدارس الثانوية.

ويبرز أحمد لطفى السيد بعد ذلك رأيا هاما له جدير بأن نتوقف عنده وهو أهمية ألا تنسى الفتاة التى تتعلم تعليما أجنبيا وبخاصة فى مدارس الراهبات، عادات أهل بلدها وقيمهم وخصوصا تلك العادات المتعلقة باجتماعيات العائلة المصرية، وذلك حتى تستطيع المواءمة فى نظره بين الأصالة والمعاصرة. وفى هذا

(١) المنتخبات، المصدر نفسه، ص ٩، ١٠.
وأيضا الجريدة، العدد ٣٤٤، ٢٦ أبريل سنة ١٩٠٨.

يقول: « إن مدارس الراهبـات يعلمن من ذلك شيئا قليـلا، ولكنى إذا نصحت بأن يكون المعلم راهبا أو راهبة لا غرض له فى الحـياة إلا التعليم، فإنى لا استطيع أن أنصح للفـتيات المـصريات بأن يمضين سنى تعلمـهن كلها عند الراهـبات، ذلك ؛ لأنهن بعد ذلك يتممن الدراسة، ثم لا يكون بينهن وبين أمهاتهن وخالاتهن وبقية أخواتهن المصريات من الشـبه الشيء الكثير. **ولابد للفتـاة المصرية المتـعلمة من أن تكون فى تربيتها ذات طرفين : طرف مـتمدن مصفى بمصفاة التـمدن الحديث تتفق به مع زوجها الشاب المتعلم ، وطرف آخر يدخل فى تركيـبه مقدار كثير من عادات السيدات المصريات تتفق به مع أمهـا وحماتها وعائلة زوجها.** فخير للفتاة المصرية أن تتعلم، أو تتم تعليمها فى المدرسة « السنية » عند الإمكان.

نقول تتم تعليمها ولا نعرف إذا كان آباء الفتيات يرضون بتركهن فى المدرسة إذا تجاوزن الرابـعة عشـر من عمـرهن، حتى يدخلن القـسم الثانوى مـن المدرسة «السنية » فـتتربى عقـولهن تربية تضمن لهن إرضاء مطامع أزواجـهن، أو يغارون عليهن غيـرة ليس لها سبب جدى، فيـقطعون عليهن طريق سعـادتهن، ويكتفون منهن بالمعلومـات الابتدائية التى ليس لهـا فى ملكات الفتاة إلا أثرا مـحدودا، إذا نفعهـا اليوم فى أن تتزوج من شاب مهـذب، فإنه لن ينفعها غـدا حين يوجد لها مثيـلات تعلمن العلوم الثانوية، فصـرن بذلك أحق منها بسعادة العـشرة مع رجل كفء ذى عقل كبير وفضائل ومركز سام بين الناس.

خلوا بين البنات وبين سـعادتهن، ولا تضـيقـوا عليهن مـتسع الحـياة، ولا تكسروا بأيديكم مستقبلهن، ولا تعبثوا بسـعادتهن اتباعا لهوى الغيرة وخوفا مما لا خوف منه عليهن. فإن المرأة الفاضلة أنفع للأمة من الرجل الفاضل أضعافا، بمقدار عدد ما ترزق من الأولاد » [1].

٣ ـ حفت الجنة بالمكاره :

فى هذا المقال الذى كتبه أحمد لطفى السـيد بعد المقال السابق بحوالى ثلاثة أشهر يواصل حملته فى الحث على تعليم البنات وأهميته البالغة فيقول : « كذلك فى تربيتنا الاجتماعية. فإنا كنا ننفر جدا من فكرة تعليم البنات، وكان بعضنا يرى

---

(١) المنتخبات، المصدر نفسه، ص ١٨، ١٩.

من العار والمسبة، أن يعلم عن ابنته أنها تكتب، لما كـان بين كتابة السيدة وقراءتها روايات الغرام، وبين التـهتك، من التـلازم الخيالى فى نفـوس العوام. وإنى واثق الآن **أن كثيرا من الآباء الذين كانت تجرحـهم فكرة تعليم بناتهم، أصبحوا يغبطون الآباء الذين لم يقفـوا فى تعليم بناتهم عند حد القـراءة والكتابة، بل أرسلوهم إلى أوروبا ليدرسن العلوم المختلفة** .... »[1].

٤ ـ لا تضيقوا عليهن :

هذه المقالة ــ فى نظرى ــ من أقوى وأحـسن ما كتب الأستاذ الكبـير أحمد لطفى السيد عن المرأة المصرية، ففيها يتعرض لنقاط محورية وجوهرية بشأنها، فهو يتحدث عن تنشـئتها الاجتمـاعية، وإعدادها لأدوارها المختلفة وكـيف أنها أساس العائلة، التى يكون فى صلاحها صلاح المجتمع بأسـره. وعن حريتها الشخصية، وأهمية إعطائها هذه الحرية. . إنها بحق مقالة تقدمية سابقة لعصرها تدل على سعة فى الأفق وعمق فى النظرة إلى المرأة بموضوعية حقة، كمـا يتبدى فيها تأثره الكبير بقاسم أمين.

يقول أحمد لطفى السيد مستهلا مقاله هذا « **بالعائلة يجب علينا أن نبتدئ فى إصلاح نظامنا الاجـتماعى. وبتربية المـرأة نبدأ فى إصلاح العائلة. فـتربية المرأة، هى كل ما يجب أن نصرف إليه جميع قوانا الموجهة لإصلاح جمعيتنا المصرية**، كما قال بذلك الرجل الكبير قاسم أمين.

غيـر أن هذا المذهب لايزال قولا تلوكـه الألسنة، ولا يصل منه إلى القلوب شيء، لأن الناس إنما يقلدون فـيـه غيـرهم، فيـقولونـه فى المجلس بمدة قليلة أو كثيرة، إظهاراً لبيان **اهتمامهم بإصلاح شؤونهم، ودليلا على أنهم غير متأخرين فى الفكر عن الطبقة الراقية. لا أنهم حقيـقة مقتنعون تمام الاقتناع بهذه النظرية، دائنون بهذا المذهب**...

ترى كثيرا من الـذين يقولون بتربية المرأة يقولون أيضا بمنعـها من التوغل فى تعلم العلوم التى يتعلمها الشبان. أليس هذا يعد ضمنا دعوة إلى عدم تربية المرأة، التى يقرونها فى أصلها ؟

(١) المنتخبات، المصدر نفسه، ص ٢٤، ٢٥.
وأيضا الجريدة، العدد ٤٠٧، ٩ يوليو سنة ١٩٠٨.

ترى كثيرا من الذين يقولون بتحرير المرأة يسوؤهم مع ذلك أن يروها تخرج إلى النزهة، أو تعدل من زيها القديم، فتضيف إليه أو تنقص منه، بما جاءت به الموضة الجديدة النافذة القانون على الرجال والنساء جميعا، بحكم حب الجميل، وعدم الصبر على لبس واحد. يكرهون منها أن تتزين كما تشاء. والرجال جميعا من شيوخ وشبان أول ما يفكرون فيه صباح اليوم، هو تنظيف الوجه وحلق اللحية وفرق الشعر أو تسريحه. إذا جرحت أنظارهم مشاهد المرأة على غير ما يحبون، **ضاقت صدورهم عن احتمال تقدم المرأة فى الحرية الشخصية، ورجعوا إلى الكتاب الأقدمين، فجاءوا من أقوالهم بما يهدم حرية المرأة، تاركين فى العقل ما يثبت لها احترام حريتها الشخصية، كما تحترم حرية الرجل، آخذين من الشرع ما يثبت تفضيل الرجل عليها فى بعض المواطن، تاركين احترامه لحريتها فى جميع تصرفاتها، ووصية الرجال أن لا يضاروهن ولا يضيقوا عليهن.** ثم يضيفون إلى ذلك إلقاء مسئولية خروج النساء عن حدود ما يشتهون من جمودهن، تحت اسم الوقار والحشمة، مرة على الحكومة، وأخرى علــى النظام الاجتماعى، وتفريط الكتاب فى نقد ما سموه بالتبذل وتهاون الآباء والأزواج، فى دفع أزواجهم وبناتهم عما حسبوه التبرج المعيب. يريدون بذلك إقامة **الحسبة** للرجال على النساء، فلا تلبس الواحدة إلا ما يريد غيرها ؛ ولا تفهم إلا ما يريد غيرها ؛ ولا تنظر للأمور إلا بعين غيرها ؛ ولا تسمع إلا بأذنه ؛ ولا تأكل إلا ما يشتهى. أليس ذلك هو الاستعباد بعينه، المناقض لتحرير المرأة الذى يريدونه ؟

. . . وهل يتفق حبنا للاستقلال الذاتى، وإنماء ملكة الإبداع والاحترام، مع كراهتنا للاستقلال الذاتى للمرأة ؟ أم هل يتفق إبقاء المرأة على تجردها عن الاستقلال الذاتى، ومطالبتنا إياها بأن تربى لنا رجالا **أحرارا وناشئة مستقلة. إن العبد لا يربى حرا، وإنما يربى عبدا مثله، وعلى صورته ؛ وإن الأم لا تعطى ولدها من الأخلاق إلا ما لديها.** فإذا كان عليها أن تتبع نفسها نفس الرجل فى كل شيء. فلا شك أنها تكون بذلك رقيقة ليس لها أخلاق ثابتة، بل أخلاقها دائرة وراء رضا الرجل وعدم رضاه.

أفتطلبون أن يكون بنوكم متلونى الأخلاق، يلبسون لكل حالة خلقا ؛ لا همَّ لهم فى الحياة إلا إرضاء أصحاب السلطة عليهم ؟

إن أقوم المذاهب لتربية البنت، هو إعدادها من يوم نعومة أظفارها لأن تكون قبل كل شيء إنسانة حرة مستقلة، ذات مبادىء ثابتة وأخلاق حسنة ؛ ثم فتاة متجملة، ثم زوجا حصنا، مطيعة تعرف الجمال، وتفهم الزينة ؛ وترضى زوجها الحر، لا زوجها المستبد. ثم أما مثالا فى التقوى والطيبة والقناعة، محبة لأولادها، مربية إياهم على مبادئها، معلمة إياهم كيف يحبون بلادهم ويخدمونها، ويضحون بأموالهم وأوقاتهم وحياتهم فى إسعادها. ذلك هو المقصود من تربية المرأة. ولا شك فى أن القراءة والكتابة وحفظ ما تيسر من القرآن، على ذلك المعلم الذى كل فضله أنه مصحف حى ؛ كل أولئك لا يمكن بحال أن يخرج من الطفلة الخالية الذهن، فتاة كاملة شأنها كما وصفنا. بل لابد لتخريج تلك الفتاة المحبوبة، والزوجة الأمينة، والأم القدوة، من علوم شتى وتعاليم كثيرة وأوقات طويلة ودروس جدية على يد أساتذة مقتنعين بأهمية ما يحاولون، فاهمين ماذا يعملون.

أول درس يجب أن يلقى على الطفلة المصرية مع الألف باء، هو كونها مخلوقا حرا، وهبه الله حريته، وما وهب الله لا يسترده إلا الله. ثم يندرج تعليمها من ذلك كله إلى كل ما يحيط بها من الأعمال. فالأغراض الإنسانية والمعاملات العائلية والاجتماعية. ويلفت نظرها دائما إلى مضار العبودية والتسليم فى الذات ومنافع الحرية والاستقلال، بما يقع من الأمثلة اليومية حوالى الوسط الذى يحيط بها.

.. دعوا النساء يشممن هواء الحرية التى فقدنها بتقاليد الاستبداد الأولى، وعلموهن، إن بالدرس، وإن بالعمل، أن لا سبيل للرجال عليهن، إلا ما فرضه الشرع وما كان عليه نساء العرب فى صدر الإسلام، فلا تضاروهن، ولا تضيقوا عليهن » (1).

٥ ـ المرأة أيضا :

يعرض أحمد لطفى السيد فى هذه المقالة وجهة نظر « لتولوستوى » تقول بأن المرأة هى فى حقيقة الأمر مالكة الرجل، وسيدته الحقيقية، وحتى إن بدا غير

---

(١) المنتخبات، المصدر نفسه، ص ٣٣ : ٣٦.
وأيضا الجريدة، العدد ٤١٠، ١٣ يوليو ١٩٠٨.

ذلك، ويؤيد أحمد لطفى السيد تولوستوى فى وجهة النظر هذه، ويرى أن ذلك اعتبارا جديدا يجعلنا نهتم بترقية المرأة إلى درجة أعلى من مرتبتها الحالية.

يقول أحمد لطفى السيد فى هذه المقالة : « إذا غصب الرجل حق المرأة فى المساواة وحقها فى الانتخاب والتوظف، فلقد غصبته حريته، وأقامت نفسها عليه ملكا لا يرحم عند المقدرة ولا يجامل عند الحاجة، ولا يعذر عند الزلة. » كأن المرأة قد اتخذت من حب الرجل لجمالها سلاحا تنتقم به منه على ما فرط فى تقدير المساواة بينها وبينه، وتقتص منه على فكرته السيئة فى اعتبارها موضعا للاستمتاع فقط. فهو يتحكم عليها فى المملكة وهى تتحكم عليه فى البيت، هو يظلمها فى وضع القوانين، ولكنها تظلمه بشيء أشق من ذلك بكثير وهو مصادرتها له فى إحساسه ووجوده الخاص. قلتم لليهود انزلوا عن حق الحكم ولا تكونوا إلا تجارا. قالوا نعم ولكنا بالتجارة نملككم ونعرف الأمور بينكم، **فكأنكم رضيتم من السيادة بالاسم دون الفعل، ورضينا منها نحن بالسيادة الفعلية دون الإسمية. كذلك قلتم للنساء لستن إلا غرضا من أغراض حبا للزينة والتمتع. قلن لكم رضينا بهذا القسم، بل بهذا الصغار، ولكننا سنكون سيداتكم بما ملكناه من قلوبكم وسنذيقكم عذاب الهجر أحيانا ومرارة التجنى أحيانا. ثم نسخركم كالأنعام فى هذه الزينة التى اخترتموها لنا شعارا، لتعلموا أينا السيد وأينا المسود.** صدق اليهود وصدقت السيدات أيضا. فإنك إذا مررت بمخازن البضائع وجدتها محشوة بأصناف غالية الأثمان كلها لزينة المرأة، وليس للرجل أمام ذلك نصيب كبير. اطلع على دفتر حساب العائلة لترى فيه كيف أن المرأة تصرف فى زينتها أضعاف ما يصرف الرجال فى طعامهم وشرابهم وكسوتهم. اطّلع على حال زوج مطمئن، ترى المرأة تتدلل وتتجنى وتعذب وتغضب وترضى، وتشترط لرضاها عن زوجها أن يشترى لها كذا وكذا. ومن هو موضوع ذلك التعذيب ؟ هو الرجل الذى يظن حمقا أنه سيدها كما تقول له هى أحيانا : يا « سيدى ». وما السيد إلا القاهر، وما القاهر إلا هى. ألا تعطون المرأة حقها فى الانتخاب، وفى كل ما يساويها بالرجل فى هذه الأحوال الاعتبارية، حتى ترضى هى بأن يساويها الرجل فى الحياة الداخلية، ولكى يخف عنه ظلمها ويقل منه انتقامها ؟

تلك هى نظرة من نظرات « تولوستوى » الصادقات، نشرناها هنا لقرائنا من الرجال والنساء ونلفت إليها فكرتهم على السواء، لعل فى ذلك عزاء لسيداتنا اللواتى هضم الاستبداد حقوقهن. وتقليلا من خيلاء الرجال الذين يظنون خطأ أنهم أسياد النساء خارج البيت وفى داخله : الذين يظنون أن بأيديهم قيادهن فلا يسرحن ولا يرحن إلا بإرادتهم. كلام لا مصداق له من العمل اليومى.

.... **المرأة لا تجرى فى زينتها من غير عنان إلا إذا كانت لا تعرف فى الحياة فضيلة القصد. أى إذا كانت تؤثر الماديات على المعنويات. وذلك أقرب إلى المرأة الجاهلة منه إلى المرأة الفاضلة، التى قد تتخذ من فضلها خير زينة لها، وتغتبط بنتائج عملها فى ذلك الوجود.**

فإذا كان الأمر على رأى « تولوستوى »، وما أظن رأيه إلا صحيحا جدا من أغلب وجوهه، أى أن المرأة هى فى الحقيقة مالكة الرجل وسيدته الحقيقية، وجب علينا أن نجتهد فى أن تكون ملكاتنا أقل ظلما لنا وأكثر عطفا علينا. **وذلك لا يتم لنا إلا إذا كانت ملكات قلوبنا متعلمات طاهرات القلوب فاضلات بكل معنى الكلمة.**

أليس ذلك اعتبارا جديدا يضاف إلى غيره من الاعتبارات الأخرى؛ فيجعلنا نهتم أفرادا وجماعات بترقية المرأة إلى درجة أعلى من مرتبتها الحالية » [1].

٦ - بناتنا :

فى هذه المقالة يمضى أحمد لطفى السيد فى تأكيد ما سبق أن ذكره فى المقالات السابقة من أهمية تعليم البنات لأنه حجر الزاوية للسعادة العائلية التى تؤدى إلى رخاء الأمة وتقدمها. كما أنه يدعو إلى تغيير أسلوب تنشئة البنت لأنها تعد لزمن جديد يختلف عن زمن الآباء.

يقول لطفى السيد فى مقاله : « يجزع الوالدان وقد رأيا ابنتهما قد رمدت عينها رمدا يهددها بفقد العين، يخشيان أن ينتشر فى وجهها النمش فيشوه

(١) المنتخبات، المصدر نفسه، ص ٨٠ : ٨٢.
وأيضا الجريدة، العدد ٥٢٤، ٢٦ نوفمبر ١٩٠٨.

جمالها، يجزعان لكل عرض يلحق بجسـمها ويكون من شأنه تشوه أعضائها، أو تقليل مقدار جمالها، فتبور فى سوق الزواج. يجزع الأبوان وحقهما أن يجزعا من فقد ابنتهما لما يُرغب فى خطبتها الرجل الكفء لها. ليس فى ذلك عجب، **ولكن العجب هو أن الوالدين يشفقان على ابنتهما من العيوب البدنية، ولا يشفقان عليها من العيوب المعنوية، عيوب النفس والعقل، يتركانها من غير تربية** تصفى نفسها من كدورة الوسط ومـا ورثته من سوء الطبـاع. يتركانها من غـير تعليم يجدد عـقلها وينيره ويجـعلها إنسانا خلـيقا بصحـبة زوج كفء طول الحيـاة. يفكر الوالدان فى المبالغة فى تجهيز ابنتهما فيبتـدئان من سن طفولتها يثقبان لها أذنيها اللتين قد نسيت الطبيعة أن تعطيهما خلقهما الكامل، وأن تجعلهما موطن زينة تعلق فيها الحلقات. ثم يأخذ الوالدان بعد ذلك فى أن يشتريا لها كل عام شيئا من الحلى ثم من الأثاث الجميل مما ينضـد فى البيت للاستعمال أو لمحـض الزينة. يشتغل الأبوان على هذه الطريقة المضـحكة لتجهيز ابـنتهما للزواج كأن الـزواج قرط فى الأذن، وخزام فى الأنف، وأساور من الـذهب المرصع فى الساعـدين، وخواتم تأخذ بـالأبصار فى الأصابع، وقـلائد فى اللبة وجـلابيب وفسـاتين ومكاتب وطاولات و. . . . إلخ. وليس الزواج بشيء من ذلك. بل الزواج امتـزاج روحين امتزاجا لا مـفرق له إلا الموت فكم من شابة يضع لها أبوها من أنفس العروض، وزفها به إلى زوجها، فما أغنت تلك العروض ولا التحـف فى أمر الوفاق شيئا، بـل كان مآل هذه المسكينة التى لا ذنب لها إلا عدم عناية والديها، أنها لم تعـرف أن تكسب جاذبية زوجها، فاخـتلف الزوجان، وهنالك يفـسد ذوقـهما لطعـم العيشـة الراضيـة، وهل تقدر العروض والفرش أن تفيض على الزوج محبة زوجته !

. . . تلك هى سخرية صرفة، فـإن الحس يقدم لنا أمثلة يومية تدلنا على أن الرجل لا تصفو مودته. ولا تطول صحبته، إلا بذلك الصاحب الذى يتفق معه فى النظر إلى أمهات المستقـبل. **فلا تجد صاحبين أحدهما متعلم والآخر جاهل، تدوم صحبتهمـا إلا ريثما ينقضى المطلوب منها كشركة مالية أو منفعـة مشتركة أو جوار فى البيـوت. أما الصحبة المؤسـسة على التمتع بالـصحبة لذاتها فـقل أن تجدها بين مختلفين فى التربية والتعليم.**

وإذا كان هذا شأن الصاحبين فمـاذا يكون شأن الزوجين، لا سعادة لهما إلا أن تختلط روحاهما تمام الاختلاط، ويتفق ذوقـاهما تمام الاتفاق، ليحصل كلاهما على السعادة المنشودة فى الزواج.

... **تعمل الوالدة لابنتها ما تتذكر أن أمـها قد اهتمت بعمله لها، وتنسى أنها كانت تعـد لزمن انقضت أيـامه. وأما ابنتـها فـإنها تعـد لزمن جديد لا يؤسس فـيه الزواج إلا على المحبـة الصحيحـة والمودة الطويلة والألفة التى من أهم أسبـابها أن تفهم زوجها المتعلم ويفهمها، وذلك لا يكون إلا بتقاربهما فى التربية والتعليم.**

السعـادة العائلية هى حـجر الزاوية لسعـادة الأمة، فالوالد الذى يعـمل لهذه السعادة بتربية ابنته، إنما يخدم أمـته أجل خدمة يمكن للفرد أن يسديها، فاصرفوا ما تصـرفوه فى الحلـى والعروض، فى تعليـم البنات، فإنه الحلـى الدائم فى جمـال الشبوبية وسنى المشـيب. وإن الآباء إذا فعلوا ذلك، فإنا لا نشك فى أن بنات البلد جمـيعا يصبـحن متعلمـات. لأن ما يصرف على إحـداهن فى الزينة المادية يكفى لتعليمها وزيادة. **أعطوهن حظهن من التـعليم، وخلوهن يحـصلن على سعـادتهن التى هى سعادة الأمة»** [1].

٧ـ بناتنا وأمهاتنا :ـ

يقصد أحمد لطفى السيد من هذه المقالة مقـاصد مختلفة لكنها تلتف جميعا حول معنى سام عميق وهو **أن تحرير الأمهات قبل تحرير الأوطان**، كما أنها تهدف إلى تحقـيق المساواة بين الرجل والمرأة، وجعل المرأة تشـعر بحريتـها، مثلما يشـعر الرجل، وبأن عليها حـقوقا للجمعيـة الإنسانية يجب أن تقوم بها. وأهمـها تربية الأولاد على الحرية.

ويقارن أحـمد لطفى السـيد فى هذه المقالة بين الزوجين الـريفيين والزوجين الحضـريين فى عهـده ويرى أن العلاقـة بين الزوجين الريفيين مـبنية علـى المساواة

---

(١) المنتخبات، المصدر نفسه، ص ١١٤ : ١١٦.
وأيضا الجريدة، العدد ٦١٠، ١٤ مارس ١٩٠٩.

والتسامح والحرية، وأنها بذلك نموذج يجب أن يحتذيه أهل المدن الذين تغلب على حياتهم الزوجية سوء الظن والاستعباد من جانب الرجل للمرأة.

يقول أحمد لطفى السيد فى مقالته:« هذا الرجل يغتدى بكرة النهار قبل الشمس هادىء البال ساكن الأعصاب، يذهب إلى المسجد يمشى دون المسرع وفوق البطيء، مشية منتظمة جدا، تدل على راحة الضمير وصفاء النفس وحسن الرجاء فى وجه الله. فإذا عاد إلى بيته كلم زوجته فى أمر عمله وإلى أى غيط هو ذاهب، وما الذى سيحمله إلى الغيط من أدوات الحرث، وماذا تحمل زوجته منها أو ماذا تقود من الماشية إلى الغيط. **يخاطبها مخاطبة الرجل للمرأة، مخاطبة المساوى للمساوى، مخاطبة الشريك للشريك. وهى كذلك تحبه وتحترمه،** ولا تعتبر أنه ملك مستبد عليها له كل شيء وليس لها شيء بل على العكس من ذلك تحس بأن علاقتها به ــ بصرف النظر عن الحب ــ **علاقة شريكين عدلين، أحدهما قوى والآخر ضعيف، يتحابان ويتباغضان، يصطلحان ويتحاسبان. يتشاتمان ويتصافيان،** يشكو كلاهما الآخر عند الحاجة لشيخ البلد أو المأذون ليحكم بينهما بالعدل، وليعتذر الذى عليه الحق للذى ظهر الحق فى جانبه. وكأنى لا أعرف الألفاظ التى أبين بها للقارىء هذا المعنى الراقى جدا، **معنى أن هذا الرجل الفلاح يعامل امرأته معاملة المساوى للمساوى، ويعتبر أنها إنسان موجود مثله لها من الإرادة ما يجب احترامه إلى الحد المحترم من الإرادة. تخرج وتدخل فى دارها عشرات المرات فى اليوم الواحد، ولا يبدو فى دماغها أنه سيجيء أحد يحاسبها على حرية الدخول والخروج، وأين كانت، ومع من من الرجال تحدثت، وماذا كان موضوع الحديث.** فإذا حاسبها الزوج على جيئاتها وروحاتها يوم السوق جرح هذا الحساب شعورها وعزت نفسها، حتى لقد تغلظ إليه فى القول لأن كلماته تدل على أنه يظن بها سوءا وما بها من سوء. كما أنها إذا بان عليها من نظراتها ومن عباراتها أنها ترتاب فى أمر زوجها، غضب لذلك غضبا شديدا وربما انتهى غضبه بأن يضربها كفا أو كفين كما كان يفعل ذلك، لو أن شاتمه أحد من إخواته.

. . . انظر الفرق بين الزوجين الصالحين اللذين قد تأسست علاقتهما على الحرية والمساواة. وبين هذين الزوجين المدنيين وقد تأسست علاقتهما على سوء ظن

كليهما بالآخر. **واجتهاد الزوجة أن تخفى عن زوجها ما يجرى فى وهمها من** الخيالات، وما يختلج بقلبها من صنوف الميل إلى الأشياء. **تخفى عنه زياراتها، تخفى عنه حياتها، تخفى عنه كل شيء إلا شيئا واحدا هو الظهور له بمظهر كاذب** مزور. **وهو يخفى عنها أيضا كل شيء** حتى صور أصحابه من الرجال. يخفى عنها أعماله ومقاصده، **فهى لا** تعرف من أمره إلا شيئا واحدا، هو أنه كاذب فى حبه لها، كاذب فى رضاه بها خليلة إلى الممات.

فإلى متى يصبر أهل المدن والمقلدون من أهل القرى على هذه المعيشة الخسيسة، ولا يفكرون فى تحسين الروابط العملية بين الزوجين وإرجاعهما إلى ذلك المثال الطبيعى من الزوجية الفلاحة الصرف المبنية على المساواة والتسامح، لا على الاستعباد وسوء الظن؛ المؤسسة على الحب المتبادل بين الزوجين قبل عقدة الزواج، لا على مال الزوجة أو مال أبيها الذى سترثه بعد عمر طويل.

نكتب لضرورة المساواة ونقول بها فى المجالس ينقلها عن الشريعة الإسلامية نصوصا وأعمالا. ننقلها عن التمدن الغربى وقائع وأمثلة. ونحن مع ذلك أقل عزيمة من أن تجرى مبادئها فى بيوتنا وعلى أخص الناس لنا وألصقهم بنا أى نسائنا. نطلب نظاما ديمقراطيا « المساواة بين جميع الطبقات فى الحقوق ونحن فى بيوتنا على أشد ما يكون المستبد. وأقسى ما يكون الظالم. نطلب **لأولادنا الحرية وندع أمهاتهم رفيقات راضيات بالرق مجردات عن الميل إلى الحرية المشروعة.** أليس يكون هذا هو أقطع الردود حجة علينا فى أن نقول ما لا نعتقد، أو أننا أعجز من أن ننفذ ما نعتقده الحق ؟

وإنا لنرجو آخر الأمر من جماعة المنتقدين ألا يجعلوا كل سمرهم الانتقاد على زينة النساء، بل حسبهم أن **ينتقدوا بطالة الرجال،** وسوء معاملتهم لأخواتهم، بل **أرجو أن تحرر أمهاتنا، مثل أن تحرر أوطاننا»**[1].

---

(١) انظر المنتخبات، المصدر نفسه، ص ١٢٤ : ١٢٧.
وأيضا الجريدة، العدد ٦١٧ ٢٢ مارس ١٩٠٩.

٨ ـ صلاح العائلة صلاح الأمة :

يتحدث أحمد لطفى السيد فى هذه المقالة عن أسس الاختيار فى الزواج فى العائلة المصرية فى زمـانه، وهى القاعدة التى تبنى عليها العـائلة، ومن ثم المجتمع بأسره. لأن الأسرة هى أساس المجتمع ولبنته الأولى.

ونراه هنا يقارن للمرة الثـانية بين المجتمع الريفى والمجتمع الحضـرى مفضلا أسس الاختـيار للزواج فـى المجتمع الريـفى، وكذلك نمط العـلاقات الزواجـية، والعائلية فيه، مبررا لرأيه بمبررات واقعية ومنطقية.

كما أنه يتناول فى هذا المقال أهمية التعليم والمساواة بالنسبة للبنت، وضرورة المساواة بينها وبين أخيها فى التنشئة والتربية. ورأيه فى حجاب المرأة وسفورها.

يقول أحـمد لطفى السيد فى مـقالته هذه إذا رأيت العـائلة المصرية ولحظت علاقات الزوجية خصوصا فى الطبقة التى عقد بها الرجاء لترقى البلاد. وإذا رأيت فوق ذلك هذه الأزمة الفاشية فى سوق الزواج بين الشبان والشابات. إذا رأيت كل ذلك، حكمت أن علينا واجبـات لا آخر لها، وجهادا شـديدا وطويلا فى إصلاح حالنا الاجتماعية. **وإننا يجب علينا أن نستخدم جمـيع القوى التى ندفع بها حريتنا الشخـصيـة وحريتنا السـياسيـة فى إصلاح حالـنا العائلية. لأن نجـاحنا فى الأولى، يتوقف دائما على نسبـة تقدمنا فى الثانية.** لا تتألف الأمة مـن الأفراد المجردة، بل هى تتألف من العائلات.

كنا نصبح أشد رجـاء وأسعد حظا لو كانت العائلات المعـول عليها فى رقى الأمة هى تلك العائلات الفلاحية التـى ليس فيها بين الزوج والزوجة من الفروق، إلا تلك الفروق الطبيـعية أو الشرعيـة، التى لا مناص منها. ولكن مع الأسف إن السنة المطردة فى نظام العالم تجعل هذه العائلات الفقيرة لا تحدث فى جمعية الأمة أثرا إلا وراء العائلات الأخرى، عائلات الطبقـة العليا والطبقة الوسطى من الأمة. على أن هذه العائلات الفقيرة **أو عـائلات العمال فى بلادنا، هى فى الحقيـقة قريبة فى نظامـها من المعـقول لأنـها مـؤسسـة على جانب عـظيم من المحبـة والتسـامح والشعور بالمساواة بين الزوج وزوجته.**

يرى الشاب الفلاح ابنة جار أبيه فى البيت أو الغيط، أو يلمح ابنة نزيل عندهم فى القرية أو ابنة أحد أقارب أو أصحاب أبيه أو غيرهم فى بلد أخرى. يلمح هذه أو تلك فيبتدرها بالسلام. يسلم عليها باسمها من غير كلفة، وهى كذلك ترد السلام عليه باسمه، ثم يتحادثان كما يتحادث الأخ مع أخته. ثم يكون من بعد ذلك أن يجد الشاب فى هذه البنت الصورة المرسومة فى ذهنه من المرأة التى يبتغيها له شريكة فى الحياة، فيخطبها له أبوه. وهكذا هى العامة. إلا ما شذ منها فى العائلة التى يكون رئيسها غليظ القلب، جافى الطبع، يزوج ابنته كرها لمنفعة يرتجيها. أو فخر يحلم به. أو يزوج ابنه بمن لا يحبها، لأنه يجب إرضاء مطمع له أيضا. ولقد علم الناس أن مثل هذا التصرف، يأتى دائما على نتيجة تناقض ما فى حسبان الآباء، فكفوا عنه الآن كثيرا. وليست هذه الأمثلة فى الواقع إلا شواذ من القاعدة العامة التى هى **أن الشاب الفلاح والشابة الفلاحة، يتزوج كلاهما بعد ميل خاص، وجاذبية حقيقية.** إذا لخطأ الشاب فى اختياره أو أخطأت الشابة فى اختيارها، فخطؤهما شخصى خاص بهما لابد لنظام الجمعية فيه، ولا مسئولية على هذا النظام إلا فى أنه لم يعط هذه الشبيبة الفلاحة من العلم قسطها، حتى يحسن اختيارها.

أما الطبقة الوسطى من الأمة، وهم طبقة الذين يحجبون نساءهم فى المدن، والموسرين فى القرى، الذين يقلدون أهل المدن فى حجب النساء، فتأليف العائلة عندهم مضحك. وشر البلية ما يضحك.

تخطب السيدة المصونة، والجوهرة المكنونة، على الطريقة التى نعرفها جميعا. **لعبة فى علبة.** لا يشترط فيها إلا أن تروى عنها السيدات المكنونات أيضا ما شئن من الجمال الذى لا يعرفن له معنى، إلا السُمن والبياض. والأدب الذى لا يعرفن له صورة، إلا غض الطرف ووضع اليدين بانتظام على الركبتين كتماثيل سقارة. **ثم تنقل هذه الشابة التى عقد عقدها إلى بيت زوجها كما تنقل البضاعة الذى حصل اتفاق المتعاقدين عليها عقدا عاما، ليس فيه شرط. ولا خيار عيب، ولا**

خيار رؤية. كأن الأزواج فى هذه الحال عمى يحبون بالسماع، ويختارون بالسماع، ويعولون فى سعادتهم الزوجية على السماع. قد تكون الصدفة سعيدة، فيحصل كل من الزوجين على ما كان يحب. ولكن الصدفة أبعد جدا من أن تصلح نظاما عمليا للروابط الاجتماعية، فإنها تسعد مرة، وتخبث مرارا.

إن هذه السيدة كانت مكنونة فى الحجب فى دار أبيها، مكنونة فى بيت زوجها، وجهها عورة يجب سترها، وصوتها عورة يجب كتمانه، وملكاتها عورة يجب خنقها تحت الحجاب. واسمها عورة، وكلها كذلك، ثم يطلب منها بعد ذلك أن تكون إنسانا حرا تام الشخصية، عليه للاجتماع أثقل الواجبات، وهو واجب تربية البنين والبنات.

يبين لبعض الذين يأخذون بظواهر الأشياء أن السيدة المحجوبة هى موضوع الاحترام والإجلال، أو فى نظر أبيها وزوجها أكثر احتراما ورعاية من تلك الفلاحة التى لا حجاب عليها. ولكن ذلك خطأ محض. فإن الفلاحة ملحوظ فيها أنها إنسان أمين على نفسه، أى إنسان تام الخلقة، له من الحرية ما وهب الله لكل مخلوق، وأما السيدة أو الهانم، فإنه ملحوظ فيها أنها ليست أمينة على نفسها. لا قوام لها بغير المراقبة الشديدة. أو لا وجود لها إلا بصفتها متعلقة بإنسان آخر، هو وليها أو زوجها.

يظهر لنا أن هذه الاعتبارات هى التى تجعل شبابنا يحجبون بعض الشيء عن الزواج، وهذا الإحجام بلية يجب علينا أن نتداركها بقدر الاستطاعة. ولا يمكننا أن نتداركها إلا بإرضاء أطماع الشبان التى خلفتها فيهم التربية الحديثة. ولا يكون ذلك إلا بتعليم البنات وتقريب مسنواهن العقلى والعلمى من مستوى الشبان حتى يكون الزواج مرجحا فيه جانب السعادة على جانب الشقاء.

بناتكم أصبحن بحكم البيئة والتعليم يدركن أن لهن إرادة يجب أن تحترم، كما تحترم إرادة الشباب. يعلمن أن لهن حظا من السعادة فى هذه الحياة الدنيا، يجب أن يستوفينه كما يستوفيه الشبان. لا تضاروهن ولا تضيقوا عليهن ؛ ولا تفرقوا فى المعاملة بينهن وبين إخوانهن.

إذا أحست المرأة بحريتهـا ومسئوليتها. وأحس الرجل بمسئوليته عن المساواة بينه وبينها، تألفت العائلة المتينة التى تصح أن تكون هى الوحدة فى تأليف أمة. أهل لأعلى درجات السعادة والرقى.

العائلة أساس الرقى، أصلحوها وكل إصلاح بعد ذلك سهل مستطاع»[1]

٩ ـ سعادة النساء:

ينصح أحمد لطفى السيد فى هذه المقالة النساء بترك بعض العادات السلبية الضارة التى لا تجلب لهن السعادة قدر جلبها للضرر والارتباك فى حياتهن، «كالإسراف فى حب الزينة، واقتناء الكماليات، والإسراف فى مناسبات الأعياد، والأفراح، بل والمآتم أيضا، أكثر مما تسمح به قدرة أوليائهن المالية، حتى أن كثيرا من الشبان ذوى الحال الرقيقة لا يستطيعون الإقدام على الزواج. ويخافون إن هم فتروا سقطت مراتبهم فى أعين زوجاتهم ! وإن هم طاوعوهن على مطالبهن التى لا تحصى، أفلسوا وضاقت عنهم حالهم ووظائفهم».

وفى هذا المقال نلاحظ موضوعية أحمد لطفى السيد فهو لا يناصر المرأة مناصرة عمياء، بل إنه ينقد تصرفاتها، ويحللها ويبين صواب تصرفاتها من خطئه، ويرى أن إسراف المرأة لا يتفق مع شخصيتها الجديدة.

يقول أحمد لطفى السيد فى هذه المقالة : «. . . إنهن متفقات معنا فى أن السعادة لا تكون بعقد ثمنه ألف ولا بسوار ثمنه خمسمائة، ولا بقرطين كبيرين من أكرم الحجارة يضيئان فى شحمتى الأذنين، كذلك ليست السعادة فى أثواب غالية، واسعة الجيوب مجرجرة الأذيال. وليست السعادة فى نفاسة البسط ولا فى إحراز كثير من الطرف التى توضع للزينة. . ولا فى استعمال الآنية من الذهب والفضة. هن متفقات على أن السعادة شيء آخر غير ذلك.

نحن لا ننكر على المرأة حب الزينة، ولا نكره أن تنشأ فى الحلية والعيش الناعم. ولكن ما ننكره هو الإسراف والخروج فى شراء أدوات الزينة عن حد قدرتها المالية. كل سيدة تعلم أن الإسراف رذيلة. ولكن الصعوبة هى فى إقناعها بأن ما هى فيه إسراف.

(١) المنتخبات، المصدر نفسه، ص ١٢٨ : ١٣١.
وأيضا الجريدة، عدد ٦٣٠، ٦ أبريل ١٩٠٩.

يصعب علينا نحن أيضا أن نضع حدا للإسراف الذى تأتيه السيدات فى بلادنا لأن هذا الحد يختلف باختلاف سن السيدة ومقدار التسامح معها فيما عندها له ضعف من الزينة، وباختلاف البيئة التى تعيش فيها، والمدينة أو القرية التى تسكنها وقدرة زوجها على أن يكون لديه من المال فضل يسع الاحتياطى والصدقات. . . ويسع بعد ذلك كله شراء الزينة لزوجته. فمن الصعب وضع حد مرسوم للإسراف، ولكن من السهل إحصاء، بيوت التجارة الخاصة بالزينة ومقدار ما تبيعه فى كل عام بالنسبة لمواد الغذاء والملبس العادى المعروف. إذا فعلنا ذلك حكمنا من غير تردد أن سيداتنا مسرفات. وعليه يكون إسرافهن من أسباب الضائقة المالية لكثير من البيوت التى يزيد مصروفها على إيرادها سنة عن سنة.

كان النساء قبل هذا القرن، ومن زمان بعيد يبالغن فى الزينة إلى ما فوق الإسراف، ولكن معذورات فى ذلك لأنهن كن يتزين للرجال ولم يكن لهن من الهم ما يلوى بهن عن ذلك فما عذرهن الآن وقد قمن يطالبن بالمساواة بينهن وبين الرجال فيما يقدرن عليه من واجبات الحياة الثقيلة. تلك المطالبة وحدها تشف عن أن المرأة الحديثة قد أنفت موطنها الماضى، فلتأنف معه أيضا أن تستعمل ذلك السلاح القديم، سلاح تسخير الرجل لزينتها.

. . . الواقع أن السيدات يسرفن فى إحراج أزواجهن بمناسبة الأفراح والأعياد، بل بمناسبة المآتم أيضا. يسرفن فى اقتناء الزينة بأكثر مما تسمح به قدرة أوليائهن المالية، يسرفن فى مجاوزة حدود القصد. يسرفن فى كل ذلك حتى أن كثيرا من الشبان ذوى الحال الرقيقة لا يستطيعون الإقدام على الزواج.

. . ولا شك فى أن هذه الحال تستدعى النصيحة لا الجدال. نصيحة نرفعها لمن يتدبر من النساء ومن الرجال على السواء. فإن عاقبه الاقتصاد أدنى إلى تحقيق سعادة النساء » [1].

---

(١) المنتخبات، المصدر نفسه، ص ٢١٣ : ٢١٦.
وأيضا الجريدة، العدد ١١٨٣، ٤ نوفمبر ١٩١١.

١٠ ـ تربية البنات :

تأتى هذه المقـالة فى الترتيب الزمنى، بعـد ثلاث سنوات من كـتابة أحـمد لطفى السيد مقالته بعنوان « بناتنا وأبناؤنا »، ومقالته التى تلتها بعنوان « لا تضيقوا عليهن » ونلاحظ أنه فى مقالاته الأولى عن المرأة كان يعنى بالدرجة الأولى بمسألة تعليـمها منذ الصـغر، وأهمـية التـعليم الكبرى فى تربيـتهـا، وإعدادها لأولادها المستقبلـة، كما أنه كان كثيرا مـا يذكر حرية المرأةعند ذكره لأهمية التـعليم بالنسبة لها، لكنه فى هذه المقالة يؤكد حرية المرأة فى المحل الأول، ويذهب إلى أن الحرية قرينة العلم. **وفى هذه المقـالة أيضا نرى كـيف يتدرج أحمـد لطفى السيـد المفكر العظيم فى دعوته فيبدؤها بالدعوة إلى تعليم المرأة ثم يـتدرج داعيا بالتغير والتطور الاجتمـاعيين، إلى الدعـوة إلى تحرير المرأة**، وذلك بعد أن نجحت الأولى نجاحـا كبيرا، لأن الأمارة الوحيدة لحرية الأمة فى نظره هى حرية المرأة.

يقول أحـمد لطفى السيـد فى هذه المقالة : « تحولت الحـال، وتحول معـها حزب المعارضة فى تعليم البنات، فكان هذا الحزب فى زمن غـير بعيد يضم أكثرية أولى الرأى فى البلاد، ثم تضـاءل شيئـا فشيـئا حتى صـار يستحى من التـصريح بمعارضـته علنا. . . . ثم تضـاءل وأصبحنا والحـمد لله لا نرى لحيـاته، أمارة ولا نسمع عن وجوده خبرا. . . فمتى تجيء ساعة ذلك الحزب الآخر الذى يتراوح بين التقدم والتـأخر، فلا هو صريح المعـارضة كالحزب القديم، ولا هـو سائر فى تيار العلم كالحزب الجـديد، ونعنى بهذا الحزب أولئك الذين يقـولون بأن الحرية أساس لكل مدنية صحيحة، ويقولون إن المرأة هى حجر الزاوية لتلك المدنية، ثم هم على ذلك ينكرون حـقها فـى الحرية، **ويأبون عليـها التطور الاجتـماعى، والسـير على قانون النشوء والارتقاء، يبغون النتيجة ولا يبغون وسيلتها الوحيدة، يحبون السعادة الاجتماعية، ويكرهون أسبابها.**

من هؤلاء جماعـة البسطاء الذين يتخذون الخـوض فى المسائل الاجتمـاعية العـويصة لهـوا وتسلية يقـتلون بها الوقت فـإذا وقعت فـى « الحارة» واقعـة من الواقعات الشائنة، صاحوا فى مجالسـهم، تلك هى النتيجة اللازمة لتحرير المرأة، وتطيـروا بقاسم أمين وأصـحابه. فـإن قـيل لأحدهم : وعـلام ترسل ابنتك إلى المدرسة ؟ قال ما للتعليم والحـرية، التعليم واجب على كل مسلم ومسلمة، ولكن

التعليم شيء، وتحرير المرأة شيء آخر. فإن المرأة متى أحست بحريتها وأن لها حقا فى تلك الحرية تطالب به أباها وزوجها والأمة بأسرها، أساءت استعمال هذا الحق واتخذته سلاحا تقتل به نفسها. يقول قائلهم ذلك **وينسى أن العبودية ابنة الجهل، والحرية قرينة العلم، وأن طباع السوء إذا تولدت مرة عن الحرية، تولدت ألف مرة عن الاستبداد، وأن الحرية أكبر ضمانة يمكن اتخاذها لصون المرأة، كما أن الاستقلال الذاتى للرجل هو المقوم الوحيد لأخلاقه، والسلم الذى يرتقى عليه إلى الأدب الكامل.**

ومهما يكن من تخبط المتخبطين فى أمر المرأة المصرية، فمن المحقق أن هذا الاختيار يقع عادة وبغير حساب فى فترة الانتقال من حال إلى حال، فهو بهذه المثابة لا يخيف طلاب الإصلاح الحقيقى، لأن التقدم فى المدنية سيل جارف لا يقف أمامه إلا موشك أن يقع فيه. ولا يبقى من المذاهب إلا ما يوافق مزاج مدنية العصر، فخير للذين يغلون فى الخوف من مستقبل المرأة المصرية، أن يعتصموا بالصبر على حال الانتقال، وأن يروضوا أنفسهم على الاعتقاد بأن الأمارة الوحيدة لحرية الأمة هى حرية المرأة. فإذا حصلنا على الحرية الاجتماعية للمرأة حصلنا بسهولة على الحرية العامة والاستقلال » [1].

١١ - المرأة فى البلاد العربية :

تناول أحمد لطفى السيد فى هذه المقالة **المرأة العربية**، ووجه الأنظار إلى **أهمية دراستها ومعرفة صفاتها وأهم ما تعانى منه لأنها فى** نظره نصف الجنس العربى، وعلى صلاحها أو فسادها يبنى الحكم على الأمة بأسرها. يقول أحمد لطفى السيد فى هذه المقالة : « . . . لكن المرأة العربية وهى نصف الجنس العربى، وعلى صلاحها أو فسادها يبنى الحكم على الأمة بأسرها، لا يجوز أن يكون نصيبها من ملاحظاتنا الإهمال. لذلك لاحظت طرفا من الهيئات والأزياء. واستمعت نتفا من الروايات الصادقات عن حال النساء العربيات، أنقله للقارئين والقارئات.

---

(١) المنتخبات، المصدر نفسه، ص ٢٢٦ : ٢٢٨.
وأيضا الجريدة، العدد ١٢٨٦، ٦ يونيو ١٩١١.

... والمرأة العربية على وجه العموم متأخـرة جدا فى أمر التعليم، متأخرة عن زميلاتها فى مصـر وفى بلاد الترك. ولكن تأخرها فى التعليم لم يفقدها شيـئا كثيرا من استقلالها، ولـم يمت فيهـا ملكه الإرادة. وبالجملة لم يطبعهـا على طبائع الذل كما فى كـثير من الاصقاع الأخـرى. بل لاتزال هى هى المرأة العربية الحقـيقة بأن تكون قـرينة للعـربى، حمى الأنف قـوى الإرادة، عظيم المروءة ظاهر الشـجاعـة والكرم » [1].

١٢ ـ الحركة النسائية فى مصر:

تتوج المقـالات التى كتبهـا أحمد لطفى السـيد ـ والتى جُمعت فى كـتاب المنتخـبات، وكانت تخص المرأة بشكل واضح ـ بمقـاله. عن الحركة النسـائية فى مصر، وفيه يذكر الكاتب هدف الحركة النسائية فى مصر، ثم يتحدث بإسهاب عن معارضـيها، ومؤيديها، والـظروف التى جعلتها تتخطى الـعقبات التى واجهـتها، ويرى الرائد العظيم أحمد لطفى السيد أن تحرير المرأة قـد أصبح حقيقة واقعة، وأن مسألة الحـصول على الثمـار المنتظرة من هذا التحرير هى مسـألة وقت فقط. وهو يعى تماما فكرة التغير والتحول الاجتـماعيين فيرى أن الاضطراب الاجتماعى الذى قد يكون مـتسبـبا عن الحركـة النسائية فى مـصر، والذى يعد توقف الشـبان عن الإقدام بسـهولة على الزواج مظـهرا من مظاهره، إنما هو اضطراب وقـتى اقتـضاه الانتقـال من حال إلى حال. يقـول أحمد لطفى السـيد فى مقـالته هذه: « **كانت ترمى هذه الحركة النسائية فى مصر إلى غـرض أصلى كبير، هو تربية المرأة المصرية وتعليمها حتى تشعر لذاتها بوجود خاص وشـخصية مستقلة، لتستكمل حظها هى أيضا من الكمـال الذاتي، ولتنتفع وتنفـع بخير الحـرية المفيدة التى مـا منعتـها إياها شريعتنا، ولكن أنانيتنا وفرط غيرتنا.**

لاقت هذه الحركة فى أولها معارضة شديدة، بل حربا عوانا من المحافظين، كادوا يقتلونهـا جهلا بمزاياها، وفزعـا عن الانتقال مما يألفون إلى مـا لا يعرفون، شـأنهم أمام كل جـديد من الأفكار والآراء والمقـاصـد. كادوا يقـتلونهـا لولا أن

---

(١) المنتخبات، المصدر نفسه، ص ٢٤١ : ٢٤٥.

وأيضا الجريدة، العدد ١٣٥٦، ٢٨ أغسطس ١٩١١.

اجتمعت لها ظروف كثيرة عرفت أن تستخدمها لنصرتها، **فكان من نصرائها الدين الحنيف** الذى لم يحظر على المرأة من مقتضيات الحرية إلا ما يضر بكمالها الذاتى ولا يتفق مع الحياء والأدب اللازمين فى كل زمن من الأزمان. ولا شك فى أن حركة تتسلح بالشريعة، أى تتسلح بسيف يقطع حجج المحافظين وألسن السوء وتغطرس الجاهلين.

وكان من **نصرائها أيضا هبوب الأمة من نومها العميق للمطالبة بحريتها،** وبعيد **أن يقبل من المطالب بالحرية أن يثبت طويلا واقفا فى وجه حرية غيره،** إنما يعتمد المطالب بالحرية على أن الحرية حق طبيعى لكل مخلوق، فما أسمحه حين يدعى هذه الدعوى ويمنع الحرية أمه وأخته وزوجته. إنما يعمد المطالب بالحرية صبغة طلبه بأن الحرية هى وحدها مرقاه بلوغ المرء إلى كماله الخاص والأمة إلى استقلالها التام، وبعيد على قائل هذا أن يمنع المرأة وهى أخت الرجل ونصف الأمة، من الوسيلة الوحيدة لاستحقاقها أن تكون بحق زوج الحر وجزءا من المجموع الناهض إلى الاستقلال.

وكان من نصراء هذه الحركة المباركة سيل التمدن الجارف الذى جاءنا من الغرب بمبادئه الفاضلة ورذائله، ونحن مكرهون على قبوله دفعة واحدة من غير أن نستطيع أن نقف فى وجه تياره السريع، ولا أن نجعل بيننا وبينه ردما. بل كل ما نستطيع هو أن نحاول تمصير فضائله وتضييق مجرى رذائله، حتى نملكه ونحكمه... ذلك التيار المدنى قد جاء أيضا لمصلحة حرية المرأة، ومكن له فى عزائم المحافظين فنقضها كما تنقض قوى الحبل الشديد انكاثا لا قبل لها بالمقاومة.

اجتمع لهذه **الحركة المباركة** من الظروف المختلفة ما جعلنا نعتقد أنها حركة جاءت فى أوانها واستوفت عددها الضرورية للنجاح، فسارت فى طريقها إلى **الأمام وتخطت عقبتين. أولاهما شر تجريب الكاتبين أقلامهم فى الوصف،** فإن أهون موضوعات الوصف وألذها طعما فى أذواق العامة وصف المرأة المتبرجة، والوقوع فيها بالانتقاد، وتلمس عيوب لبسها، ومشيتها، وحديثها، واستنزال اللعنات على الحالة الاجتماعية الحاضرة، وسب الزمان والمكان، يخيفون بما يقولون الأزواج على سمعة نسائهم، والآباء على بناتهم. فيوقعونهم فى بؤس

العيش من الحيرة بين اختيار الظن ومـضارة النساء، والتضييق عليهن بما يأباه الدين ودواعى التقـدم، وبين احتمال الانتـقاد المر الذى ما دعـا إليه فى نفس الكاتب إلا حب الكتابة واستلانة الموضوع. فالحـمد لله قد كف الكاتبون أو كادوا عن تجريب أقلامهم فى هذا الميدان، فتخطت الحركة النسائية بذلك هذه العقبة الأولى.

وأما العقـبة الثانية، فـهى تردد أولياء الأمر على النساء، وبـغضهم السير مع بعض نسائهم فى الطريق مشاة أو راكبين التـرام والعربات. فإنهم كانوا يجدون من ذلك على أنفسهم غضاضة. يبتل جـبين أحدهم بالعرق حياء من مماشاة زوجه إذا قـابله أحد مـعـارفه، كـأنما هو يخـزى من أن تكون له زوجـة أو أخت أو أم أو خالة... هذه العقبة زالت أو كادت تزول، فـقد دخل فى عادتنا كثير أو قليل من مران الرجال واعتيادهم على الكف عن أن يستلوا ألسن السوء تنال من رجل لمجرد مشيه مع امرأة. وأصبحنا نرى هـذا النوع من التنزه العائلى كثيرا بين ظهرانينا وإن دخول هذا النوع فى عادات المدن جعل الحـركة النسائية تتخطى هذه العقـبة الثانية أيضا. نقـول فى المدن لأننا فى القرى لا نجـد بأسا من مـرافقـة الزوج زوجه إلى المزارع وإلى الأسواق. بل تلك هى العادة عندنا نحن الفلاحين.

اجتمعت للحـركة النسائية تلك الظروف المناسبة، وتخطت تلكمـا العقبتين، فنحن فى حـل من أن نأمن عليها طوارىء التـأخر أو معوقات السيـر فى طريقها الصالح إلى الأمـام وأصبحنا نشعـر بمزايا نتائجهـا. فإن المرأة المصرية قد أصـبحت تتشبث بإثبات وجودها الخاص بعد أن كان وجودها فانيا فى وجود من يكفلها من الرجال. وصـارت تدخل بنصيب فى الأعـمال الاجـتماعـية العـامة، وسواء كـان مظهرها فى ذلك قـد أفاد أو لم يفد فالقـدر المتيقن من هذه المظاهر أنهـا أصبحت غيورا على إثبات وجودها، ضنينا بشخصيتـها أن تحمى فى شخصية ابنها الرشيد، أو زوجها المسيطر، أو أخيها الكفيل، شاعرة بأن عليها مسئولية عامة بقدر طاقتها. فإننا نجد على الصحف أسماء كثيرات من النساء متبرعات للخيرات ولو من أموال ذويهن، كاتبات فى الصحف آراءهن، وخاطبات فى المجالس بأفكارهن. كل ذلك ليس على الرغم من ولاة أمـورهن، فنلِن بذلك نتـيجـة مزدوجـة، وهى أن المرأة أخذت تشعر بوجودهـا الخاص ومسئوليتها العامـة فى الأمة وأن الرجل أخذ يسهل لها سبل هذه الحياة الجديدة من غـير إكراه ولا مضض. أعنى أن الرجل والمرأة قد

اتفقا بهذا العهد على (تحرير المرأة) فلم يبق إلا الزمن الكافى للحصول على الثمرات المنتظرة من هذا التحرير.

نحن لا ننكر تماما آثار الاضطراب الاجتماعى الذى قد يكون مسببا على الحركة النسائية وكثرة توقف الشبان عن الإقدام بسهولة على الزواج. ولكننا نعرف أن هذا الاضطراب وقتى اقتضاه الانتقال من حال إلى حال أخرى، فلن يكون من الصبر عليه إلا زواله والاغتباط بنتيجة الانتقال، وهى الوصول إلى جيل تكون فيه المرأة المصرية مستحقة لزواج الشاب المتعلم كبير الأطماع. ذلك الجيل هو الذى نعتمد عليه فى جنى ثمرات أتعابنا الحاضرة. وهو الذى سيشرق صحيفة تاريخنا، ويرد إلى مصر مركزها العالى فى مصاف الأمم الكبيرة إن شاء الله » (١).

خاتمة وتعليق :

يتبين لنا من خلال استعراضنا لمقالات أحمد **لطفى السيد عن المرأة أننا بحق أمام رجل سبق عصره، رجل عاش فى المستقبل،** رجل نادى بتعليم المرأة المصرية، ومنحها الحرية كالرجل تماما، فى مطلع هذا القرن، فتحقق كل ما نادى به فى أواخر القرن ذاته.

إن **أحمد لطفى السيد من أكبر رواد تحرير المرأة المصرية، وإن لم يأخذ حظه من الشهرة والمعرفة فى هذا المجال. فالكثيرون يجهلون جهوده العظيمة من أجل تحرير المرأة المصرية،** والتى لمسناها فى كل سطر بل كل حرف من المقالات التى استعرضناها آنفا وحللنا محتوياتها. وأبرزنا أهم الأفكار التى احتوتها.

ومما يلفت النظر، وبخاصة بالنسبة للمتخصصين مثلى فى علم الاجتماع، **أن أحمد لطفى السيد كان اجتماعيا من الطراز الأول فهو يضع يده فى مقالته «بناتنا وأبناؤنا » على أهمية القيم والعادات المصرية الأصيلة فى حياتنا،** وضرورة أن تمزج الفتاة المصرية المتعلمة بين عاداتها وقيمها الأصيلة، وبين قيم التمدن الحديثة، أو **بعبارة أخرى بين الأصالة والمعاصرة.**

---

(١) المنتخبات، المصدر نفسه، ص ٢٦٨ : ٢٧١.
وأيضا الجريدة، العدد ١٤٨١، ٢٧ يناير ١٩١٢.

كمـا يلمـس فى مقـالتـه « لا تضيقوا عليهن » أهميـة دور الأم كمـربية لجيـل بأسـره، وأن الأم لا تعـطى ولـدهـا مـن الأخـلاق إلا مـا لديها.

أما فى مقالته « بناتنا وأمهاتنا » فيوضح لطفى السيد بجلاء ما اصطلح على تسميته فى علم الاجتماع بالفروق الريفـية الحضرية، فهو يقارن بين علاقة الزوجين فى الريف، وعلاقتهما فى المدينة، ويحلل، ويفسر الأسبـاب، حتى أنه فى النهاية يعطينا صورة كاملة لأسلوبين مختلفين فى الحياة. أسلوب الريف وأسلوب المدينة.

وقد أدرك أحمـد لطفى السيد بثاقب بصيـرته الاجتماعيـة أن العائلة أساس الأمة، وأساس الرقى، فقال أصلحوها وكل إصلاح بعد ذلك سهل مستطاع، وردد ذلك فى كل مقالاته، وإذا الدستـور المصرى يأتى بعد حوالى خمسون عـاما ليذكر أن الأسرة أساس المجتمع قوامها الدين والأخلاق والوطنية.

ويبدو أحمد لطفـى السيد مفكرا اجتماعـيا أصيلا فى مقالتـه الرائعة «تربية البنات» التى كتبها وهـو فى التاسعة والثلاثين من عمـره، والتى تأتى فى الترتيب الزمنى، بعد ثلاث سنوات من كـتابته لمقالاته الأولى عن المرأة وهنا نـلاحظ تأكيد لطفى السيد لفكرة حرية المرأة، وهى فكرة تلت دعوته لتعليم المرأة المصرية، ويبرز هنا وعيه بالتطور الاجتماعى الذى يذكره أكثر من مرة فى ثنايا المقالة.

كما يظهـر حسه الاجتماعى الذكى فى مـقالته « الحركة النسائيـة فى مصر » الذى توج به كتـاباته عن المرأة المصرية، فشرح هدف الحركـة، وحلل أبعاد النجاح والفشل، حتى بين أنها أصـبحت حقيقة واضحة. ثم أظهـر فى مقالته أنه يعى أن هناك بعض مظـاهر الخلل أو الاضطراب الاجتماعى الذى حدث كنتـيجة للحركة النسائية فى مـصر، ولكنه بشر بأن هذا الاضطراب وقتى تقتضيـه ضرورات التغير والتطور الاجتماعيين، وهذا ما حدث بالفعل.

وهكذا استحق أحمد لطفى السيـد بأفكاره التقدمية عن تعليم المرأة المصرية، وتحقيق المساواة والحرية الشخصية لها، وممارسة تلك الأفكار عملا لا قولا فقط، أن يخلد اسمه بين الخالدين.

* * *

الفصل التاسع

جرائم النساء(*)

تمهيد:

يعد مجال إجرام النساء مجالا مهملا من مجالات البحث فى علم الاجتماع الجنائى رغم ازدياد الاهتمام بالمرأة فى القرن العشرين، وتميز ذلك القرن بحصولها على عدة حقوق لم تكن لتتمتع بها من قبل، كالحق فى التعليم والحق فى العمل، والحق فى ممارسة الحقوق السياسية كالانتخاب والترشيح وتولى المناصب السياسية، إلى غير ذلك من الحقوق. ورغم إجراء البحوث والدراسات الكثيرة التى دارت حول المشكلات التى تصادف تعليم المرأة، والصعوبات التى تواجهها فيما يسند إليها من أعمال، ووضعها الجديد فى الأسرة وعلاقتها بالرجل وغير ذلك. فإن مشكلة المرأة والجريمة لم تنل مثل هذا الاهتمام، ففيما عدا بعض البحوث التى لا

(*) انظر سامية الساعاتى فصل من كتاب جرائم النساء، **المركز العربى للدراسات الأمنية**، والتدريب بالرياض، الرياض، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م. ص ص ١٣-٣٦.

ويحتوى الكتاب على موضوعات تشمل :

القسم الأول :

١- طرق ارتكاب جرائم النساء.
٢- العوامل البيولوجية فى جرائم النساء.
٣- العوامل الاجتماعية فى جرائم النساء.
٤- العوامل النفسية فى جرائم النساء.
٥- الاتجاه التكاملى فى تفسير جرائم النساء.
٦- تحرير المرأة وجرائم النساء.
٧- درجة الحضرية وجرائم النساء.

القسم الثانى :

عرض لأهم البحوث المصرية فى مجال جرائم النساء.

يزيد عددها على أصابع اليد الواحدة أجرى معظمها فى أوربا والولايات المتحدة الامريكية، فإن جرائم النساء ظلت من الأمور التى يحيطها ما يحيط المرأة أحيانا من غموض او ما تلقاه من اللامبالاة والإهمال.

ويرى بعض المتخصصين فى علم الاجتماع الجنائى، وعلم الاجرام، أن السبب فى أن إجرام النساء يعد مجالا مهملا من مجالات البحث، هو أن صورتنا الثقافية المجتمعية عن المجرم أنه : **ذكر خارج عن القانون**، وأن البحوث فى علم الاجتماع الجنائى وعلم الإجرام قد وقعت تحت تأثير تلك القوالب الثقافية.

ويرى البعض الآخر، أن قلة الاهتمام العلمى بجرائم النساء إنما يعزى إلى أن **عدد النساء الذى يقع تحت طائلة القانون أقل بكثير إذا ما قورن بعدد الرجال.**

وقد وجه كثير من الباحثين إبان الخمسينيات من هذا القرن أنظار العاملين فى ميادين علم الاجتماع، وعلم النفس وعلم الإجرام إلى ضرورة البحث فى هذه الظاهرة وعدم إهمالها، ومن هؤلاء نذكر على سبيل المثال « ثورستين سيلين ») (Thorsten Sellin) **و« وولتر ريكلس»** (Walter Reckless) **و«هارى المر بارنز»** (Harry Elmer Barnes). **ويركز هذا الفصل على البحث فى ظاهرة إجرام النساء.**

أولا : الطبيعة المتخفية لجرائم النساء

نالت النساء كثيرا من الثناء والإطراء بسبب نسبة إجرامهن التى تبدو منخفضة إذا ما قورنت بأية مجموعة سكانية أخرى، وفى الحقيقة فإن العلاقة بين الواقع، وبين الظاهر فيما يتعلق بجرائم النساء لابد أن تدرس، وأن يكشف عنها.

وفى هذا المجال تفرض ثلاثة تساؤلات نفسها على المهتم بجرائم النساء : أولها ما إذا كانت هناك جرائم معينة خاصة بالنساء وحدهن. أو جرائم يشتركن فيها اشتراكا واضحا ولكن لا يبلغ عنها إلا فى حالات أقل بكثير من الواقع. وثانيها ما إذا كانت النساء الخارجات على القانون أقل تعرضا للقبض عليهن وللمساءلة القانونية المترتبة على ذلك. أما ثالثها فهو إذا ما كانت النساء اللاتى يقبض عليهن يلقين معاملة لينة فى الإجراءات التى تتخذ حيالهن.

وللإجابة عن هذه التساؤلات يرى (بولاك) أنه من الواضح أن إجرام النساء أقل ذكرا فى التقارير، وبالذات بالنسبة لبعض الجرائم مثل السرقة من

والسرقة التى ترتكبها البغايا والسرقات التى ترتكبها الخادمات، والإجهاض، والجرائم التى ترتكب بالنسبة للأطفال، والقتل. فضلا عن بعض الجرائم الأخرى مثل الشذوذ الجنسى، والفعل الفاضح العلنى التى لا تقدم للمحاكمة إذا ارتكبتها امرأة.

ويرى « بولاك » (Pollack) أن النساء المجرمات يتلقين الحماية من الرجال، حتى ولو كانوا ضحاياهن، فهم يكونون أقل ميلا إلى الشكوى للسلطات.

وهناك سبب ثقافى اخر، يتصل ايضا بحماية الرجال للنساء والذى يلعب دورا مماثلا فى إخفاء جرائم النساء، لأن هناك من يذهبون إلى أن النساء يقمن بأدوار فى المجتمع أقل فاعلية من أدوار الرجال، والحقيقة أن النساء هن فى الغالب المحرضات على الجرائم التى يرتكبها الرجال، وبهذه الصفة فإنه يصعب اكتشافهن.

كذلك لاحظ « بولاك » (pollack) وجود جرائم عديدة يرتفع عادة عدد ما يكشف عنه منها بالنسبة للرجال، فى حين ينخفض عددها بالنسبة للنساء، لأن ادوارهن كربات بيوت، ومربيات للاطفال، وممرضات، وزوجات، وعشيقات، وغير ذلك تسمح لهن أن يرتكبن الجرائم وأن يخفينها عن السلطات العامة، مثال التسميم البطئ للزوج والمعاملة السيئه للطفل.

هذا فضلا عن حقيقة متكررة لاحظها الكثير من المتخصصين فى علم الاجرام، وهى أن أغلب ضباط الشرطة وكذلك القضاة والمحلفين يكونون أكثر مرونة ورقة نحو النساء مما هم نحو الرجال. وقد قادت هذه الاعتبارات « بولاك » وغيره من المتخصصين إلى ملاحظة أن إجرام النساء إنما هو إجرام خفى ومقنع إلى درجة كبيرة وترتيبا على ذلك فإن الإحصاءات الرسمية والسجلات الخاصة بجرائم الإناث تكون أقل تعبيرا عن الحقيقة بسبب العوامل سالفة الذكر.

لذلك فلا بد أن يتم التقدير الحقيقى لإجرام النساء بالاستعانة بالمصادر غير الرسمية، كما أنه من المهم عقد مقارنات دولية تفيدنا فى تحليل الخصائص النوعية المميزة لجرائم النساء. (١)

---

(١) انظر، Pollak . O., The Criminality of Women University of Pennsylvania Press, Philadlphia . 1950 PP . 1:7 .

ثانيا: الأبعاد الحقيقية لجرائم النساء

صحب الاهتمام بجرائم النساء بتحديد الحجم الحقيقى أو الأبعاد الحقيقة لإجرامهن، لذلك تتابعت المحاولات التى قام بها العلماء لبلوغ هذه الغاية. خاصة بعد أن نما علم الإحصاء وأصبح من الممكن استخدامه فى مختلف المجالات ومن بينها مجال الدراسات التى تدور حول الظاهرة الإجرامية. ويعتبر العالم البلجيكى « كيتليه » (Quetelet) صاحب أول محاولة فى العصر الحديث لتحديد معدل للإجرام وبيان نسبة ما ترتكبه الإناث من جرائم الى اجمالى ما يقع منها فى السنة، فقد لاحظ سنة ١٨٣٥م أن نسبة ما ترتكبه الإناث إلى ما يرتكبه من جرائم تبلغ ٢١ جريمة مقابل كل عشرة آلاف جريمة ترتكب كل عام.

كذلك حاول « جيرى » أن يحدد بالإضافة إلى أنماط الجرائم التى ترتكبها الإناث، نسبتهن إلى الذكور الذين يرتكبون نفس هذه الانماط من الجرائم، فتبين له انه فى جريمة قتل المواليد توجد امرأة واحدة مقابل سبعة رجال، وفى جرائم السرقة توجد امرأتان مقابل رجل واحد، أما فى جريمة الإجهاض فتوجد ثلاث نساء مقابل ثمانية رجال، بينما توجد أربع نساء مقابل خمسة رجال فى جرائم القتل مع سبق الإصرار والترصد، وتزيد النساء فى جرائم التزييف فيصل عددهن إلى خمسة مقابل أربعة رجال، فى حين يتساوى عدد النساء مع عدد الرجال فى جرائم الحريق العمد وهو ستة لكل منهما.

أما فى جرائم القتل العمد فتزيد النساء على الرجال زيادة ملحوظة إذ يصل عددهن إلى سبعة مقابل ثلاثة رجال، كذلك يزيد عددهن فى جرائم الآداب فيبلغ ثمانية نساء مقابل رجلين.

وقد استخدم « جيرى » للوصول إلى هذه النسبة طريقة مبتكرة رتب فيها تصنيفا حصر فيه الجرائم تبعا لتكرارها بالنسبة للرجال والنساء، ثم وضع نسبة تقريبية وقارن عدد النساء بعدد الرجال الفاعلين لجريمة معينة ووضع نسبة مطلقة تم المقارنة بينها وبين الأنواع المختلفة لجرائم النساء.

أما المحاولة الثالثة فكانت فى بداية القرن العشرين وبالتحديد سنة ١٩٠٢م وقام بها العالم الفرنسى « جرانييه » الذى لاحظ أنه بينما بلغ عدد الأشخاص

الذين ارتكبوا جرائم قدموا من أجلها إلى محاكم الجنايات ومحاكم الجنح ٢٠٩٠٧٥ شخصيا، فإن عدد الإناث بينهم لم يزد على ٣٧٣٠٥ انثى، أى نسبة الإناث المجرمات إلى إجمالى المجرمين لم تزد على ١٣٪ فقط وكانت النسبة فى الفترة الواقعة بين عامى ١٨٢٦م و ١٨٣٠م ٢٣٪ انخفضت الى ١٨٪ سنة ١٨٣٩م وهو ما جعل « جرانييه » لا يقتنع بالنتيجة التى استخلصها من البيانات الإحصائية المعلنة، ويلجأ الى طريقة أخرى لتحديد ما يعتقد أنه الحجم الحقيقى لجرائم الإناث مستعينا بتفاصيل أفقية وأخرى رأسية خاصة بكل نوع من الجرائم التى ترتكبها إناث ونوعها وكذلك الجرائم التى تتفوق نسبة مرتكباتها من الإناث على نسبة مرتكبيها من الذكور، فتبين أن **الاجهاض وقتل المواليد والسرقة** تزيد فيها نسبة الإناث على الذكور بدرجة أعلى من المتوسط بفارق كبير، فى حين أنهن يرتكبن جرائم **شهادة الزور والابتزاز والنصب وجرائم** الآداب بنسبة تفوق المتوسط بدرجة طفيفة، أما ارتكابهن لجرائم تزييف النقود والحريق والسرقة بواسطة ثقب الجدران أو التسور وخيانة الأمانة، والتشرد والتسول والاعتداء على الأشخاص، فإن نسبتهن فيها تقل عن المتوسط.

ومن الذين اهتموا بتحديد الحجم الحقيقى لجرائم النساء الدكتور مارشيه (Marchais) الذى تبين له أن المرأة، فضلا عما ترتكبه من جرائم معلومة، تلعب دورا فيما يسمى **بالجرائم الخفية يبلغ ١٠٪ من جرائم** السرقة، ومن خمسة إلى ٢٠٪ من جرائم القتل العمد، و١٠٪ من جرائم القتل مع سبق الإصرار والترصد و ٤٠٪ من جرائم الآداب.

وقد لاحظ « جاك ليوتيه » فى البحث الذى أجراه على ظاهرة قتل المواليد أن نسبة الجرائم الخفية تختلف من جريمة إلى أخرى من الجرائم التى ترتكبها الإناث، ففى جريمة قتل المواليد لا تزيد نسبة ما يصل منها إلى علم الشرطة على ٢٥٪ فقط،وقد يصل فى بعض الاحيان الى ٤٠٪ كما هو الحال فى فرنسا وهى نسبة مرتفعة إذا قورنت بمثيلاتها فى الجرائم الأخرى التى ترتكبها الإناث كالإجهاض والدعارة.

وهذا الارتفاع يرجع إلى طبيعة الجريمة ذاتها، فالمعروف أن قتل المواليد يحدث بعد فترة حمل طويلة معلومة لعدد كبير من الناس وينتج عنه وجود جثة

الوليد مما يؤدى إلى سهولة اكتشاف الجريمة وافتضاح أمر مرتكبيها، فى حين يختلف الأمر عن ذلك فى جريمة الإجهاض التى تتضاءل فرص الكشف عنها، وتنعدم هذه الفرص فى الجرائم الخفية بنسبة تفوق نسبة الذكور، نظرا لأنهن يفضلن أن يعهدن واحتياجات محكمة وبأساليب مختلفة وطرق متغيرة بحسب الظروف تجنبا لتدخل الشرطة.

ويتفق « مارشيه » مع « جرانييه » فى أن الإناث يشتركن فى الجرائم الخفية بنسبة تفوق نسبة الذكور؛ نظرا لأنهن يفضلن أن يعهدن بالتنفيذ إلى رجل ويبقين هن بعيدا حتى لا يقعن فى يد العدالة.

الاهتمام بالإحصاءات الجنائية

لم يلبث الاهتمام بالإحصاءات الخاصة بالجرائم إن امتد إلى العديد من الدول التى أخذت تجرى حصرا دوريا لمرتكبى الجرائم آخذة بعين الاعتبار المتغيرات المختلفة من جنس (ذكر - أنثى) ومن حالة زواجية وحالة تعليمية ونوع الجرائم وغير ذلك من البيانات التى أصبحت عنصرا ضروريا فى أى دراسة تجرى على الظاهرة الإجرامية، بل إن الإحصاءات تعددت فشملت المراحل المختلفة للواقعة الإجرامية ابتداء من مرحلة الكشف عن الجريمة وضبط المجرم ثم محاكمته وإدانته إلى آخر مرحلة وهى تنفيذ العقوبة، فأصبحت هناك إحصاءات خاصة بالجريمة تصدرها الشرطة وأخرى خاصة بالجريمة أيضا يصدرها القضاء (وزارة العدل) وثالثة تصدرها السجون، وتأتى فرنسا فى مقدمة الدول الأوربية التى أدخلت النظام الإحصائى فى أجهزتها الجنائية وكان ذلك فى سنة ١٨٢٥م، تليها إنجلترا التى أدخلته فى سنة ١٨٦٥م، أما مصر فقد أدخلت النظام الإحصائى إلى أجهزتها الجنائية ابتداء من الربع الأخير من القرن التاسع عشر عندما بدأت وزارة العدل تصدر إحصاء سنويا للجرائم التى عرضت على القضاء خلال العام المنصرم، ثم تلتها وزارة الداخلية فأصدرت بدورها إحصاء سنويا لما وقع من جرائم خلال العام المنصرم وكانت هذه الإحصاءات وتلك تبوب تبعا للبيانات المختلفة سواء تعلقت بالجريمة، من حيث وضعها، وظروف وأسباب ارتكابها، أو تعلقت بمن ارتكبها من حيث جنسه وسنه وسوابقه.

وتتضمن الإحصاءات القضائية بيانات أخرى مثل نتيجة التصرف فى القضايا ونوع الحكم الصادر علـى المتهم بارتكاب الجريمة، ثم صـدرت إحصاءات خـاصة بالسـجون تبين أنواع العـقـوبات المحكوم بها عـلى الواردين إلى السجـون وأنواع الجرائم التى ارتكبوها ومـآل الأحكام الصادرة عليهم وغيـر ذلك من البيانات. إلا أنه يلاحظ أن تلك الإحصاءات كـانت من أول عهدها تقتـصر على نوع واحد من الجرائم هو الجنايات.

أما إحـصاءات الجنح فلم يبدأ الاهتـمام بهـا إلا فى العقد الثـانى من القرن العشرين وكـانت قبل ذلك شبه منعدمة حـتى قامت إدارة الأمن العام بوضع نظام جديد جعل الإحـصاءات الجنائية تشتمل على الكثيـر من جرائم الجنح إلى جانب الجنايات، كما عنيت بوضع نماذج وجداول جـديدة مكنتها من الإشراف عن كثب على حالة الأمن وفرض رقابة دقيقة على أعمال الشرطة والإدارة فى مختلف أنحاء الدولة.

وقد تبين من الرجوع إلى إحصاءات السجون فى العقد الثالث من هذا القرن أن نسبة المسـجونات من النساء الى الرجال تبلغ حوالى ٤٪، وأن الجـزء الأكبر من جرائم النساء ترتكبه المتزوجات اللاتى بلغت نسبتهن إلى مجموع السجينات حوالى ٥٠٪ تليـهن الأرامل اللاتى بلغت نسبتهن ٢٥٪ تقـريبـا ثم الأبكار فالعـاهرات، كذلك تبين أن نسبة ما ترتكبه النساء من الجرائم الخطيرة لا يتجاوز ١٪ من إجمالى هذا النوع من الجرائـم يأتى فى مقدمـتها القـتل العمد فـجنايات التزوير، فـالعود الجنائى فالضرب المفضى إلى الموت فالحريق فالسرقات المعدودة من الجنايات.

واليوم وقد انقضى على أخذ فرنسا بنظام الإحصاءات الجنائية مائة وخمسون عاما انتشرت خلالها الإحـصاءات الجنائية فى معظم دول العالم وتعددت وتنوعت بحيث أصبح هناك العديد من المصادر الإحصـائية للجرائم فإن هذه المصادر تجمع، وفى كافة الدول تقـريبا على أن الجرائم التى ترتكبها الإناث تقل بدرجـة كبيرة عن الجرائم التى يرتكبها الذكور، كما أنها تختلف عنها فى النوع.

فى الولايات المتحدة يبلغ عدد الذين يقبض عليهم سنويا من مرتكبى الجرائم من الذكور عشرة أمثال من يقبض عليهن من الإناث، أما الذين أودعوا سجون الولايات والسجون الفيدرالية والإصلاحيات فقد بلغ عددهم عشرين مثل، اللاتى أودعن فيها من الإناث.

أما بالنسبة للمجرمين عموما وهم الذين ضبطوا وقدموا للقضاء، سواء منهم الذين أودعوا السجون والذين لم يودعوا، فإن نسبة النساء تبدو أكثر ارتفاعا، فقد بلغت سنة ١٩٣٧م (٥ر١٩٪) إلى إجمالى الجرائم التى ارتكبها الأحداث.

وفى بلجيكا بلغ عدد جرائم الذكور ٢٤٢ مثل عدد جرائم الإناث، أما فى فرنسا فقد تبين من الإحصاءات التى نشرتها الإدارة العقابية عن السنوات من ١٩٤٦م الى ١٩٥٨م أن نسبة الإناث إلى العدد الإجمالى لمرتكبى الجرائم المحكوم عليهم بعقوبة سالبة للحرية تتجه باستمرار نحو الانخفاض فبينما بلغت نسبتهن إلى إجمالى الذين ارتكبوا الجرائم سواء كانت جنايات أم جنحا ٩ر١٥٪ سنة ١٩٥٢م، وواصلت انخفاضها فوصلت الى ٧٪ سنة ١٩٥٦م، وبلغت أشد انخفاض لها سنة ١٩٥٨م حيث سجلت ٣٪ من إجمالى المجرمين الذين عهد بهم إلى الإدارة العقابية.

والملاحظ أن انخفاض نسبة الإناث المجرمات فى فرنسا فى الفترة المشار إليها، اقترن بانخفاض مماثل فى عدد المجرمين الذين سجلتهم الإدارة العقابية، فبينما كان عددهم ٣٢٨٥٤ فردا سنة ١٩٤٦م انخفض الى ٢٣٣٣١ فردا سنة ١٩٥٨م يشملون ٥٧٤١ فردا من غير الفرنسيين الذين إذا استبعدناهم فان نسبة الإناث ترتفع من ٣٪ الى ٦ر٦٪.

أما السويد فإن الإحصاءات الخاصة بالجرائم التى ارتكب فيها فى الفترة بين سنة ١٩٦٥م، وسنة ١٩٦٧م تبين أن النساء لا يمثلن أكثر من ٥ر١٪ من جملة الأشخاص المحكوم بوقف التنفيذ، وأقل من ٣٪ من مرتكبى جرائم السكر.

وفى الدانمرك بلغت نسبة النساء المجرمات إلى إجمالى المجرمين ١٤٪.

وفى سيريلانكا (سيلان) بلغت نسبة الإناث اللاتى طبق عليهن نظام الاختبار القضائى ٢٪ إلى إجمالى الذين طبق عليهم هذا النظام فى الفترة من عام ١٩٤٦ إلى عام ١٩٥٦م.

أما بالنسبة للدول العربية التى توافرت لدينا إحصاءات بشأنها فقد تبين أن المرأة فى الجزائر ترتكب جريمة واحدة مقابل كل ٢٧٤٤ جريمة يرتكبها الرجل، وهى نفس النسبة تقريبا فى كل من المغرب وتونس.

وفى مصر بلغت نسبة الجرائم التى ترتكبها إناث ٥٪ إلى إجمالى الجرائم التى ترتكب سنويا، وتنخفض هذه النسبة فى الجنايات فلا تزيد فى اغلب الأحوال على ٤٪، وإن كانت ترتفع فى الجنح فتصل الى ٦٪ وهى نسبة مماثلة للنسبة التى كانت عليها جرائم المرأة فى بداية هذا القرن، وهى رغم انخفاضها الملحوظ إلا أنها مع ذلك تبدو مرتفعة إذا قورنت بمثيلاتها فى السويد أو فرنسا أو فى الولايات المتحدة الأمريكية حيث يختلف وضع المرأة فى هذه المجتمعات عنه فى المجتمع المصري[1].

لذلك يجب التزام الحذر عند محاولة تحديد حجم الجرائم التى تركبها الإناث وأنواعها حتى لا تضللنا الأرقام، وتوقعنا فى أخطاء خطيرة بما توحى به إلينا من نتائج أبعد ما تكون عن الصحة،فتقول فى بساطة إن نسبة جرائم النساء فى مصر مثلا مماثلة لنسبة جرائم المرأة فى فرنسا، دون أن نحاول تحديد أنماط الجرائم التى ترتكبها المرأة فى كلتا الدولتين وصور التجريم فى قوانين العقوبات فيها. فمن المعروف أن فرنسا مثلها فى ذلك مثل كل الدول الأوروبية لا تحرم البغاء بينما تحرمه مصر والدول الإسلامية، كذلك لا تحرم معظم الدول الأوربية الإجهاض بينما تحرمه مصر، فضلا عن الزنا الذى لا يعتبره عدد كبير من الدول الأوربية جريمة يعاقب عليها، ومن المعروف أن هذه الجرائم الثلاث تمثل نسبة كبيرة من الجرائم التى ترتكبها الإناث فى مصر (حوالى ٣٥٪ من إجمالى جرائمهن) مما يجعل إضافتها إلى رصيدهن من الإحصاءات الجنائية المصرية واستبعادها فى الوقت نفسه من الإحصاءات الجنائيه الفرنسية عاملا مخلا بسلامة المقارنة بين النسبتين، وهو ما

(١) انظر أحمد المجدوب، **المرأة والجريمة**، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦، ص ١٨ : ٢٤.

أشار إليه عدد من علماء الجريمة الفرنسيين مثل وليفاسير وليوتيه، الذين قالوا إنه لو أضفنا إلى جرائم النساء نشاطهن فى مجال البغاء وغيره من المخالفات الاخلاقية لارتفعت به جرائمهن بدرجة ملحوظة بحيث لا تقل عن ١٥٪ من إجمالى الجرائم التى ترتكب سنويا [١].

العوامل التى تؤثر فى تحديد حجم جرائم النساء

الواقع أن تحديد حجم الجرائم التى ترتكبها النساء يجب أن تراعى فيه أمور عديدة وعوامل مختلفة من شأنها التأثير فى هذا الحجم بدرجة ملحوظة، ومن هذه الأمور :

١ - دراسة نصوص قانون العقوبات فى الدول التى يراد تحديد حجم إجرام النساء فيها :

فمن الأهمية بمكان عند محاولة إجراء حصر دقيق لجرائم المرأة التى تدرس قانون العقوبات لا فى اللحظة التى تجرى فيها الدراسة فحسب بل وفى السابق أيضا، فقد تبين أن التغييرات التى يتعرض لها هذا القانون يترتب عليها ارتفاع أو انخفاض عدد الجرائم التى ترتكب بصفة عامة والتى ترتكبها المرأة بصفةخاصة. فتجريم أفعال جديدة يؤدى بدون شك إلى زيادة الجرائم التى ترتكبها المرأة فى حين أن إخراج بعض الأفعال التى كان المشرع يحرمها يؤدى الى نتيجة عكسية أى إلى انخفاض عددالجرائم التى ترتكبها، وهو ما يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار عند دراسة التطور الذى طرأ على إجرام المرأة سواء من الناحية الكمية أو من ناحية النوع، من ذلك مثلا ما لجأ إليه المشرع فى بعض الدول من إخراج بعض الأفعال المباحة، مثال ذلك إجهاض المرأة لنفسها أو قبولها إجهاض الغير لها اللذين أخرجهما المشرع فى غالبية الدول الأوروبية من قانون العقوبات فى بعض الأحوال الصحية، كتلك التى يخشى فيها من الحمل على صحة وسلامة المرأة الحامل، والأحوال الاجتماعية، كتلك التى تعجز فيها الأسرة عن إعالة أكثر من عدد معين من الأبناء، أو الحالة التى يكون الحمل فيها قد تم بدون أن تكون هناك رابطة زوجية وغير ذلك من الأحوال.

---

(١) Leaute. Jacques. Recherches sur L'infanticide, Paris Librairie, Daloz,1968.

ففى الدانمراك يجيز القانون الصادر سنة ١٩٧٠م للمرأة أن تقرر عدم استمرار حملها بدون الحصول على إذن خاص، اذا كانت قد بلغت الثامنة والثلاثين من عمرها ولم تتجاوز مدة الحمل اثنى عشر أسبوعا.

كذلك يمكن للمرأة أن تجرى عملية الإجهاض إذا كانت قد أنجبت أربعة أطفال لا يزالون على قيد الحياة ودون الثامنة عشرة، وفى غير ذلك من الحالات يجب أن تحصل على ترخيص من المجلس الخاص المكون من طبيبين وممثل من جمعية رعاية الأمومة.

وتعتبر يوغسلافيا من أوائل الدول التى أخرجت الإجهاض من دائرة التجريم بعد الحرب العالمية الثانية، مما أدى إلى حدوث انخفاض ملحوظ فى عدد الجرائم التى ترتكبها المرأة خاصة، وأن تجريم الإجهاض أصبح قاصرا على الحالة التى يجهض فيها الغير المرأة الحامل بدون رضاها وغالبا ما يكون هذا الغير ذكرا.

وتتجه غالبية الولايات المتحدة الأمريكية إلى إباحة الإجهاض وآخر هذه الولايات كانت ولاية نيواورليانز التى قررت محكمتها العليا فى شهر سبتمبر سنة ١٩٧٥ أن يصبح من حق الإناث إجهاض أنفسهن دون موافقة الزوج أو الوالدين لغير المتزوجة، نظرا لأن الإجهاض كان لا يتم إلا بموافقة هؤلاء.

كذلك فإن استعمال موانع الحمل كوسيلة لتحديد النسل كان يعد جريمة فى بعض الدول فى الفترة بين الحربين العالميتين، بل إن الإعلان عن هذه الموانع كان ممنوعا أيضا، ومن هذه الدول، المجر التى أصدر المجلس الصحى الوطنى فيها رأيا يقضى بأن نسبة كبيرة من طرق تحديد النسل مضرة بالصحة ويحتمل أن تقوض أخلاقيات الشعب، ولهذا فقد أصبح محظورا أن يعرض للبيع أى جهاز أو مادة كيميائية تمنع الإخصاب عن طريق إدخالها فى الرحم، أو بتغطية فتحة العنق، مما كان يترتب عليه اعتبار المرأة التى تستعمل هذه الوسائل مخالفة للحظر الذى قررته الدولة.

وقد أصبح هذا الحظر أقل تشددا عقب الحرب العالمية الثانية حينما أصبح فى الإمكان صرف قلنسوة عنق الرحم والصوفة المهبلية بناء على أمر الطبيب، ثم ألغى ذلك الحظر فى نهاية سنة ١٩٥٣م.

كـذلك ما لجـأت إليـه بعض الدول من إخراج الخـيـانة الزوجيـة من دائرة التجريم واعـتبارها مجرد إخـلال بالتزام تعاقدى بين الزوجين، يتـرتب عليه فسخ العقد بناء على طلب الطرف الذى أخلت الخيانة بحقوقة، وإمكانية تعويضه إذا كان قد أصابه ضرر نتيجة ما حدث.

وفى مـصر لم يكـن المشرع حـتى سنة ١٩٣٣م يعـاقب النسـاء المتسـولات والمتشردات اللاتى كـن معفيات من أحكام القـانون رقم ٢٤ لسنة ١٩٣٣م الخاص بالتسول والتشرد، وقد أدى هذا الإعفاء إلى انتشار هذا النوع من النشاط الاجرامى بين النساء، وخـاصة أن الرجال وجدوا فـيهن ضالتهم المنشـودة فاستتـروا خلفهن لممـارسة هذا النشـاط. كذلك فـإن الكثـيرات منهن لجـأن إلى التسـول والتشـرد للحصـول على المال، بعد أن وجـدن أن القانون لا يعـاقبـهن، فلما صـدر قانون التـسول فى ٢٤ يونيـة سنة ١٩٤٣م، الذى سوى بين الرجـال والنسـاء، زاد عدد النساء المجرمات وارتفعت نسبتهن إلى إجمالى المجرمين.

كذلك لم يكن **البغاء** يعاقب عـليه فى **قانون العقـوبات المصرى** حيث كان يصرح رسميـا لبعض النساء بممارسته، وكانت هناك بيـوت تدار لهذا الغرض يباح للرجال التـردد عليها لـقضاء الوقت مع البـغايا اللاتى كانت الشـرطة والسلطات الصحـية تفـرض عليهن إجـراء الكشف الدورى فى فتـرات محددة، حـتى يمكن اكتشـاف ما يكون قد أصابهن من أمـراض تناسلية والحيلولة دون انتقـالها إلى من يتعامل معهن من الرجال.

وقد حاولت الحكومة علاج هذه المشكلة فقامت سنة ١٩٣١م بإجراء استفتاء عام لمختلف طبقات الشعب فى ما إذا كـان الأنسب إلغاء البغاء الرسمى إلغاء تاما أو الاكتفـاء بحصره ضمن قيود ضـيقة، **وقد أسفـر الاستفتـاء عن ظهور اتجاهين أحدهما يؤيد الإلغـاء والآخر يعارضه،** ولكل اتجاه مبرراته وحـججه فالذين يرون الإلغاء كـانت حجـتهم أنه لا يليق بدولة تدين بالإسـلام الذى يحرم الزنا والبـغاء وكافة الفواحش، أن تصرح بممارسة البغاء وترضى به مخالفة بذلك الواجب الملقى على عاتقها والتـزامها الثابت بمحاربة الجرائم وملاحـقة المجرمين ودعوة الناس إلى

الفضائل والابتـعاد بهم عن الرذائل وزجر من تسول له نفســه الإتيان بها وردع من يرتكبها.

أما الذين رأوا الإبقاء على البغاء الرسمى فقد اعترفوا أنه شر ولكن لابد منه لأن إلغاءه من شأنه ان يؤدى إلى ازدياد الفساد وانتشار البغاء السرى وما يتبع ذلك حتما من تفشى الأمراض التناسلية بسـبب انعدام وسائل الرقابة الصحية التى تكفل وقف تيارها وكف أذاها وشرورها عن المجتمع والنسل.

وقد انتهى الأمـر بالحكومة إلى الأخذ بوجهة النظر الأولى فـأصدرت الأمر العـسكرى رقم ٧٦ سنه ١٩٤٩م بإلغاء بيـوت الدعارة وتحـريم البغـاء، ومن ذلك الوقت والإحصاءات الخاصة بجرائم النساء تتضمن عددا متزايدا من جرائم البغاء، ولكن مما تجدر ملاحـظته أن تلك الإحصاءات لم تكن تخلو أبدا من أرقـام خاصة بجرائم البغاء التى ترتكبها النساء فقد تبين من مراجعة إحصاءات السجون عن سنة ١٩٣٩م أن عدد المسجونات من البغـايا بلغ ١٣٨٨ امرأة، بالرغم من وجود البغاء الرسمى. وربما يكون إيداعهن السجن نتيجة مـخالفتهن لنظام البغاء الرسمي، بأن مارسنه خـارج المناطق المحددة لهن أو عـدم ترددهن بانتظام على مكاتب الصـحة لإجراء الكشف الطبى عليهن، أو احترافهن للبغاء بدون تصريح بذلك.

٢- دراسة أثر الدين فى سلوك الأفراد

وهى دراسـة لابد منها نظرا لأن إجـرام النساء لا ينفـصل من وجهـة النظر السوسيولوجـية عن المكانة التى تمنحها لها النظم المختلـفة وأهمها الدين، من ذلك على سـبيل المثـال : ما تفرضـه الظروف الداخليـة للمرأة فى بعض المجـتمـعات الإسلاميـة من زواج البنات فى سن صغيـرة، والحد من اختلاط النسـاء بالرجال، وفرض زى معين لا يسمح بـظهور مفاتن المرأة، وهى أمور يعتبـرها معظم مفكرو وعلمـاء الغرب من مظاهـر تخلف المرأة بينمـا يعتـبرها بعض المـهتـمين بالظاهرة الإجرامية من العوامل التى تحول دون ارتفاع معدل الجرائم بين النساء.

كذلك قد يكون للدين تأثير مباشر فى تحـديد الحجم الحقيقى للجرائم بصفة عامة ولجرائم النسـاء بصفة خاصة، مما يجعل الإحصـاءات مضللة، مثال ذلك أن الدول التى يعتبر الانتحار فيها أمـرا مخزيا كالدول الكاثوليكية تبذل الجهود لإدراج

مثل هذه الحالات فى باب الحوادث ومن ثم تأتى الإحصاءات الخاصة بالانتحار غير ممثلة للحقيقة.

٣- دراسة القيم الاجتماعية السائدة فى المجتمع

مما لاشك فيه أن للقيم الاجتماعية دورا أساسيا فى اعتبار السلوك سويا أو منحرفا، وهذا الدور يختلف من مجتمع إلى آخر، فما يعتبر سلوكا منحرفا فى مجتمع قد لا يعتبر كذلك فى مجتمع آخر.

وفى العصر الحاضر فإن الأخلاق الجنسية تختلف من شعب إلى آخر ففى بعض الدول الإسكندينافية كالسويد، لا يعتبر الحمل من سفاح جريمة أو حتى مجرد سلوك اجتماعى جدير باللوم والمؤاخذة، ومن ثم فإن الإناث اللاتى يحملن سفاحا لا يجدن مبررا لإجهاض أنفسهن أو لقتل الوليد الذى يلدنه، لأن الدولة تتكفل به وتربيه،وينعكس هذا الوضع على حجم ما ترتكبه الإناث هناك من جرائم ينخفض عددها بشكل ملحوظ وبالذات جرائم الإجهاض وقتل المواليد، ويبدو هذا واضحا إذا قورنت نسبة الجرائم من هذين النوعين التى ترتكب فى السويد والنرويج مع نسبة ما يرتكب منها فى دولةأوروبية كفرنسا التى بلغ عدد ما وقع فيها من جرائم قتل المواليد فى الفترة من ١٩٤٦م الى ١٩٥٣م، ٦٨٦ جريمة (طبقا للإحصاءات الرسمية) ففى حين لم يزد ما وقع من هذه الجرائم فى بلجيكا فى نفس الفترة على ٢٨ جريمة وفى الدانمارك على ٦٢ جريمة وفى هولندا على ٢٣ جريمة وفى سويسرا على ٥٧ جريمة وكلها دول تبيح الإجهاض.

ولذلك اشتدت الدعوة إلى إباحة الإجهاض بعد ان تبين أن هناك آلاف النساء اللاتى يجهضن أنفسهن كل عام سواء داخل فرنسا نفسها، أو خارجها، حيث تنظم رحلات يومية بين فرنسا والدول المجاورة التى تبيح الإجهاض تشترك فيها الراغبات فى إجراء عمليات إجهاض على الرغم من أن عدد حالات الإجهاض التى تجرى فى فرنسا كل عام مرتفع بشكل ملحوظ، فقد بلغ عدد ما أجرى منها سنة ١٩٣٣م نصف مليون حالة، ارتفعت سنة ١٩٣٨م إلى مليون حالة، ولكنها انخفضت سنة ١٩٤١م الى ٨٠٠ ألف حالة، وقد لوحظ أن عدد حالات الإجهاض يكاد يعادل المواليد.

وفى كندا اشتـدت نفس الدعوة بعد أن سجلت المستشفيات والـعيادات فى عام ١٩٧٣م ٤٠ ألف حالة إجهاض ارتفعت عام ١٩٧٤م الى ٦٠ ألف حالة.

وتشتد أهمية دراسـة القيم الاجتماعية فى الأحوال التى تتـشابه فيها الظاهرة الإجراميـة مع مثيلتها فـى مجتمع آخر فـيتعين التعرف على القـيم السائدة فى كل مجتمع لمعـرفة طبيعة العلاقة بينها وبين تلك الظاهرة، وهل هى عـلاقة ايجابية أم سلبية ؟ مثـال ذلك ظاهرة الشذوذ الجنسى التى توجد فى مجتمع متـقدم كالمجتمع الإنجليزى وكثير من المجـتمعات الأوروبية، وتوجد كذلك فى المجتـمعات البدائية المتخلفـة بالرغم من الاختلاف الواضح بين النوعين من المجـتمعات وبالذات فـيما يتعلق بوضع المرأة، وعلاقتها بالرجل، لذلـك يتعذر التعرف على العوامل الكامنة وراء الظاهرة بدون دراسة القيم الاجتماعية السائدة فى المجتمعين.

ومما لاشك فيه أن تجريم هذه الظاهـرة فى مجتمع وإباحتها فى مـجتمع آخر كالمجتمع الإنجليزي، يترتب عليه تفاوت ملموس فى معدل الجريمة فى كل مجتمع منهما.

ومع ذلك فإن إجرام المرأة يظل، حتى بعد مـراعاة هذه الأمور أقل كثيرا من إجرام الرجل فى كل المجـتمعـات لا لشىء إلا لأن ما يعـول عليه فى تحديد نسـبة جرائم الإناث إلى نسبة جرائم الذكور هو الإحصـاءات الرسمية، مع كل ما تحتمله من مآخذ ويوجه إليـها من نقد لا يعوزه الدليل ولا يفتقـر إلى السند. فبالرغم من كل ما تردد عن قصور الإحصاءات الجنائية عن إعطاء دلالات محددة نظرا للأهمية القليلة للتحليلات التى تستند الى وجود اختلافات فى نسب الجريمة، حيث إن هذه الاختـلافات ليست سوى مـجرد فروق فى إجراءات تسـجيل الجرائم، أكثـر منها اختلافات حقـيقة تتعلق بالجرائم ذاتها، إلا أن دراسة العـلاقة بين معدلات الجريمة والاختلاف فى التنظيم الاجتماعى من ناحية والاختلافات فى الثقافة والحضارة من ناحية أخرى؛ وإجراء عملية مقارنة للمجتمعات والجماعات ذات المعدلات المختلفة فى الجريمة من حيث بعض السمات الاجتماعـية العديدة لا يزال له قيمته، وخاصة من حيث الـتباين فى الحـراك الاجتـماعى والصراع الـثقافى الحـضارى والمنافـسة

والطبقات الاجتماعية وتركيب السكان وكثافتهم وتوزيع ثرواتهم والدخل والعمالة والمذاهب الاقتصادية والسياسية والدينية [١].

ثالثاً : النوعية الخاصة لجرائم النساء

إن نوعية الجرائم التى يمكن أن نطلق عليها جرائم النساء هى تلك الجرائم المتميزة التى تختص بها المرأة، أو هى ذلك النوع من الجرائم الذى يزداد ارتكابه من قبل النساء أو هى بمعنى آخر «جرائمهن الرئيسية». كما يمكن أيضا أن نطلق عليها جرائمهن الشائعة أو «جرائمهن الغالبة» [٢].

وتتفق ملاحظات معظم المتخصصين على أن النساء المجرمات يستخدمن الخداع والمكر فى ارتكاب الجرائم أكثر مما يستخدمه الرجال[٣].

فيرى «بيرس سميث» أنه على الرغم من أن النساء يلعبن دورا ثانويا فى جرائم النصب والاحتيال، مقارنة بالدور الرئيسى الذى يلعبه الرجال إلا أنهن يستخدمن الدهاء والحيلة ويؤدين دورا فى هذه الجرائم يتم فى صورتين، إحداهما إغراء الرجل واجتذابه إليهن حتى يجد نفسه منغمسا معهن فى وضع مخل بالشرف، وتبلغ الخطة ذروتها حين يباغت المرأة شريكها ويراه متلبسا معها، وهو قد ينتحل صفة زوجها أو أخيها، ويهدده بالانتقام منه أو التشهير به، فيجد الضحية نفسه مضطرا إلى الرضوخ لكل طلباته وهى لا تخرج عادة عن تعويض مالى كبير يتناسب مع ثرائه وغناه.

أما الصورة الثانية فهى التى تقوم فيها المرأة بتمثيل دور الزوجة المهذبة، أو الأخت الرقيقة اللطيفة التى تقتصر مهمتها على إضفاء جو من الثقة على الموقف الذى يتم فيه الاحتيال على المجنى عليه، بحيث يبدو له كما له كان صحيحا واختفاء مسحة من الاحترام على الواقعة الملفقة التى اختلقها شريكهن[٤]

---

(١) انظر أحمد المجدوب، المصدر السابق، ص ٢٥ : ٣٣.

(٢) انظر Barnes, A.E. and Tecters, N.K., **New Horizons in Criminology** N.Y. Printice-Hall Inc., 1944 P.572.

(٣) انظر بولاك، المصدر السابق، ص ٤٣.

(٤) Smith, Percy., Plutocrates of Crime, Fredrick Maller Limited London.

ويرى كثير من المتخصصين، والمتخصصات فى علم الإجرام، أن النساء المجرمات يظهرن خداعا أكثر مما يظهر الرجال المجرمون والسبب وراء هذا القدر العظيم من المخادعة يمكن أن نجده فى الأخلاق، والخصائص الجنسية، الذى يمليه خفاء سلوك النساء والاختلافات الجسمية الطبيعية والنفسية بين الرجل والمرأة.

وهناك بعض المهتمين بالظاهرة الإجرامية وعلاقتها بالمرأة، ممن يذهبون إلى أن القتل بالسم هو الأسلوب الرئيسى للقتل الذى تستخدمه النساء، وأن الشكل الظاهر للتسميم هو استخدام الزرنيخ يليه السيانيد ثم بكلوريد الزئبق. وباعتبارها مشترية وربة بيت فإن المرأة يمكنها أن تشترى المبيدات الحشرية وسم الفئران، واثناء قيامها بإعداد الطعام أو بالتمريض يسهل عليها أن تقدم السم.

ان جرائم القتل التى ترتكبها النساء، يمكن أن تدرج فى عداد الجرائم الخفية، وهو ما يتفق مع الطبيعة المقنعة لجرائمهن كما ذكرنا من قبل.

وفى الماضى القريب كان عدد من الأطفال الصغار الذين يوضعون تحت رعاية النساء يتعرضون للقتل نتيجة للإهمال الإجرامي، والتجويع دون أن يكون اكتشاف ذلك ممكنا.

وهناك عدد اخر من الاطفال الذين ماتوا بطريقة غامضة وهم فى رعاية النساء اللاتى يطلق عليهن وصف مربيات الأطفال، أوالنساء اللاتى أنجبن دون زواج وكان هذا يحدث قبل أن يتخذ المجتمع الحديث إجراءات ضد مثل هذه الأفعال.

ويعد قتل المواليد نوعا آخر من إجرام النساء ولكن يبدو مع الزيادة المطردة فى أساليب تنظيم الأسرة، أن هذا النوع من جرائم النساء فى طريقه إلى الاختفاء من المجتمعات الحديثة.

وقد كان قتل المواليد، من الناحية العملية هو الطريقة الوحيدة التى تلجأ إليها الفتيات غير المتزوجات والنساء لإخفاء تورطهن وتجنبا لنبذ المجتمع لهن.

ومن جرائم الاعتداء الخطيرة نوع خاص ترتكبه المرأة، وهو إلقاؤها ماء النار على وجه الضحية وهو فى كل الأحوال المحب الخائن وقد لاحظ «بولاك» أن هذه الجريمة بالذات ترتفع نسبة غير المكتشف منها.

كذلك تلجأ المرأة الى اختلاق اعتداءات زائفة ذات طبـيعة جنسية فتدعى أنها اختطفت أو تشكو من أنها كانت قد هوجمت فى حين أنها كانت متفاهمة وراضية بالاعتداء عليها.

وعلى العكس من الفكرة الشائعة عن الاغتصـاب وما يقترن به من قسوة أو عنف تضطر الأنثى معه إلى الاستسلام لمن يغتصبها، تبين أن نسبة ضئيلة للغاية من جرائم الاغتـصاب هى التى تمت بهذه الصورة، أما أغلب جرائم الاغـتصاب التى قدمت للقضاء فقـد كان للمجنى عليهن فيها دور فيـما حدث، كأن تكذب البنت بشأن عمـرها الحقيقى بينما هى لا تزال قاصـرا وذلك حتى تحول دون تردد الرجل فى ممارسة الجنس معـها، وفى نسبة كبيرة من الحـالات كانت نسب المجنى عليهن هن اللاتى أوقعن بالرجـال فى العلاقة الجنسـية، وفى غير حـالات أخرى تبين أن الأنثى هى التى أغـرت الرجل، فبعض القـضايا اتضح أن الأنثى لجـأت إلى اتهام الرجل باغتصابها بعد أن أعرض عنها أو هجرها.

وقد كشف «سذرلاند» (Sutherland) التناقضات العديدة بين الرقم الخاص بمن قبض عليهم بتهمة ارتكاب جرائم الاغـتصاب بالإكراه وهو رقم كبير، والرقم الخاص بمن حكم عليهم بالفعل لارتكابهم هذه الجريمة فى ولاية نيويورك وهو رقم صـغيـر. فـقد تبين أن ١٨٪ مـن العدد الإجـمـالى لمن اتهمـوا بارتكاب جـرائم الاغتصاب خلال الفترة من ١٩٣٠م الى ١٩٣٩م[١]. فى ولاية نيويورك هم الذين حكم عليهم بالفعل..

وهناك جرائم جنسية ترتكبها الإناث البـالغات ويكون المجنى عليهم فيها من الفتية الصغار الذين لا يبلغون بطبيـعة الحال عن هذه الأفعال وإنما يستمرئونها، فى حين أنه إذا ارتكب هذه الأفـعال رجل مع صـبى فـإنه يبادر إلى الإبلاغ عنهـا مما يجعل نسبة كبيرة من هذه الجرائم معلومة.

وهناك أفعال جنسية أخرى يمكن أن تمارسها الإناث مستترات خلف صور من السلوك العادي، من ذلك أفعـال العناق والمعابثة الجنسية المستتـرة التى يكون طرفها الآخر صبى صغير أو فتى فى مستهل مرحلة البلوغ.

---

(١) انظر Sutherland and Cressey, Principles of Crimonology, Sixth Edition, The Times of India Press, Bombay,1968.

وفيمـا يتعلق بجرائم السطو والسـرقة، فإنه على الرغم من اعتـبارها جرائم ذكرية، لكن الواقع الذى كشـفت عنه بعض القضايا هو أن النساء يتـدخلن أحيانا فى ارتكابها سواء بالتحريض عليهـا أو بالمساندة فى ارتكابها، كأن تقدم المعلومات الضروريـة عن المجنى عليه أو عن المكان الذى سـترتكب فـيه الجريمـة أو أن تقوم بالمراقبة أثناء التنفـيذ أو أن تضلل رجال الشرطة حتى لا يتـمكنوا من القبض على الجناة، ومهمـا يكن فإن الأدوار الاجتمـاعية العديدة للمـرأة تقدم لها فرصـا غير عادية للسـرقة وتمنحهـا حصانة كـبيرة ضـد القبض والمحاكـمة فالنسـاء النشالات يستفدن من قيمة ثابتة لا تزال باقية هى أنهن إناث.

والبغى كثيـرا ما تكون سارقة، ولكن لكونها داخلة فى عـلاقة مع ضحاياها باعتـبارها بغى فـإنهم يمتنعون عن التبـليغ عنها، وأحيـانا ما تكون البـغى شريكة للص، عندئذ فإنها تستخدم البغاء لمجرد الخداع والإيقاع بضحيتها.

ومن الملاحظ أن عدد جرائم السرقة من المتاجر الكبرى قد زاد مع زيادة عدد هذا النوع من المتاجر، والتوسع فى طريقة حصـول المشترين على السلع بأنفسهم، حتى انغـمس فى عملية السرقـة من المتاجر الكبرى النـساء المحترفات والـسارقات المحتـرفات والمصابات بجنون السـرقة، ولعل سرقـة النساء من المتاجـر تعد الدليل الواضح على مـدى افتـقار الإحصـاءات الجنائية إلـى الدقة، وعدم تـعبيـرها عن الواقع، فمن المعروف أن آلاف النساء يرتكبن جرائم سرقة من المحلات الكبرى كل عام، ولـكن القليل منها هو الذى يـكشف عنه وبعضـها يتم التـصالح بشـأنه إذا انكشف أمره، والبعض الثالث وهو قليل جدا يصل إلى علم الشرطة.

كذلك فـإنه من الأمور المعروفـة جيدا أن الخـادمات يرتكبن سرقـات بإعداد كبيرة سواء من مخدومهن أو من الغير، وقد فسر « لمبروزو » ذلك بأن الدور الذى تقوم به الخـادمة يعرضهـا لإغراء شديد فـترتكب السرقـة، ولكن نظرا لأن معظم السرقات التى يرتكبها الخدم تقع على أشياء قليلة القيمة كالمأكولات والملابس فإنها لا تبلغ إلى الشرطة بسبب تسامح المخدومين فيها.

أما جرائم النسـاء فى مجال الابتزاز، فـمعظمها لا تظهـر فى الإحصاءات، ومن أقدم الخدع فى هذا المجال « لعـبة الزوج » التى يجد الضحية نفسـه فيها فى

موقف مـخل بالشرف يفاجأ فـيه بالزوج المزعوم للمـرأة التى معه، والذى يتهـمه بالاعتـداء على شرفه. وهناك أيضـا صور عديدة أخـرى للخداع والغش ترتكبـها النسـاء غالبـا، مثل قـيـام الخادمـات بمضاعـفة الثـمن الذى اشـترين به طلبـات مخدومـهن، واحتراف النساء للدجل والشعوذة والـتنبؤ بالغيب ومعرفة المسـتقبل، وذلك من أجل الحصول على المال من السذج، وحسنى النية من الناس، كذلك قد تغرى المرأة رجـلا ليقـدم لها مالا وخـدمة ثم تهـرب منه، كما أنهـا بأفعـال مثل الغواية، غالبا ما تشترك المرأة فى عمليات النصب التى يرتكبها الرجال.

ويرى فريق من المتخصصين فى علم الإجـرام أن الإجهاض هو أكثر الجرائم التى ترتكبها الإناث مـن حيث عدم الظهور فى الإحصـاءات ومن حيث الوقوع. والتقديرات بالنسبة لهذا النوع من الجرائم تجاوزت المائتى ألف جريمة إجهاض سنويا فى الولايات المتحدة، والموقف أسـوأ من ذلك فى فرنسا مما يجعل مـعدل الجرائم التى ترتكبها الإناث، حين نضيف إليه ما يقع من جرائم الإجهاض وحدها، شديد الانخفاض بدرجـة ملحوظة كما تبين لـ « بولاك » من الإحصـاءات الخاصة بولاية نيويورك.

فإذا ما صححنا معدل جرائم النسـاء أكثر من ذلك بإضافة جرائم السرقة من المتـاجر التى ترتكبـهـا النساء ولا تكتـشفُ، فـإن معـدل إجرام الذكـور يجب أن ينخفض حتى لو أخـذنا فى الحسبان المشكلة العامة بعـدم الكشف عن مثل جرائم ذوى الياقات البيضاء، التى ترتفع نسبة ما لا يبلغ منها إلى السلطات فإن « بولاك » يؤكد ان انخفاض جرائم النساء ليس سوى أسطورة.

وقد بحث « بولاك » مسألـة وجود نوعية معينة، أو أنماط شبـه ثابتة لجرائم النساء، فتبين له أن جـرائم النساء تقع غالبا فى مخالفة الاخـلاق الجنسية، اما فى نطاق الجرائم ضـد الأشخاص والجرائـم ضد الأموال، فإن أنماط الإجـرام الأنثوى ليس واضحا بصورة كافية.

ويوجه « بولاك » الاهتمام إلى حقيقة أن النساء يكن على علاقة بضحاياهن فى هذا النوع من الجرائم مثل الأبناء والأزواج والعشاق مما يحول دون الكشف عن جرائمهن من هذا النوع.

أمـا عند دراسـة البيـانات المتـاحـة عن الحالـة الزواجيـة للذكـور والإناث «للمجرمين المسجـونين» فقد ظهر أن نسبة الإناث المتزوجات أكـبر من نسبة الاناث غيـر المتزوجات وهو وضع مخـالف لما هو عليه وضع الذكور الذين تبين أن نسـبة كبيرة منهم ليسوا متزوجين.

وبالنظر إلى العـوامل البـيولوجـية ودورها فـى الجريمة تبين بولاك ان القـوة البدنية لم يعد لها أهمية فيما يتعلق بارتكاب النساء للجرائم التى يرتكبها الرجال، فقد ظهر بطلان تلك النظرية التى كـانت تزعم أن الضعف البدنى للنساء يؤدى إلى ارتكابهن جرائم معينة ويحولهن عن جرائم أخرى.

وقد ركـز بعض الدارسين على النضج الجسمـانى المبكر للبنات عند تفسـير جرائمهن الجنسية، ويعارض « بولاك » ما قيل أن حدة الدافع الجنسى لدى الذكور عما هو لدى البنات يؤدى إلى ارتفـاع نسبة الجرائم الجنسيـة التى يرتكبونها، ويرى أن العكس هو الصـحيح، لأن النضج المبـكر للبنات بما يصاحـبه من حـدة الدافع الجنسى لديهن هو الذى يسبب هذا الاختـلاف فى نسبة الجناح بين الذكور والإناث فقـد تبين أن التهـيج الحسى يبـدأ عند الأنثى قبل البلوغ ويمضى فى النـمو باطراد خلال فتـرة المراهقة ولبضع سنوات بعـدها، ولكن بلوغ ذروة اللذة لا يبلغ أقصى نموه إلا فى حوالى الخامسة والعشرين [1].

ويعد من الخطـأ الربط بين التهيج الحـسى وبلوغ ذروة اللذة للحكم بقـابلية الانثى للدخول فى علاقة جنسية من نوع ما،لأن مثل هذا الربط من شأنه أن يؤدى إلى القول بأن الأنثى لا تمارس أى عـلاقة جنسيـة قبل بلوغ تلك السن. وفى هذا خطأ كـبيـر لأنه قـد تبين مما كـشف عنـه بحث « كنزى » (Kinsey) أن نسبة كبيرة من الإناث مارسن علاقـة جنسية من نوع ما وهن دون سن البلوغ ثم بعد أن بلغنها [2].

---

(١) انظر بولاك، المصدر السابق، ص ٤٥.

(٢) انظر Kinsey , Alfred and Pomeroy **The Sexual Behavior of the Human female** Philadelphia and London W.B. Saunders Co., 1953 .

كذلك لاحظ « بولاك » أنه يمكن أن تكون هناك عـلاقة بين ارتكاب الإناث للجـرائم وبلوغـهن مـرحلة المنضج أو البلوغ أو ظهـور اعـراض انقطاع الطمث، ولكنها علاقة ضعيفة لا يمكن الاستدلال منها على أهمية تلك الظروف التى تمر بها الأنثى فى دفعها إلى الانحراف.

ولقد تبين من دراسة أجرتها الدكتورة « شيرلى بيرت كلارك » على عينة من الاولاد والبنات الجانحين الذين لم يبلغ عنهم استخدمت فيها منهج الإقرار الذاتى، إن نسبة جناح البنات تقترب من نسـبة جناح الأولاد وهو وضع مخالف لما تكشف عنه الإحصاءات الرسمية.

* * *

المـراجـع

(١) سامـية حسن السـاعاتى، **جرائم النساء**، المركز الـعربى للدراسات الأمـنية والتدريب، الرياض، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

* * *

الفصل العاشر

المــرأة... الجسد والمعتقد
تطبيقات على المرأة المصرية(*)

تمهيــد :

الجسد موجـود ثقافى فهو جزء من الثقـافة وهو يلعب دورا فى تحديد أدوار النساء، وأدوار الرجال، كما أن الجسد الإنسانى يخضع لضوابط اجتماعية وثقافية.

والملاحظ أن وضع المرأة اليـوم، وضع معوق، ومـنتقص من قدره، فـعلى الرغم من كثـرة التغيـرات القانونيـة والتشريعـية فى صالحـها، ومن صغـر حجم الأسرة، ومن فرص التـعليم والعمل التى زادت وتحسنت أمام النســاء خلال القرن الأخير. . إلا أنه مازال هناك تفـاوت ملحوظ بين الأدوار الاجتماعيـة والاقتصادية للرجال والنساء.

وقد شكلت نظرية المســاواة بين الجنسين سياسـيا واقتصـاديا واجتماعـيا فى شكل حركة تحرير المرأة هجوماً عنيفاً على هذه الفروق والتفاوتات.

ويبدو أن الموقف الذى نشهـده الآن ليس نتاج الدعامات البـيولوجية لأدوار الجنسين وحدها. . ولا هو حصيله التفاوت الذى تفرضه، وتصر عليه نظم المجتمع ومؤســساته المختـلفة فقط، إنما يرجع التـميـيز والتفـرقة بين الرجـال والنساء إلى المعتقدات الاجتماعية والثقافية والاتجاهات السائدة فى المجتمع.

إن حقيقة وضع المرأة مشتملاً على قـيمة جسدها يكمن فى أنه يتشكل يوميا من هذه المعتقدات. .

(*) بحث قدم فى المؤتمر الدولي« المرأة والجسد »، كوبنهاجن، سبتمبر١٩٩٧.

إن النساء يصبحن على الوجه الذى هن عليه، تبعاً للطريقة التى يتوقع منهن أن يكن عليها أو التى يفكر الناس فيهن على أساسها.

وسوف يتناول البحث محورين أساسين أحدهما يتعلق بتحديد المفهومات الاساسية فيه، والآخر يتعلق بالمرأة.. الجسد والمعتقد الشعبى، ثم خاتمة لأهم الأفكار التى يشتمل عليها البحث.

أولاً : الجسد :

لعل القرن الحادى والعشرين هو القرن الذى سيحتل فيه الجسد فى الدراسات الإنسانية اهتماماً كبيراً وذلك بعد إدراك المدارس الفكرية لمدى تغييبه فى العصور الماضية، ولعل ظهور جمعيات حقوق الإنسان واهتمام المنظمات الدولية بأمره، يبرهن على مدى ما حظى به الجسد الإنسانى من رد الاعتبار ويرى « تيرنر » (Turner) أن مشكلة التحكم فى الجسد، وضبطه، هى مشكلة تواجه كل مجتمع(١)، فكل مجتمع تواجهه مهام أربع : إعادة إنتاج سكانه عبر الوقت، والتحكم فى أجساد سكانه عبر المكان، وكبح الجسد الداخلى (الرغبات) من خلال (النظم)، وحضور الجسد الخارجى فى الحيز الاجتماعى. وفى ضوء هذه المهام فإن عملية تنظيم المجتمع ما هى إلا تنظيم للأجساد داخليا وخارجيا غير الزمان والمكان (٢).

والجسد جزء أساسى من هويه الإنسان، وبدون الجسد لا يكون الإنسان على ما هو عليه وقد لا يكون على الإطلاق.. وجود الإنسان وجود جسدى فى المقام الأول. الجسد موجود فى قلب العمل الفردى والجماعى، وهو الإدارة الأساسية لاكتساب المعرفة والتعبير عنها، وتطويرها. والجسد موجود فى قلب الرمزية الاجتماعية، وفى قلب الحضارة الإنسانية، وبقدر وضوح الجسد بقدر غموضه وقد اجتهدت المجتمعات الإنسانية بطرائق متنوعة فى حل هذا اللغز أحيانا.. وفى

---

(١) (نتحايل على تقاليدنا، ونمرر عديداً من الأوراق من تحت المائدة).

انظر الكاتبة « نورا أمين » « دراما، إبداع، يوليو ١٩٩٦، العدد السابع ص ١٠٥.

(٢) أنظر، B. Turner, The Body and Society, Basil Blackwell. Oxford, 1989, P. 292.

الهروب من حله أحياناً أخرى. وهناك مجتمعات توحد بين الجسد وصاحبه، ومجتمعات أخرى تفرق بينهما بطرائق عدة [1].

ثانياً: المعتقد : (Belief), Convinction)

أ- عقد الحبل، ربطه، والمعتقد أو الاعتقال فى المدلول اللغوى ضرب من الارتباط بأمر معين.

ب- وفى مدلوله الاصطلاحى التصديق الجازم بشىء ما، وفى الظن والرأى قدر من التصديق.. ولكنهما معاً دون المعتقد أو الاعتقاد.

واليقين والايمان اسمى درجات المعتقد، ويقومان على تصديق جازم لا يقبل الشك. وليس بلازم فى كل معتقد أن يكون وليد حجج منطقية، ويرجع كثير من معتقداتنا السائدة إلى شىء من الثقة والتسليم بما قال الآخرون من ماضين أو حاضرين.

جـ - درس المعتقد سيكولوجيا واجتماعيا، فمن الناحية السيكولوجية لوحظ أن للوجدان والعاطفة دخلاً فيه، وكم من المعتقدات يمليها القلب دون أن يكون للعقل فيها نصيب، والمعتقدات المباشرة التى لا تعتمد على بحث أو تحر هى فى الغالب وليده إيحائات أو انفعالات خاصة والمعتقدات غير المباشرة، وليدة تمحيص وتحقيق ولابد فى اليقين من سند عقلى، وفى المعتقد عنصر إرادى هو الذى يدفع المرء إلى التسليم بما يعتقده. ويربط « وليم جيمس » والبرجماتيون الاعتقاد بالتجربة ومتطلبات الحياة.

د- ومن الناحية الاجتماعية لوحظ أن المعتقدات البدائية اعتقادات مباشرة تعتمد على خرافات وأوهام، وتستمد من الثقة، واحترام الشيوخ، والرؤساء أو السحرة ورجال الدين. وهذه المعتقدات لا تزال لها مخلفات فى المجتمعات المتحضره. والمعتقد ظاهرة اجتماعية تنتقل من الفرد إلى من حوله، ومن بيئه إلى أخرى ولا حياة لها إن لم يأخذ

---

(١) ديفيد لوبرتون، **أنثروبولوجيا الجسد والحداثة**، عرض شاكر عبد اللطيف، **إبداع**، العدد التاسع سبتمبر ١٩٩٧ ص ٨٦.

بها المجتمع. وهناك معتقدات دينية، وأخرى سياسية. والدين هو التربة التى نبتت فيه المعتقدات القديمة على اختلافها، ولا سبيل لتفسير كثير من الظواهر الاجتماعية إلا بردها إلى أصولها الدينية. وقد عنى بذلك علماء الاجتماع والأنثروبولوچيا أمثال «فريزر» و« دور كايم » و«ڤيبر » و « موس ».

وللمعتقد سلطان تصعب مقاومته، ومن المعتقدات ما غير وجه المجتمع تغييراً تاماً [1].

ويمتزج معنى المعتقد بكل من معنى الرأى، والاتجاه، والإيمان، والمعرفة [2].

ثالثاً: المعتقد الشعبى: (Folk Belief)

تتميز المعتقدات الشعبية بأنها أصعب العناصر الشعبية (مثل اللغة والزى والحلى.. إلخ) فى التناول وأشقها في الدراسة والبحث، لأنها خبيئة فى صدور الناس، وهى لا تلقن من الآخرين، ولكنها تختمر فى صدر أصحابها، وتتشكل بصورة يلعب فها الخيال الفردى دوره ليعطيها طابعاً خاصاً.

وهى مع تمكنها فى أعماق النفس الإنسانية موجودة فى كل مكان سواء عند الريفيين، أو الحضريين، عند غير المثقفين، كما هى موجوده عند الدين بلغوا مرتب عالية من العلم والثقافة، وصاروا يخضعون فى حياتهم، وفكرهم للأسلوب العلمى.

وهذه الحقيقة الأخيرة جديدة نسبيا على البحث العلمى، حيث كان أبناء القرن التاسع عشر يعتبرون أن التفكير قبل المنطقى خاصية مميزة للطبقات الدنيا أو الشعبية، على حين أن الطبقات العليا أو حملة الثقافة الراقية يتميزون بتفكير منطقى خالص أى أنه لا يعرف المعتقدات الشعبية. ولكن هذا الرأى قد ثبت فساده

---

(١) **معجم العلوم الاجتماعية**، تصدير و مراجعة إبراهيم بيومي مدكور، إعداد نخبه من الأساتذة المصرين والعرب المتخصصين، **الهيئه العامة للكتاب**، ١٩٧٥ ص ٤٩ .

(٢) **المعجم العربي للعلوم الاجتماعية**، **منظمة الأمم المتحدة للتعليم والعلوم والثقافة (يونسكو) والمركز الإقليمي العربي للبحوث والتوثيق في العلوم الاجتماعي** (راكسي)، القاهرة ١٩٩٤ ص ٤٨ .

منذ نهايه الربع الأول من القرن العشرين وأن المعتقدات الشعبية موجودة بدرجات متفاوتة فى كافة الطبقات، وعلى كافة المستويات [1].

ونجد لزاما علينا ونحن نبحث موضوع المرأة... الجسد و المعتقد، أن نقدم عدداً من الشواهد التى تساهم فى فهم أبعاده ومكوناته. وقد اجتهدت أن تكون هذه الشواهد من الثقافة المصرية بخاصة والعربية بعامة.

وتضم هذه الشواهد مشاهدات واقعية ودراسات ميدانية ومعطيات مستمده من كتب التراث الشعبية وغير الشعبية، وميدانى علم الاجتماع، وعلم النفس وبعض الاعمال الأدبية.

المرأة.. الجسد والمعتقد الشعبى :

ليست النظرة إلى الجسد مجرد نظرة فردية، بل هى نظرة عامة تتبناها الثقافة وتشيعها فى الناس بحيث يكون للمجتمع ككل نظرة موحدة للجسد بصرف النظر عن اختلاف ظروف الأفراد وسوف نتناول، المرأة فى علاقة جسدها بالمعتقد الشعبى كما تبدو فى مظاهر دورة الحياة.

١- الزواج

الزواج المبكر ذو قيمة عالية فى المعتقد الشعبى، وهو عصمة من الزلل وصيانة للشاب والشابة من الوقوع فى الفتنة والإغراء... والزواج المبكر على حد قولهم « نزهة وسترة » ومعنى ذلك أنه يحقق الإشباع الجنسى تحقيقاً مشروعاً.

وبذلك يساعد الشاب والشابة على صيانة شرفهما وشرف أهلهما وكثيراً ما يستندون فى رأيهم هذا إلى قول رسول الله ﷺ « من استطاع منكم الباءة فيلتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج » [2].

وإذا تأخر زواج الفتاة حسب المعتقد الشعبى قلل هذا من قيمتها وشأنها ووصفت بأنها « بايرة » أى فاتها الزواج.. ولذلك يعرض عنها الخطاب مما يؤثر عليها نفسيا فتحزن وتتألم ويتملكها اليأس والابتئاس.. ومن الأمثال الشائعة هنا

(١) انظر محمد الجوهرى، **علم الفولكلور**، دراسة المعتقدات الشعبية، دار المعارف، ١٩٨٠، ص٢٢.
(٢) أبو حامد الغزالى، **إحياء علوم الدين**، جـ٤ ص٩٨.

«البـايرة أولى ببـيت أبوها» وكل ذلك يؤثـر بدوره على صـحتـهـا. . وقـد تمرض وتهزل. . وحـينئذ يقال أنها « مـعقودة » أى عـمل لها عمل ربط عقـدتها. . وهذا يضاعف هموم أهلها فـيسارعون إلى السحرة والعرافين ليفكوا عـقدتها وليبطلوا أثر السحر.

وكثيراً مـا يعمل لها « **حجاب المحبة** » أى حجاب يجـعل شخصاً مـعيناً من المعروفين لهـا من أقاربها أو جـيرانها يطلب زواجهـا. . ويتضمن هذا الحـجاب فى الغالب. . بعض الآيات القـرآنية. . وعبارات خاصـة. كما يتضمن الحـجاب أيضاً «أثر» لهذا الشخص أى قطعة من مـلابسه المستعملة كمنديله أو طاقـيته. . أو جلبابه أو قميصه. . ويشـترط فيها أن تكون قد تشربت عرقه أو رائحـته وبذلك يكون فيها «أثره» ، وتوضع كل هذه الأشـيـاء مـعـاً. . فى داخل حـجـاب من الجلد مـثلث الشكل. . تحمله الشـابة « البائرة » معلقـاً فى رقبتهـا بشرط أن يكون بجوار قلبـها باستمرار [1].

ولا تزال هناك بعض الأسر فى الريف التى تتبع عـادة حجز الطفلة للعريس، منذ ولادتها. . باتفـاق الأبوين معا. . إذ يعين لها العريس مـن الأطفال الذكور من أبناء عمـومتهـا أو خئولتـها. . وعندئذ يقطعـون حبل سرة المولود فـى حـضرة هذا الطفل المعين. . ويـقولون فـــى أثناء عـملـيـة القطـع « فـلانة لفـلان » ويقـرأون الفاتحة. . ويعد ذلك خطبة. ويكرر الأبوان والأمان على مسامع الطفلين القول بأن « ده عريسك » أو « دى عروسـتك » إلى أن يكتمل نضجهما الجنسى فـيشرع الأهالى فى الإجراءات الرسميـة للزواج وإتمامه، بصرف النظر عن حقيقـة شعور العروسين أحـدهما نحـو الآخر. فـمـا يهم هنا هو المحافظة عـلى مبـدأ الزواج الداخلى من الأقارب.

وغنى عن الذكر ما لهـذا الأسلوب الإلزامى المتزمت فى تزويج العروسين من خطورة على حياتهما الزوجية المستقبلة.

٢- الصفات المرغوب فيها عند اختيار الخطيبة :

ومن الصفات المرغوب فيها عند اختيار الخطيبة، المهارة، فيقولون: (بنت فلان نار وشرار. . وقلبـها حامى. .) أى أنها سـريعة فى العمل، والأخلاق الفـاضلة مثل

(١) انظر فوزية دياب، **القيم والعادات الإجتماعية**، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٠، ص٢٥٠.

الطاعة والهدوء والوداعة، وصغر السن، وحسن السمعة، وطيب الأصل.. وكثيراً ما يرددون القول المأثور. « الدنيا متاع.. وخير متاعها المرأة الصالحة ».

كذلك من الصفات المرغوب فيها ملكية الخطيبة، وخصبها وخصب الخطيبة يتنبأ به على أساس خصب أمها والمثل السائر بينهم يقول « إكفى القدرة على فمها تطلع البنت لأمها ».

أى أن صفة القابلية للخلف عند الأم ستنتقل إلى ابنتها.

وفى المعتقد الشعبى فإن عدم خلف المرأة المختارة على أساس خصب أمها.. لابد يكون ناجما عن أسباب غيبية (أى نقمة أو غضب من الله)، أو أسباب سحرية تتمثل فى تعويقها عن الحمل بالأعمال السحرية.

ومن المهم جدا أن نذكر أنه بحسب المعتقد الشعبى فإن عدم خلف الزوج لا يعزى بتاتا إلى أسباب تتعلق بالزوج نفسه، ويفسر هذا الاتجاه السائد.. التجاء الزوجة العقيمة إلى القوى الغيبية مقدسة كانت أو سحرية للتخلص من العقم.

والجمال صفة أخرى مستحبة فى الخطيبة.. وإن كانت فى الغالب لا تتمتع بمركز الصدارة مثل الصفات سابقة الذكر.

وجمال المرأة فى المعتقد الشعبى يحفل بالجمال الحسى الذى يتحدث عن الأعضاء.

فالذوق الشعبى يهوى المرأة البيضاء الهيفاء.. رفيعة الوسط ممتلئة الساقين.. كما يعجب بالوجه الصبوح دقيق الملامح ويفضل نامية الجسم طويلة القامة وتوصف بأنها « فايرة » كما يفضل الميالة للامتلاء ويقال عنها « مربربة وظاهر عليها الخير والعز » أما العجفاء « المعضمة » فلا يرغب فيها ويقولون عنها أنها «معصعصة وناشفة زى الجريدة».

وامتلاء الجسم يزيد من قيمة العروس الجمالية لأنه رمز للخير والعز وجودة الصحة.. وتلك أمور إذا توافرت فى العروس. فإن الزوج يضمن أما قوية فتتحمل عبء خلف الأولاد وتربيتهم. كما تتحمل أيضاً القيام بأعمال « البيت » «والغيط » أيضا إذا ما كانت ريفية.

أما من جهـة لون البشرة فتفضل الفـتاة البيضاء على السـمراء ومن أقوالهم التى تعلى شأن البياض قولهم : « ياريتنى بيـضا ولى ضب ده البياض عند الرجال ينحب »، وكذلك قـولهم « ياريتنى بيضا ولى عـرقوب، ده البيـاض عند الرجال محبوب »، ويدل هذان القولان على أن بياض البشرة صفة مستحبة جدا فى الفتاة لدرجة أنها تغطى كـثيراً من العيوب المحتمل وجـودها مثل « الضب » الذى يشوه شكل الوجه. ومثل«العرقوب » الذى يشوه شكل الساق والقدم.

وهناك مثل يقول : « يا واخـد البيض. يامقضى الزمان فرحـان. . ضيعت مالك على جوهر. . وعود ريحان ».

يؤيد ذلك ما وجدته سامـية الساعاتى فى بحثها الميـدانى : الاختيار للزواج والتغير الاجتماعى بين جيلين، من أن النتـائج الإحصائية بينت أن الصورة النهائية للزوجة المفضلة فى جيل الآباء الحضريين، هى المرأة ذات البـشرة البيضاء المتوسطة الطول، ذات القـوام الملفوف الميـال إلى السمنة، أو السـمينة أحـياناً. . والعـينين السوداوين أو الملونتين والشعر الأسود أو الأصفر الطويل.

أما الصورة النهائيـة لزوجة المستقبل المفضلة فى جـيل الأبناء الحضريين فهى المرأة ذات البشرة القمـحية أو البيضاء متوسطـة الطول ذات القوم الملفوف والعينين العسليتين أو السوداويتين، والشعر الأسود أو البنى الطويل.

أما إذا قـارنا النموذج المفـضل لجمـال شريكة المسـتقبل عند الآباء الـريفيين (Rural)، وأبنائهم من الريفى، حـضريين (Rurban) فسوف نجـد أنه بينما ذكر عدد كبير من الآبـاء الريفيين تفضيلهم للمرأة ذات البشرة البيـضاء، بنسبة ٦٢٪ ، وعـدد لا بأس به منهم، تبلغ نسبـته ٢٨٪ مـن جملتـهم تفضـيلهم ذات البشـرة القمحية. . فإننا نجد أن ٥٢٪ من جيل الأبناء الريفى حضريين يفضلون المرأة بيضاء البشرة بينما يـفضل ٤٨٪ منهم ذات البشرة القمحيـة. . وهنا لا نكاد نلحظ فروقا هامة بين الجيلين فيما يتعلق بهذه السمة. .

ونستطيع القول بأن الصورة النهائية المفضلة للزوجة لدى جيل الآباء الريفيين (المستـمدة من الإحصـاءات) هى المرأة ذات البشرة الـبيضـاء، المتوسطة الطول،

الممتلئـة أو الملفوفـة المياله إلى السمـنة،(سوداء العينين أو ذات العـينين الملونتين) (بنسبة متساوية)، الشعر الأسود أو الأصفر الطويل.

بينمـا نجد أن الصـورة النهائيـة المفضلـة للزوجة لدى جـيل الأبناء الريفى، حضريين هى المرأة ذات البشـرة البيضاء أو القمحية، متـوسطة الطول. الملفوفة، ذات العينين العسليتين أو السوداوين. والشعر الأسود أو البنى الطويل.

وهنا نلاحظ أن النموذج المفضل للزوجة فى جيل الآباء الحضريين، هو نفس النموذج المفضل للزوجة فى جيل الآباء الريفيين، وأن ذلك التطابق العام.. مشاهد أيضاً بين جيلى الأبناء الحـضريين، والريفى حضريين.. مما يصدق معـه آستنتاجنا بأن الفـرق طفـيف جـداً بين جـيلـى الآباء من حـضـر وريف. فى جـيل الآباء الحضريين، لأن معظمهم إما متـصل بالريف.. أو له جذور ريفية. أما ما وجدناه من تشـابه الصورة النهـائية المفـضلة للزوجة فى جـيل الآباء الريفيين مع الـصورة المفضلة للزوجة فى جيل الأبناء الريفيين.. فيدل على ثبات الثقافة (الشعبية) إلى حد كبير، وبطء تغيرها.. مما يؤثر فى تشابه الأبناء الريفيين الخلص مع آبائهم [١].

ومن الأقـوال التى تصف جسـد المرأة قـول يقول : « إن كنت عـايز تمص قصب مص من الوسط وإن كنت عايز تخطب،خد رفيعة الوسط» ، « وخد الحلو وأقعد قباله.. وإن جعت شاهد جماله ».

والمـرأة الدميمة فـى المعـتقد الشعبى، هـى التى تقول فيـها الأمثال « اللى بعرقوبها تدبح الطير.. اهرب منها.. ما فيـها خير » ما يعجبكش طولها الزين.. ولا لفتها فى الملاية .. مناخيـرها قد الدوايا، خلت فطورى عشايا ». ويا واخد السود.. يا مقضى الزمان حزين.. ضيعت مالك فى خنفس وجالوص طين [٢].

ولما كان سمار البشرة غالباً فى المجتـمع المصرى والعربى، فقد اقتضى الحال وجود أقـوال وأغان تروج السـمراوات وتحبب فى سـمار البشـرة « السمـرة بلحة حمرا» ومكتوب حدانا فى الورق.. أسمر ودمه خفيف ».

(١) انظر، سامية الساعاتى، **الاختيار للزواج والتغير الاجتماعى**، الطبعة الثانية، ١٩٨٨، ص ٣٧٠.
(٢) إبراهيم أحمد شعلان، **الشعب المصرى فى أمثاله العامية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢، ص٩٨.

وهناك صفات أخرى مفضلة.. مثل طول الشعر ونعومته... وسعة العينين.. ودقة « تقاطيع الوجه.. وهذه التفاصيل.. والصفات الجمالية تتحدث بها كثير من الأمثال والأغاني الشعبية.. ومن الأغاني التي تصور المثل الأعلى لجمال الفتاة الأغنية التالية :

انظر بعينك يا جميل	بيضا بلون الياسمين
راسها راس اليمامة	سبحان الخلاق العظيم
يا جبينها هلال شعبان	يا شعرها سلب الجمال
يا عيونها عيون غزلان	يا حاجبينها خطين بقلام
يا سنانها لولي ومرجان	يا خدودها تفاح الشام
يا حنكها خاتم سليمان	يا صدرها بلاط حمام
يا بطنها عجين خمران	يا سرتها قعر الفنجان
يا نهودها فحول رمان	يا فخادها عواميد رخام(١)

وأحياناً يقولون في وصف جمال الفتاة : لها وجه مدور « كالصينية » وشرطة عين مثل الفنجان.. وأنف مثل النبقة.. وفم «كخاتم سليمان»(٢).

وأحياناً تتوجه المكلفة بالتوسط في خطبة البنات إلى البيوت التي فيها البنات وتشم رائحة فم العروس المرشحة، وتنظر كعب رجلها فإن جاء مثل المرجلة «القبقاب » تكون المخطوبة سعيدة وإلا كانت بخلاف ذلك.

وقد جاء في الأثر :

« أن المرأة إذا درم كعبها.. درم عضوها » (٣).

« أي أن هناك تماثلا بين شكل كعب المرأة، وبين عضوها ».

فجمال جسد المرأة (الفتاة) في المعتقد الشعبي « جمال شكلي أساساً... فيصفون جسمها بتفاصيله وأعضائه. وصفاً صريحاً لا تتحرج الفتيات من التغني به وإنشاده في أوقات اللهو والترويج.. وفي مناسبات الخطبة والزواج.

---

(١) فوزية دياب، القيم والعادات الإجتماعية، المصدر السابق ص ٢٦٦.

(٢) محمد عمر، حاضر المصريين أو سر تأخرهم، ص ٢٠٥.

(٣) درم : بمعنى امتلأ.

٣- المهر وشراء المرأة واقتناؤها :

إن مناسبات الاتفاق على المهر وتحديده لا تخلو فى بعض الأحيان من الأخذ والرد والمساومات. . وإن « ما يدفعه الزوج فى مقابل أن يحظى بزوجته ينطوى على فكرة قريبة جدا من مفهوم الشراء »[1].

فكما أن الثمن فى حالة الشراء يختلف باختلاف السلعة المراد شراؤها فكذلك المهر. . فإنه يعلو ويهبط على حسب تقويم العروس المراد الزواج منها.

ومما يدعم القول بمضمون الشراء فى مفهوم المهرعند الريفيين ونستشفه من أقوال لهم تعبر عن فكرة ملكية الرجل للمرأة واقتنائها. . وعن أن الرجل إذا تزوج أصبح « مقتنياً » زوجته. . فهم إذا أرادوا إبداء أستيائهم من امرأة واستهجانهم سلوكها. . كثيراً ما يعيبونها فى شخص زوجها قائلين العيب مش عليها. . العيب على اللى « **قانيها** ».

كذلك من العبارات التى تتضمن مفهوم الشراء فيما يتعلق بالمهر وتقويم العروس بالمال، أن أهل الشاب يقولون لأهل الفتاة فى سياق خطبتها وتحديد مهرها :«إحنا نتاقل بنتكم بالمال»، أو «أنها تساوى ثقلها ذهباً» ومثل قولهم أيضا بعد أن تنتقل العروس إلى المعيشة معهم. . ويثبت لهم أنها الزوجة التى ينشدونها «والله فلوسنا كانت حلال». ويعنون بذلك المهر الذى قدموه كثمن لها. كما أنه من المألوف جدا أن نسمع الزوجة نفسها تقول عن المهر «**أنه حق رقبتي**»[2] ولعل لفكرة البيع والشراء فى مفهوم المهر. صلة بجسد المرأة كما يتضح من عبارة الزوجة السابقة.

وتبدو هذه الفكرة أيضا جلية واضحة فى كثير من الأغانى الشعبية المتصلة بالخطبة والزواج ونذكر منها على سبيل المثال أغنية مطلعها :

---

(١) انظر مصطفى الخشاب، **دراسات فى الاجتماع العائلي**، مطبعة مجلة البيان العربي، ١٩٩٨، ط٢ ص ٧٠.

(٢) انظر فوزية دياب، المصدر السابق، ص ٢٧١.

يا بـو البـنت البـالغ بـعـهـا قـبل شـرف البنت مـا يضـيع

وكذلك الأغنية التالية :

إدوا لابـوهـا قـد مـاربـاهـا روح ياعـم مـا أنت قـد شـراها ..
إدوا لابـوهـا قـد مـاربـاهـا يا مـتين جنيـه وأنا والعـبـيـد وراها ..
إدوا لابوهـا قـد مـا دلعـهـا يا مـتين جنيـه وأنا والعـبـيـد تـبـعـهـا ..

٤- العرض والمحافظة على الشرف فى المعتقد الشعبى

إن قيمة العرض والمحافظة على الشرف هى التى تتحكم فى كثير من أساليب سلوك الناس وعادتهم المتبعة فى معـاملة الأنثى منذ طفولتها المبكرة، وفـى جميع مراحل تنشئتها الاجتماعية.

فهذه القيـمة هى المسئولة مثلا عن عادات تخـويف الأنثى من القفز واللعب العنيف، حتى لا يتمزق غشاء بكارتها. . وتفهم البنت الصغيرة تفهيماً جيداً، أنها لو كبرت. . واكتشفوا ليلة «دخلتها» على عريسها، أن غشاء بكارتها قد مزق فإنهم سيقتلونها. . وفى هذا من غير شك ضبط كبير لسلوكها فى أثناء اللعب.

كـذلك نجـد أن قيمـة العرض هى التى تدفع الأهالى إلى فـصل الأنثى عن الذكر منذ سن مـبكرة فى اللعب وفى النوم، كمـا تدفعهم أيضـا إلى تحذيرها من الاختـلاط بالذكور فهم يـؤمنون بالمثل القائل «إيش أحر الـنسا، قال بعـد الرجال عنهم» وهم أيضا يخوفون الأنثى من الخلوة بالذكـر لأن الخلوة به تزيد من احتمال ضعفها أمـامه وتفريطها فى عرضها. وهذا أمـر إذا حدث «قتلوها»، أو «ضربوها بالنار» وتتـشرب الفـتيـات هذه الأفكار تشربـاً لدرجة أنهـا تتناولها بالحـديث مع رفيقاتها فى أثناء اللعب والسمر. . فيتبادلن التحذير والنصح بخصوص هذا الأمر.

والحب قبل الزواج يعد أمر مستهجناً ومذموماً، وهى تؤدى إلى قيام المشاكل بين الأسر، وإلى وصم الفتاة برذيلة «الـعشق» التى لا تجر إلا إلى الشر والوبال. . وتفكك أوصال العلاقات بين الأسر.

فالعشق قبل الزواج فى المعتقد الشعبى لا يؤدى إلى السعادة بل كثيراً ما يلهب الغريزة الجنسية عند الشباب فيفقدون سيطرتهم على أنفسهم.

وقد قال المويلحى على لسان «عيسى بن هشام» منذ أكثر من خمسين عاماً «لقد جرى العشق فى بعض البلاد الشرقية مجرى العيْب المحض.. والعار الفاضح. وكان عند بعض قبائل العرب إذا اشتهر أحد فتيانهم بعشق فتاة منهم منعوه من التزوج بها لهذا السبب، وربما رفعوا أمره إلى السلطان وإن شهر بها فى شعره فيهدر دمه. فهذا العشق الذى هو الركن الأكبر والسبب الأعظم فى حصول التزاوج عند الغربيين، وهو من أكبر الموانع فى التزاوج لدى الشرقيين، والتجاهر به من الأمور المكروهة عندهم لطبيعة الإقليم فى حدة المزاج، وتوقد الشعور وتلهب الإحساس»[1].

إن قيمة العرض فى المعتقد الشعبى هو المحور الذى يرتكز عليه شرف الأسرة أو العائلة بأكملها. وبخاصة رجالها.. ولذلك كثيرا ما نسمعهم.. يوجهون للإناث وأولياء أمورهن أدعية معينة تدور كلها حول ستر العرض.. إذا يقولون للفتاة : «الله يستر عرضك» ويقولون للرجل : «الله يستر ولاياك». أو «الله لا يفضح لك عرض» أو «الله لا يفضح لك ولية».

٥- الختان «الطهارة»:

يلاحظ أن قيمة العرض والمحافظة على الشرف، هى المسئولة أيضا عن عادة ختان الأنثى، إذا ان المعتقد الشعبي، يذهب إلى أن ختان الأنثى يخفف كثيرا من حدة شهوتها الجنسية وبذلك يمكنها أن تملك زمام نفسها[2].

وتصف الكاتبة «نوال السعداوي» خبرة الختان بقولها «كنت فى السادسة من عمرى نائمة فى سريرى الدافئ أحلم أحلام الطفولة الوردية.. حينما أحسست بتلك اليد الباردة الخشنة الكبيرة ذات الأظافر القذرة السوداء.. تمتد وتمسكني، ويد أخرى مشابهة لليد السابقة خشنة وكبيرة تسد فمي.. وتطبق عليه بكل قوة لتمنعنى من الصراخ.. وحملونى إلى الحمام. لا أدرى كم كان عددهم، ولا أذكر ماذا

(١) محمد المويلحي، حديث عيسى بن هشام، القاهرة محمد سعيد الرافعى الكتبي، ص ٤٣٧، ٤٣٨.
(٢) انظر فوزية دياب، المصدر السابق، ص٢٧٦.

كان شكل وجوههم. وما إذا كانوا رجالا أو نساء، فقد أصبحت الدنيا أمام عيني مغلقة بضباب أسود، ولعلهم أيضا، وضعوا فوق عيني غطاء، كل ما أدركته في ذلك الوقت تلك القبضة الحديدية التي أمسكت رأسي وذراعي وساقي حتى أصبحت عاجزة عن المقاومة أو الحركة، وملمس بلاط الحمام البارد تحت جسدي العاري، وأصوات مجهولة وهمسات يتخللها صوت اصطكاك شيء معدني ذكرني باصطكاك سكين الجزار حين كان يسنه أمامنا قبل ذبح خروف العيد.

وأرهفت أذني لصوت الاصطكاك المعدني، وما أن توقف حتى توقف قلبي بين ضلوعي وأحسست أن هذا الشيء يقترب مني. لا يقترب من عنقي، وإنما يقترب مني. من فخذي. . أدركت في هذه اللحظة أن فخذي قد فتحتا عن آخرهما وأن كل فخذ قد شدت بعيداً عن الآخر بأصابع حديدية لا تلين. أحسست بالشيء المعدني يسقط بحدة وقوة من بين فخذي يقطع من بين فخذي جزءا من جسدي.

صرخت من الألم رغم الكمامة فوق فمي، فالألم لم يكن ألما، وإنما هي نار سرت في جسدي كله، وبركة حمراء من دمي تحوطني فوق بلاط الحمام. لم أعرف، ما الذي قطعوه مني ولم أحاول أن أسال كنت أبكي وأنادي على أمي لتنقذني. وكم كانت صدمتي حين وجدتها بلحمها ودمها واقفة مع هؤلاء الغرباء تتحدث معهم وتبتسم لهم وكأنما لم يذبحوا ابنتها منذ لحظات.

وحملوني إلي السرير. ورأيتهم يمسكون أختي التي كان تصغرني بعامين بالطريقة نفسها فصرخت. . وأنا أقول لهم : لا، لا، ورأيت وجه أختي من بين أيديهم الخشنة الكبيرة، كان شاحباً أبيض كوجوه الموتى، والتقت عيني بعينيها في لحظة سريعة قبل أن يأخذوها إلى الحمام. وكأنما أدركنا معاً تلك اللحظة المأساة، مأساة أننا خلقنا من ذلك الجنس، جنس الإناث الذي يحدد مصيرنا البائس، ويسوقنا بيد حديدية باردة إلى حيث يستأصل من جسدنا بعض الأجزاء [1].

---

(١) تذكر الكاتبة نوال السعداوي التي تسرد هذه السيرة الذاتية، أن أباها كان متعلما تعليما عاليا، وأن أمها قد تعلمت في مدرسة فرنسية، وهذا يبين لنا سلطان الثقافة والمعتقد الشعبي الذي يفوق سلطان التعليم والتنوير انظر السعداوي، الوجه العاري للمرأة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ١٩٧٧.

٦- الجلوة :

فى يوم الزفاف.. تنشغل أم العروس مع القريبات والحبيبات بالإشراف على عمل البسكوت والفطير والكحك و إعداد عشاء العروسين وطهوه، بينما نجد أن الداية « أو الماشطة » وفريقاً آخر من قريبات العروس مشغولات معها بعملية «الجلوة » والمقصود « بالجلوة » [1] عمل كل الوسائل التى من شأنها إظهار العروس فى أبهى منظر، وأجمل مظهر يمكن أن تظهر به.

والجلوة تتضمن عدة إجراءات تقليدية لابد من اتباعها مع كل عروس. «فالماشطة » تقوم أولا بإزالة الشعر الخفيف المنتشر على وجه العروس وكذلك الشعر الذى فوق الشفة العليا، وتحت الإبطين، وعلى الساقين والذراعين، والعانة، وذلك باستعمال ما يعرف « بالحلاوة » [2].

وتهدف هذه العملية إلى أن تكون العروس ناعمة الملمس نظيفة من الشعر الزائد الذى لو ترك لبدت مواضعه خشنة داكنة غير مستحبة.. ولذلك فإن من أغانيهم التى يغنوها فى هذه المناسبة.. والتى تمتدح صفة النعومة فى العروس، الأغنية التى تقول :

آه يا ناعمة يا غريبة   يابنت الناس الطيبة

لذلك فإنه ليس من النادر يحسب المعتقد الشعبى أن توطوط البنت بعد ولادتها حتى تصبح نظيفة ناعمة الملمس.

والوطوطة هى دهن إبطيها.. وعانتها.. بدم خفاش أو « وطواط » كما يسمونه.. والمعتقد أن هذا الإجراء يحول دون نمو الشعر فى هذه الأجزاء.. وبذلك تظل نظيفة لا تحتاج إلى إزالة الشعر عنها بانتظام عندما تكبر وتتزوج.

---

(١) الجلى لغة هو «الصقل وكشف الصدأ عن السيف أو الفضة، أو المرآة ونحوها، المعجم الوسيط جـ. ص١٣٣.

(٢) الحلاوة مستحضر من السكر المذاب فى الماء الذى يغلى مدة من الزمن ثم توضع عليه قطرات من عصير الليمون حتى يتخذ قواما مطاطاً سهل التشكيل (يعقد) وبعد أن يبرد يوضع على الجزء المراد تنظيفه من الشعر من سطح الجسم، وبعد قليل ينزع بطريقة خاصة، فينتزع معه الشعر، وتتكرر هذه العملية حتى تنظف كل أجزاء الجسم السابق ذكرها.

وتعنى الماشطة عناية خاصة بتنظيف حاجبى العروس من الشعر القصير الزائد المنتشر حولهما وترفيعهما بشكل يبرزهما.. إذ إن المعتقد أن هذا الإجراء.. يزيد جاذبية الوجه والعينين ثم تساعد الماشطة العروس وهى تستحم بمياه ساخنة، ويستغرق حمامها مدة طويلة تضمن تنظيفها جيداً.. ويحك كل جزء فى جسمها حكا جيداً بالليفة والصابونة.. ولا تتركها الماشطة إلا وقد أصبح لبشرتها بريق جميل، وعندئذ يقولون عنها أنها « إنجلت » وبعد ذلك تقوم الماشطة بتمشيط شعرها ثم تلبسها الملابس الجديدة ومنها فستان الزفاف أو « البدلة » كما يسميها البعض التى كان العريس قد أرسلها ضمن ما يعرف بهدية العروس. كما تلبسها الطرحة المصنوعة من التل أو الحرير الأبيض الخفيف، كما تلبسها الكردان.. والأساور والقرطين.. وتزين وجهها بالبودرة والأحمر أو الأبيض والأحمر كمايقولون.. وتزجج حاجبيها بالقلم البنى أو الأسود على حسب لونهما الأصلى، ثم تكحل عينيها، وترش عليها العطر..

وهكذا تكتمل زينتها وتخرج إلى حيث مكان الحفل وتجلس على كرسى وسط المدعوات فى إنتظار الذهاب إلى بيت العريس [1].

وجدير بالذكر أن التنشئة الإجتماعية بحسب المعتقد الشعبى، فيما يختص بالفتاة، تقضى عليها بألا تزين نفسها بأى شكل مهما كان بسيطاً، بل أحيانا تذهب إلى أبعد من ذلك فتعطى الفتاة التعليمات بألا تستحم إلا بمناسبة التطهر من العادة الشهرية ولو خرجت الفتاة على هذه التعليمات اتهمت بالفجور وقلة الحياء، وبأنها تتنظف، وتعتنى بمظهرها وهندامها بقصد جذب الإهتمام، وجذب أنظار الرجال إليها. وهذا يخالف معايير الأخلاق الفاضلة بحسب المعتقد الشعبى، الذى بمقتضاه تعمل الفتاة على إخفاء زينتها.. وستر جمالها.. حتى عن خطيبها.. إلى أن تدخل عليه كزوج.. وهنا يكون من الحلال.. بل من الواجب عليها إبداء جمالها وزينتها لزوجها.. ولا حرج عليها عندئذ.. من أن تتفنن فى إرضائه جنسيا وعاطفيا.. فكلما أرضته من هذه الناحية ساعدت على عصمته من أن يفتن بغيرها، وهناك مثل يقول فى ذلك « المرأة غزية جوزها » [2] ومعناه أنه من الحلال

---

(١) فوزية دياب، المصدر السابق، ص ٩٤.

(٢) الغزية راقصة لعوب من الغجر عادة.

والمستحب والمباح أن تلجأ الزوجة (مع زوجها فحسب) إلى أساليب الإغراء والإثارة التى تلجأ لها الغزية للتأثير على الرجال.

٧- الدخلة وفض غشاء البكارة

بعد الانتهاء من زف العروس، تدخل الحجرة التى خصصت لها ولزوجها والشائع جدا أن تدخل معها أمها وأن العريس والقابلة (الداية) التى تغطى وجه العروس بالطرحة، ثم يدخل العريس، وتقضى عليه التقاليد فى كثير من القرى والأحياء الشعبية، أن يبدأ برفع الطرحة عن وجه العروس « ليكشف وجهها »، ثم يقدم لها مبلغاً من المال يعرف « بكشف الوجه » تبعاً لمركز العريس وأسرته، ومركز أهل العروس.

بعد ذلك تساعد القابلة فى تهيئة العروس وإعدادها لعملية فض غشاء البكارة أو أخذ « الوش » أو « الفلاح » كما يقولون فتساعدها أولاً على خلع ملابسها ثم تلبسها قميص الدخلة، ويكون عادة من قماش أبيض ناعم الملمس، ثم تهيئها لعملية فض غشاء البكارة بأن تجعلها فى وضع معين يسهل على العريس القيام بهذه العملية.

ويلاحظ أنه منذ دخول العريس والعروس حجرتهما لإجراء هذه العملية، يجتهد الواقفون على الباب من أقارب العروسين فى إحداث ضجة كبيرة بالتهليل والتصفيق والطرق على الباب، وهم يغنون، ويرددون البيتين من الزجل :

السمسم خر من الصندوق   اطلع يا عازب روح السوق
كعب البنت ريال مدور   يا ما خلق يا ما صور

ووسط هذا الضجيج والصخب لا تسمع صرخات العروس فى أثناء فض بكارتها. ولكى يسهل على العريس إجراء هذه العملية، يركع على ركبة ونصف أمام العروس.. و تقف القابلة بجواره، وتعطيه « المحرمة » وهى عبارة عن منديل كبير من الشاش الأبيض وبعد فض غشاء البكارة يعطى العريس المحرمة بالدماء لحماته والدة العروس التى تنشرها بفخر وسرور وهى تزغرد وهنا تقبل أم العريس يد ابنها وتقول له، فى فخر « راجل من ضهر راجل ».

وعندما تخرج أم العروس بالمحرمة من الحجرة وتسلمها إلى الواقفين خارجها فإنهم يمسكون بها من أطرافها، ويرفعونها أمام الملأ ويبلغ الحماس أشده، فتطلق الأعيرة النارية وتتوالى الزغاريد وأغانى الشرف ومنها :

حلوة يا بلحة مقمعة	شرفت عمامك الأربعة
حلوة يا نخلة مفرعة	شرفت خلانك الأربعة
يا بلحة وأربع عنبات	منقوعة وبايتة في شربات
شرفت أبوكي وأخوكي	وولاد عمك البنات

وكذلك أغنية :

قولوا لأبوها يقوم بقي يتعشى قولوا لابوها الدم ساح وبل الفرشة

وكثيراً ما يحدث أن يأخذ المحرمة بعد عرضها فى منزل العريس جمع من أهالى العروسين، ويخرجون بها إلى الشارع،وهى مرفوعة كالعلم. . حيث يزفونها بين المشاعل والشموع وهم ينشدون الأناشيد السابقة هادفين منزل والدها الذى يستقبلهم فخوراً مرفوع الرأس شامخ الأنف.

وبإعلان شرف العروس، تخرج القابلة بعد أن تأخذ ما جمعته من نقوط، من المدعوين ومن العروسين، وتخرج أم العروس فخورة بابنتها التى رفعت رأس أسرتها عالياً « وبيضت وجوههم »، كما تخرج أم العريس فخورة بابنها الذى أثبت رجولته بقدرته على فض غشاء البكارة.

والآن بعد أن اتضح لنا تمام قيمة العرض وأهمية الشرف بالنسبة للمعتقد الشعبى نستطيع أن نرى الحكمة فى التمسك بعادة فض غشاء البكارة فى المعتقد الشعبى و أنه هو السبيل الوحيد أمام الفتاة لتثبت عفتها، ووجود هذا الغشاء سليماً دليل على أنها صانت عرضها. . وإلا فلابد أن تكون قد انحرفت أو فرطت فى عرضها كما يقولون. وانحراف الفتاة على حد تعبيرها..يسود وجوه أهلها، ويسود عمائمهم، ويخفض رءوسهم إلى الحضيض، ويقصم ظهورهم » ويجعلهم مضغة فى الأفواه سنين طويلة لذلك فهم يلجأون فى كثير من الأحيان إلى قتل الفتاة إذا ثبت لهم أنها فقدت غشاء بكارتها والمثل عندهم يقول « النار ولا العار » ويرى

أحمـد خليفة « أن القـتل - لا أقل - هو الذى يغسل العار ويبـرئ العرض الذى ثلم، فإن جانباً كبيراً من جرائم القتل فى مـصر - وخاصة فى الصعيد يبعث إليها الإنتقام للعرض » [1].

ويذهب سلطان التـقاليد إلى حـد أن الأم بيديهـا تقتل ابنتـها التى زلت أو غوت. وإلى حد أن الرجل قـد يهجر بلده وداره وأهله يجوب الآفـاق، باحثاً عن المرأة الضالة التى تمت إليه وبدأت فى البحـث عنها سنين دون أن يكل حتى يجدها وينفذ فـيها قـضاءه، وإلى حد أن الغلة قـد لا تشفى بمجرد القـتل بل يمثل القاتل بالجثة أشنع تمثيل، وخاصة بما لها من أجزاء ذات صلة بالعرض.

وفى رواية « دعاء الـكروان » يعبر « طه حـسين » عن هذا المعتـقد التـقليدى للشـرف وارتباطه بعـــذريـة البنت، وتتـعـــرض البنت الصـغيـرة « هنادى » للذبح بسكين خالها وبالتعاون مع أمها، تلك المرأة التى صورها الكاتب عاجزة عن الدفاع عن ابنتها ومشتركة مع الخال فى القتل.

ويظل الخال القاتـل حراً طليقا ولا يعد مـجرماً كأنما هو أدى واجـبه كرجل غيور على شرف أسرته « العار لا يغسله إلا الدم » (مثل عربى شائع).

ولا تفكر « آمنة » على الإطلاق فى عقاب خالهـا الذى ذبح أختها لأن «طه حسين » يقول فى قصته عن النساء أنهن « عورة يجب أن تستر » و«حرمة يجب أن ترعى»، و«عرض يجب أن يصان » ولكنها تفكر الإنتقام من المهندس الشاب الذى اعتدى على شرف هنادى، وتستخدم أنوثتها وفتنتها فى الصراع [1].

٨- خلف الأطفال :

خلف الأطفـال بعامة.. والذكـور بخاصـة.. أهم أمر فى حـياة الزوجين حسب المعتقـد الشعبى.. وهم مصدر طمأنينة الأسرة على حـفظ ممتلكاتها كذلك هم موضـع التفاخـر والزهو لأنهم يعـبرون عن حيـوية الزوج ورجولـته.. وعن خصوبة الزوجة الحقة.

(١) أحمد محمد خليفة، **مقدمة فى دراسة السلوك الإجرامى**، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٢.
(٢) طه حسين، **دعاء الكروان**، ص١٥١.

والمعتقد الشعبى يماثل بين خصوبة المرأة وخصوبة الأرض والنبات « فالشجرة اللى ماتضللش قطعها أحسن » والزوجة التى لا تنسل للزوج أن يطلقها. . لذلك يقولون للعروس : « ربنا يجعلك شجرة تطرح. . وتملا المطرح ».

وجدير بالذكر. . أننا نلاحظ بعد الزفاف والدخلة. . بأسابيع معدودة. . تلهفا على خلف الأطفال. . لا من العروسين فحسب. . بل من أهل العروسين أيضاً وهذا التلهف يبدو عادة فى شكل استفسارات عن العادة الشهرية عند العروس، وهل انقطعت أم لا. وهكذا يظل التساؤل عن العادة الشهرية. . وترقب أخبارها حتى إذا انقطع مجيئها استبشر الزوج والزوجة. . وفرحا فرحاً كبيراً وفرح معهما أهلهما.

أما إذا مر الشهر تلو الشهر. . ولم تحمل العروس. .فإن حزنها يكون أشد من حزن زوجها إذ يصبح مركزها مزعزعاً، وتكون عرضة للطلاق أو لأن يتزوج زوجها أخرى فى أى وقت. . إذ يلقى المعتقد الشعبى التبعة كلها (فى مسألة عدم الخلف) على الزوجة. . إذ ليس من المستساغ عندهم. أن ينسبوا إلى الرجل ما يشكك الناس فى رجولته. . فالرجل دائما. . هو الرجل الكامل الرجولة. . الذى يقوم بواجبه. . والذى لا عيب فيه أما العيب فهو فى زوجته لأنها عقيم.

٩- عدم الحمل :

من العادات المألوفه جدا التى تلجأ إليها الزوجة العقيم أو التى تؤخر خلفها بسبب العمل أو الحسد - تبعا للمعتقد الشعبى - أن تذهب إلى أحد العرافين أو السحرة ليخرج هذا العمل. . ويبطل مفعوله. . ويعمل لها تحويطة أو حجاباً يقيها شر الحسد.

وهناك إجراءات كثيرة ومتعددة تنصح الزوجة العقيم، أو التى تأخر حملها بممارستها لكى تحمل. . ومن هذه الإجراءات أن تخطو فوق سلحفاة. . أو فوق رأس حمار ميت. . . أو رأس ضبع ميت، أو تعبر سكة حديدية. . أو تخطو فوق نار مشتعلة سبع مرات أو تخطو فوق جثة قتيل. . فأى من هذه الإجراءات كفيل بأن يفسد العمل الذى عمل لها. . «ويفك عقدتها » كما يقولون.

وقد تنصح الناصحات من العجائز والقريبات المعروفات بالخبرة فى هذه المسائل.. بأن يحدثوا للزوجة العقيم.. أو الذى تأخر حملها حالة تعرف بالخضة[1]. والخضة تشبه الصدمة إلى حد كبير، لأنها نوع من المفاجأة المزعجة التى تجعل الزوجة تضطرب وتخاف، ثم حسب المعتقد الشعبى تحمل بإذن الله. وتحدث الخضة بأن يرموا فى حجرها ثعباناً أو فأراً. أو حيواناً ميتاً.. أو تؤخذ لتنام بعض الوقت فى قبر مهجور.

ومن الإجراءات الشائعة أيضاً أن تذهب لزيارة ضريح ولى من أولياء الله اشتهر بكراماته الفعاله فى حل عقد الزوجات العقم أو اللاتى تأخر حملهن مثل (جامع الجيوشى) فى القاهرة. كما تنصح أيضاً بأن تذهب للتدحرج بطريقة خاصة فى أمكنة معروفة مثل (جامع المغاورى) فى جبل المقطم بالقاهرة.

وهناك وصفات بلدية متنوعة تستعملها الزوجة المعوقة أو العقيم أملاً فى الحمل ومعظم هذه الوصفات من تدبير العجائز من النساء، ومنها ما هو من تركيب بعض العطارين المشهورين بالعلاج بالأعشاب وأنواع العطارة الأخرى..وكثيراً ما تنفق المعوقة والعقيم مبالغ من المال فى الحصول على هذه الوصفات كثيراً ما تكون خارج طاقتها المادية[2].

١٠-الوحم:

الوحم، لغة، اسم لما يشتهى[3]. والوحم ظاهرة تحدث فى الشهر الثالث - أو الرابع من أشهر الحمل.. وهو يعكس صلة ما بين جسد المرأة والمعتقد الشعبى.

وكثيراً ما توحم الحبلى فتشعر برغبة ملحة فى نوع أو أنواع خاصة من المأكولات.. وفى بعض الأحيان تكون هذه المأكولات نادرة - أو غير موجودة فى فترة وحم الزوج.. لأن لها أواناً.. وأوقات مثل العنب والبطيخ.. والمشمش وغير ذلك من أنواع الفاكهة والخضروات وسائر أنواع الأطعمة الدسمة.

وهناك معتقد شعبى بأن الحامل التى توحم، إذا إشتهت شيئا من المأكولات ولم يحضر لها.. فإن هذا النوع من الطعام.. سيظهر على بشرة الوليد على هيئة

(١) انظر فوزية دياب، **المصدر السابق**، ص٣٠٨.

(٢) راجع أحمد رشدى صالح، **الزوجة الثانية**.

(٣) **المعجم الوسيط**، جـ٢، ص٩، ١٠.

بقعـة تسمى « الوحـمة » كبـيرة، أو صغـيرة وقـد تظهر فى وجه الولـيد فتـشوه منظره. . ولهـذا يحرص الزوج وأهله على السـعى لإحضـار ما تشـتهى الـزوجة الحامل. . مـهما كلفـهم ذلك من ثمن ومشـقة ما دامت سـتخلف وتعمـر البيت وتجلب الخير للأسرة.

وفى المعتقد الشعبى - جرت العادة أن تبـعد الحامل عن كل المناظر القبيحة، أو منظر الأشخاص المشوهين، لأن هناك اعتقـاداً شائعاً فى أنه إذا وقع نظر السيدة الحامل على منظر شخص أو حـيوان قبيح، فإن وليدها سيكون قـريب الشبه منه، لأن العين « لقاطة ». . كما يقولون. . ولذلك تتـعمد الحامل أن تنظر إلى الأطفال ذوى الخلقة الجميلة والوجه الحسن. لكى تلقط عيناها مناظرهم فـيأتى الجنين على هذه الصورة من الجمال.

وكثيراً ما تنصح الحامل بأن تعلق صـوراً لأشخاص ذوى وجوه جميلة، وأن تطيل النظر إلى هذه الصور مع التمنى دائما أن يأتى طفلها مشابها لما تراه فيها [1].

١١- الإجهاض:

مما يكدر صفـو السيـدة الحامل أن تشـعر بنزول دم ينذر بسقـوط الجنين من الرحم. . وكثـيراً ما يـعالج الإجهـاض المتكرر، فى - تصور المعـتقد الشـعبى الـذى يعتقد أنه من كون الظهر مفتوحاً. . بقفل معين يعـــرف « بقفل الظهر » أو « المسكة » وهو قفل من الحـديد يصنعه حداد على حـسب مواصفات مـعينة، ثم يعلق فى خيط متين وتلبسه الحامل أول مرة فى صلاة الجمعة. . وتراعى ألا تخلعه لأى سبب من الأسبـاب. . كما تراعى أن يكون دائما فى وسط ظـهرها سواء فى حالة نومها أو يقظتها. . إلى أن تنتهى مدة الحمل الطبيعية وتحدث الولادة.

١٢- الولادة:

بالنسـبة للولادة، التى تبـدأ بما يعـرف « بالعلامـة » وهى أول نذير للوضع وهى عبارة عن ظهور نقط مخاطية من الدم فى ملابس الحامل الداخلية. . وبمجرد ظهور العلامة، تستدعى الحامل أمهـا أو بعض أخواتها وجارة أو أكثر من جاراتها

---

(١) فوزية دياب، **المصدر السابق**، ص ٣١٠.

الحميمات.. ويعقب العلامة « الوجع » وهو آلام فى الظهر تنتشر حتى الوسط.. وتأتى فى موجات متباعدة ثم متقاربة ومتلاحقة حتى تحدث الولادة.. وقد وتقوم بعملية الولادة القابلة أو الداية أو المولدة أو الطبيب.

ومن المحرمات الشائعة فى المعتقد الشعبى والواجب مراعاتها فى أثناء عملية الوضع دخول شخص غريب خوفا من الحسد، كذلك يحرم دخول المرأة الحائض ودخول المرأة العبوس، للاعتقاد بأن ذلك يعوق عملية الوضع.. أما المرأة المنشرحة السمحة الوجه المنفرجة الأسارير فيشجع دخولها اعتقادا أن طلعتها تسهل عملية الوضع.

وإذا ظهر ما يدل على أن الولادة صعبة.. فإنه قد يؤذن للوالدة فى أذنيها الآذان الشرعى، ويوضع مصحف على بطنها.. وكثيرا ما يلجأ إلى عادة رفع الأغطية عن جميع الأوانى، أو إعادة فتح جميع الأبواب فى البيت.. اعتقادا أن ذلك يفتح طريق الجنين إلى خارج الرحم.. وكثيرا ما تحضر النساء للسبب نفسه، مفتاح ضريح أحد أولياء الله الصالحين ويعلقنه على ظهرها.

وأهم خبر يترقبه أفراد الأسرة، بمجرد أن تضع الوالدة طفلها هو جنس المولود من حيث كونه ذكرا أو أنثى.. ذلك أنه بحسب المعتقد الشعبى فإن الناس بعامة يفضلون خلف الذكور على خلف الإناث إلى درجة أن بعضهم يصيبه الحزن بمعنى الكلمة إذا ولدت له أنثى،أما الصبى فالكل يفرح ويتهلل لمقدمه بدليل القول السائر عندهم : « لما قالو لى ده غلام انشد ضهرى واستقام.. ولما قالولى دى بنية انطبقت الدار علىّ ».

فالبنت كأنثى.. ترتبط فى المعتقد الشعبى كما ذكرنا آنفا ـ بفكرة احتمال جلب العار.. لأهلها.. إذ هى فرطت فى عرضها.. ولذلك فهم يعتقدون أن خلف الأنثى هم بالليل والنهار.. هم يدوم ولا يفارقهم مادامت لم تتزوج. فهى السلعة التى إن شاء الخطاب طلبوها.. وإن شاءوا رفضوها.. وبناء على ذلك فقد لا تجد إقبالا عليها و تبور، وفى هذا حط كثير لقيمتها.. ولكرامة أهلها.. الأمر الذى يسبب الهم والكدر.. وقد يضطر أهلها أمام هذا إلى أن يزوجوها لشخص دونهم بمراحل فى المكانة وفى الحسب.. وذلك لمجرد ستر عرضها.. والمثل عندهم يقول: « أبو البنات يناسب الكلاب ».

وغنى عن الذكر أن زواج البنت لا يضع حدا لقلق أهلها من ناحيتها فهى تظل بالرغم من زواجها مجلبة للقلق والهم، إذ يحتمل جدا أن تطلق فى أى لحظة.. وبخاصة إذا لم يمن الله عليها بالخلف، أو إذا لم تخلف ذكورا بالذات.

ومعنى هذا أن تربية الأنثى فى المعتقد الشعبى مقرونة فى الأذهان بالمشقة النفسية والقلق والتوتر.. ومن الأمثال الشعبية التى تضرب فى هذا المجال: «يا مخلفة البنات، يا شايلة الهم للممات».

خاتمة:

رأينا **كيف يرتبط جسد المرأة ارتباطا وثيقا بظروف وجوده، جسد شكلته التقاليد، وأخضعته القوانين، وحاصرته الضغوط التاريخية والثقافية والمادية**.. أسير علاقات عائلية. يظل محجبا ومختفيا، ولا يبرز إلا من خلال التمثلات الاجتماعية.

ولكنه فى الوقت ذاته، **موضوع للرغبة** لارتباطه بالجمال والإغراء والإثارة، ومن ثم كان ضرورة محاصرته واخفاءه تحت ألف غطاء وغطاء [1].

والمرأة المصرية بخاصة والعربية بعامة لا توجد لنفسها، ولا تعيش لذاتها، بل هى ما وجدت إلا من (أجل الآخر)، فهى تعيش فى (فلك رجولى) فهى تعمل من أجل الرجل، وتخدم من أجل الرجل، وتملك من أجل الرجل [2].

إن ما يهمنا هنا بصفة خاصة، لا تلك الخواص الجسدية التى تفرق بين الجنسين، أو تجمع بينهما، وإنما يهمنا ما تتخذه هذه الخواص من مغزى اجتماعى ثقافى، هذا هو مشروعية وعملية اختزال ما هو إنسانى حضاري، إلى ما هو جسمى بيولوجى.

ولعل ذلك باديا من مثال السمنة والنحافة لدى المرأة الذى عرضناه من واقع المعتقد الشعبى، ومن معطيات البحوث الميدانية.

---

(١) انظر حياة الرايس، **جسد المرأة من سلطة الإنس إلى سلطة الجان**، دار سينا للنشر، ١٩٩٥ ص ٣٤.

(٢) سامية حسن الساعاتى، **دور المرأة فى المجتمع المصرى الحديث، المجلة الاجتماعية القومية**، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، سبتمبر ١٩٧٥، العدد الثانى والثالث ص ٩٤.

نجد أن السمنة كانت تعد فى مصر فيما مضى، وحتى منتصف هذا القرن تقريبا، علامة من علامات الجمال لدى المرأة، بينما كانت النحافة علامة من علامات الدمامة. ثم شرعت الأمور فى التحول إلى النقيض، وواضح أن السمنة كانت علامة على الجمال فى عصر لم تكن المرأة تعمل فيه، وإنما كانت تلازم الدار، وبقدر ثراء ذويها يكون إعفاءها من الأعمال المنزلية، وتكون دسامة غذائها، وبالتالى تزايد سمنتها.

أما الفقيرة العاملة، الجائعة فكانت أميل إلى النحافة، أما الآن وقد خرجت المرأة إلى طلب العلم ثم العمل، وزادت حركتها ونمت عضلاتها وتناقصت سمنتها، فقد ولدت قيمة جمالية جديدة هى الرشاقة فأصبحت قيمة جمالية إيجابية. **واضح إذن أن الخصائص الجسدية تستمد معناها من ظروف تاريخية اجتماعية اقتصادية، وأنها لا تتضمن فى ذاتها معنى أو دلالة مطلقة خارج نطاق الزمان والمكان.**

والأمر بالمثل عندما نقارن مظاهر الشيخوخة والشيب لدى الرجل فى مجتمع قبلى رعوى، ولدى المرأة فى مجتمع صناعى حضرى معاصر.

إن المشيب والشيخوخة يقابلان لدى الرجل، بمظاهر الاحترام والتبجيل، إن عددا كبيرا من الأبناء والأطفال وأبناء الإخوة والأخوات يظهرون له من الاحترام أعظمه وأقصاه، **أما المرأة على العكس من ذلك تفزع من مظاهر التقدم فى السن وتحاول إخفاءه.** . إنها تواجه الوحدة من تقدمها فى السن وتواجه انخفاض المكانة والمنزلة. فلقد كان جمالها، وكانت جاذبيتها، وفتنتها، رأسمالها فى هذا النوع من المجتمعات وها هو رأسمالها يتناقص.

والربط بين أن المرأة تتزين، وترتدى ملابس من نوع معين على صورة معينة، وتتصرف بطريقة معينة، وتتسم بكذا وكذا من السمات النفسية والوجدانية لأنها امرأة ربط خاطىء، فنحن مهما أمعنا فى دراسة جسم المرأة تشريحيا وجسديا لن نستطيع الإجابة عن سبب استخدامها للطلاء، وادوات الزينة، أو إبراز جمال الوجه والعينين، أو إطالتها لشعرها، أو ارتدائها لأحذية ذات كعب عال. **إن هذه جميعا مظاهر ثقافية، أى نتيجة لظروف اجتماعية معينة، إن ظروفا تاريخية دفعت**

المرأة إلى اتخاذ هذا الموقف من جسمها، ولقد أوضحت الدراسات الأنثروبولوجية وبخاصة دراسات العالمة الأمريكية مرجريت ميد " M. Mead " كيف تقوم فى بعض القبائل بأدوار هى عندنا قاصرة على الرجال، بينما يقوم الرجال بأعمال لا يتصور صدورها من غير النساء.

وإذا كانت بعض الأشكال الاجتماعية الاقتصادية تجرد المرأة من إنسانيتها، أى قدرتها الإنتاجية، وتردها إلى مستوى بيلوجى، بدائى مستخدمة فى تحقيق ذلك تختلف أشكال القهر والمهانة الأيديولوچية بحيث يستقر فى وجدان المرأة أنها **مجرد جسد يجب إحكام الرقابة وفرض القيود عليه، فإن نقيض ذلك لا يختلف عنه، أنه مجرد جسد، صحيح أنه جسد جميل ومثير وجذاب يجب كشفه، وإظهار محاسنه، ومفاتنه، ولا بأس فى أن تنشط أجهزة الصناعة والتجارة والإعلام فى ترويج ذلك والاتجار به، وتحقيق الكسب من وراءه. إنها فى نهاية الأمر جسد فقط.**

إن النساء إذ يغتربن عن أدوارهن الإنسانية المتعددة والثرية يصبحن مجرد جوارى العصر الحديث [1].

ولعل من أقدر الأمور بالتأمل، ذلك التصور الذى يقوم على المطابقة الكاملة بين المرأة، والزواج، والأمومة. **بحيث لا نستطيع أن نتصور المرأة دون أن تكون زوجة وأما، أنه دورها وقدرها.** بينما يختلف الأمر تمام الاختلاف بالنسبة للرجل إنما نتصوره من خلال عمله ومكانته، وثرائه، **إلى آخر هذه الأدوار الاجتماعية.**

إننا إذا دون وعى ننظر إلى **الرجل** من حيث هو **كائن اجتماعى فى المقام الأول،** بينما ننظر إلى **المرأة** من حيث هى كائن بيلوجى فى المقام الأول، **اجتماعى فى المقام الثانى.**

وإلى عهد قريب، وربما حتى الآن داخل قطاعات كبيرة من المجتمع المصرى كان الشعار السائد والحلم المطلوب بالنسبة للفتاة هو (بيت العدل) أى (بهت الزوجية)، ولازال المجتمع حتى الآن يؤكد هذا الأمر عن طريق مختلف أجهزته ومؤسساته الإعلامية والجماهيرية. ولو أننا توقفنا أمام ذلك التقليد الشائع فى ريف

---

(١) انظر فرج أحمد، علم النفس وقضايا المرأة، **المجلة الاجتماعية القومية**، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، سبتمبر ١٩٧٥ **العدد الثانى والثالث**، ص ١٥١.

مصـر ومناطقها الشعـبية الحضـارية، والذى بموجبه يطلق على الزوجـة اسم ابنها الأكبـر، فتنادى (بأم فـلان) وعلى هذا تعد الفتـاة المصرية، وبخـاصة فى قطاع الريف والأماكن الشـعبية فى المدينة لدور الأم. بينمـا نجد الزوجة الأوروبيـة أكثر حرصا على أنوثتـها، وعلى مظاهر هذه الأنوثة، فى الوقت الذى نجد فـيه الزوجة المصرية بخاصة، والعربية بعامة أكثر حرصا على أمومتها على حساب أنوثتها.

وتأسـيسـا على ما تقـدم فـإن خروج النسـاء جميـعهن إلى مـجال الإنتـاج الاجتمـاعى، هو طريق التحرر وهو لابد أن يغير بالتـدريج تغييرا سيسـتغرق سنينا طويلة، من علاقة المرأة بجسدها، ومعنى هذا الجسد ودلالته.

سيـتحول هذا الجسـد من جسد (سلعـة وعبء) غريب عليهـا، يحمل فى ثناياه عبوديتهـا، أو بعبارة مستمدة مـن فلسفة « سارتر » سيتحـول من جسد يوجد فى ذاته en - soi إلى جسـد يوجد لذاته pour - soi أى ببساطة شـديدة ستوجد المرأة لذاتها بعد أن ظلت توجد للآخرين. وسيستمد جسدها بالنسبة لها معانيه من ظروف حياتها الجديدة التى تعيشها هى بحريتها من خلال الإنتاج. وهنا تولد علاقة جديدة بين المرأة وجسدها عـلاقة قوامها المعايشة الحرة الخلاقـة لإمكاناتها الإنسانية الحقة.

إن هذه الحرية الجديدة ستـغير من علاقة المرأة بذاتها وبجـسدها وبالتالى من علاقتها بالرجل، وفى المقـابل من إدراك الرجل لها، وما يترتب على ذلك من تحول فى إدراكه لنفـسه لا بوصفـه (سيدا مـهددا فى سيـادته)، وإنما بوصفه (شـقا) لا يجد كماله إلا فى التقاء حر، ووحده خلاقه (بشقه الآخر).

* * *

المراجـــع

١ـ إبراهيم أحمد شعلان، **الشعب المصرى فى أمثاله العامية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢ .

٢ـ أبو حامد الغزالى، **إحياء علوم الدين**.

٣ـ أحمد رشدى صالح، **الزوجة الثانية**.

٤ـ أحـمد مـحمـد خليفـة، **مـقـدمـة فى دراسـة السلوك الإجـرامى**، القـاهرة، دار المعارف، ، ١٩٦٢ .

٥ـ حياة الرايس، **جسد المـرأة من سلطة الإنس إلى سلطة الجان**، دار سينا للنشر، ١٩٩٥ .

٦ـ ديفيـد لوبرتون، **أنثروبولوجيـا الجسد والحداثة**، عرض شـاكر عبـد اللطيف، إبداع، العدد التاسع، سبتمبر ١٩٩٧ .

٧ـ ساميـة الساعاتى، دور **المرأة فى المجتـمع المصرى الحديث**، **المجلة الاجـتماعـية القومية**، المركز القومى للبحـوث الاجتماعية والجنائية، سبـتمبر ١٩٧٥ ، العدد الثانى والثالث.

٨ـ سامية الساعاتى، **الاختيار للزواج والتغـير الاجتماعى**، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٨٨ .

٩ـ طه حسين، **دعاء الكروان**.

١٠ـ فـرج أحمـد فرج، علـم النفس وقضـايا المرأة، **المجلة الاجتماعـية القومية**، سبتمبر ١٩٧٥ ، **العدد الثانى والثالث**.

١١ـ فـوزية دياب، **القيم والعادات الاجتـماعية**، دار النهضـة العربيـة، بيروت ١٩٨٠ .

١٢ـ محمد الجوهرى، **علم الفولكلور**، دراسة المعتقدات الشـعبية، دار المعارف، ١٩٨٠ .

١٣ـ محمد المويلحى، **حديث عـيسى بن هـشام**، القلهرة، محمد سـعيد الرافعى الكتبى.

١٤- محمد عمر، **حاضر المصريين أو سر تأخرهم**، ١٩٠٢.

١٥- مصطفى الخشاب، **دراسات فى الاجتماع العائلى**، مطبعة لجنة البيان العربى، ١٩٥٨، ط ٢.

١٦- معجم العلوم الاجتماعية، تصدير ومراجعة إبراهيم مدكور، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٥.

١٧- المعجم العربى للعلوم الاجتماعية، منظمة الأمم المتحدة للتعليم والعلوم والثقافة (يونسكو)، والمركز الإقليمى العربى للبحوث والتوثيق فى العلوم الاجتماعية (اراكس) القاهرة، ١٩٩٤.

١٨- نوال السعداوى، **الوجه العارى للمرأة العربية**، بيروت، ١٩٧٧.

١٩- نورا أمين، « دراما »، **إبداع**، يوليو ١٩٩٦ العدد السابع.

مراجع أجنبية:

٢٠- B. Turner, The Body and Society, Basil Blackwell, Oxford, 1989.

* * *

الفصل الحادى عشر
وقاية المرأة من العنف، وحقوق الإنسان المسئوليات والتحديات(*)

تمهيد:

لما كانت حقوق الإنسان هى المقابلة لاحتياجاته، فإن الدعوة لحقوق الإنسان تعد جزءا لا يتجزأ من الصحة النفسية، وعلم الإجتماع، والخدمة الإجتماعية، حتى أنه يمكن القول أن حقوق الإنسان هى المُنظِّر، للمارسين والمشتغلين بالمهنة الثلاثة المذكورة آنفا، حيث يعملون، خلال سعيهم إلى تلبية احتياجات الناس، على تعزيز حقوقهم الفردية والجماعية، وذلك بإحداث تغيرات اجتماعية فى المجتمع بصفة عامة: فضلا عن تغييرات فى أشكال تنميته المختلفة.

فقيمة الحياة مثلا.. هى الشرط الأساسى لتبرير جميع الأعمال المتعلقة بحقوق الإنسان. والحرية هى أثمن القيم الإنسانية بعد الحياة.. وأوثقها صلة بكرامة الإنسان، والمساواة وعدم التمييز هى حجر الزاوية بالنسبة لمبدأ العدالة. والعدالة تتضمن ضمن ما تتضمنه أشباع حاجات الإنسان الأساسية، واقتسام الموارد المادية على أساس المساواة. والتضامن قيمة لا تعنى فقط تفهم معاناة البشر.. وآلامهم .. والتواصل معهم.. بل يشمل أيضا التوحد مع المتألمين واتخاذ موقف مؤيد لقضيتهم.

(*) بحث للمؤلفة قدم إلى المؤتمر السنوى الثانى للصحة النفسية والوقاية ـ العنف ـ وقاية المرأة والطفل من العنف ـ القاهرة ١٩٩٨.

وهناك صكوك دولية تضمنت وصفا للظروف التى صدرت فيها وأهدافها.. وأهم الحقوق التى كفلتها وأهمها:

ـ الصكوك التى تنص على الحماية العامة مثل ميثاق الأمم المتحدة.. والإعلان العالمى لحقوق الإنسان.

ـ الصكوك التى توفر حماية خاصة مثل الإتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، واتفاقية حقوق الطفل.. وتعنى هذه الصكوك بضمان حق ما يمكن وصفه بالفئات المستضعفة مثل المرأة، والأطفال، والأقليات، والعمال المهاجرين وأسرهم.. وهى الفئات التى تحتاج إلى عناية واهتمام أكبر من قبل الأخصائى النفسى، والإجتماعى، واخصائى الخدمة الإجتماعية.. نظرا لزيادة حجم الضغوط التى تتعرض لها هذه الفئات مقارنة بحجم الضغوط التى تتعرض لها باقى فئات المجتمع.. وعجزها عن مواجهة هذه الضغوط بمفردها دون مساعدة وتضامن الآخرين.

وهناك تداخل بين تلبية احتياجات الناس.. والدفاع عن حقوقهم.. ويظهر هذا بوضوح فى حالة مواجهة الفقر، فالأخصائى النفسى، والأخصائى الإجتماعى، وأخصائى الخدمة الإجتماعية... عندما يحاولون مساعدة الفقراء فى التغلب على ما يعانون من مشكلات.. فإنهم يعملون فى الوقت نفسه.. على الدفاع عن حق الفقراء فى التمتع بحياة كريمة وآمنة.. وحقهم فى العمل.. وفى الحصول على خدمات صحية.. وحقهم فى التعليم.. والحياة فى بيئة نظيفة.

ويظهر هذا التداخل أيضا فى قضايا العنف ضد المرأة لاسيما العنف البدنى مثل الضرب، والتشويه الجسدى (الختان).. فإن التدخل هنا من قبل المتخصصين (طب نفس ـ اجتماع ـ خدمة اجتماعية) للتوعية والوقاية.. وإعلام الوالدين مثلا بخطر عملية الختان.. إنما يعد حفاظا على حق الفتاة فى حماية سلامة جسدها.. وهو حق تقرره المواثيق الدولية.. وأصعب الأمور فى هذا الصدد.. هو اتخاذ القرارات والأولويات من قبل المتخصصين التى عادة ما تكون مصحوبة بصدام بين القيم.. مما يصعب معه اتخاذ قرار دون قدر كبير من التفكير والفهم لأبعاد المشكلة.

العنف ضد المرأة: أرقام وأحصائيات:

(١) أسفر بحث «المرأة الجديدة» الذى قدم لمؤتمر بكين عن الأرقام الآتية:

(٦٦٪) من نساء عينة البحث تعرضن للإهانة فى أماكن عملهن. وقد أتخذت الإهانة فى (٧٠٪) من هذه الحالات الطابع الجنسى، و (٣٠٪) من الحالات التحرش بالكلام الجنسى، والتحرش باللمس (١٧٪)، والغزل المباشر (٢٠٪).

وقد أظهر البحث أيضا أن ما تعتبره النساء عنفا موجها من أزواجهن يتبلور فى ما يلى:

المنع من الإختلاف (٨٨٪).

المنع من السفر (٦٩٪).

المنع من الخروج (٨٢٪).

المعاشرة الجنسية بالإكراه (٩٣٪).[١]

(٢) اعترف الإعلام المصرى بالعنف الذى يمارس ضد المرأة المصرية.. فقد نشرت جريدة الأهرام الرسمية فى عددها الصادر يوم ١٩٩٧/٢/٧ بعض الأرقام مستقاة من بحث أجراه المجلس القومى للسكان .N.P.C.

وقد ظهر من البحث أن (٣٥٪) من المصريات المتزوجات تعرضن للضرب من قبل أزواجهن على الأقل مرة واحدة منذ زواجهن.. وأن الحمل لا يحمى المرأة من هذه العنف.. وأن (٦٩,٩٪) من الزوجات يتعرضن للضرب فى حالة رفضهن لمعاشرة الزوج.. وأن (٦٩,١٪) يتم ضربهن فى حالة الرد عليه بلهجة لم تعجبه. وقد اعتمد هذا البحث على سبعة آلاف زوجة فى الريف والحضر.. وتبين من البحث أيضا أن المرأة الريفية تتعرض للضرب أكثر من المرأة الحضرية.[٢]

(٣) وقد شهد عام ١٩٩٦ منحنى جديدا فى العنف الموجه ضد المرأة المصرية، وخصوصا جرائم الإغتصاب التى احتلت رأس القائمة. وقد وصلت جرائم اغتصاب الفتيات الصغيرات إلى مستوى ينذر بالخطورة لما تضمنته من مظاهر جديدة.. كان

منها أشتراك أكثر من رجل فى إغتصاب طفلة واحدة، وإغتصاب التلميذات بواسطة مدرسيهن.. وأخيراً حرق وتمزيق الضحايا لإخفاء هذه الجرائم.

ويصف علماء النفس الإغتصاب على أنه أبشع أشكال العنف.. نظرا للتأثيرات النفسية الضارة التى يلحقها بالأفراد والمجتمعات.(٣)

أما عدد ضحايا جريمة الختان خلال عام ١٩٩٦ بالرغم من قرار وزير الصحة بتحريم إجراء عمليات الختان فى المستشفيات التابعة للوزارة حيث كان ضمن الضحايا (١٤ ضحية) وردت عنهن معلومات بالصحف خلال ذات العام، وكان من بين هذه الحالات (خمسة حالات وفاة نتيجة جريمة الختان) وتنوعت النتائج فى الحالات الأخرى.. ما بين النزيف الحاد.. والإكتئاب... والصدمة العصبية.. والعاهة المستديمة.. وقد كان أصغر سن للفتيات المختنات (٩ سنوات) وكانت أكبرهن (١٥ عاما) إلا أن هذا العام لم يمض إلا وكانت هناك عديد من الخطوات التى أنجزت فى اتجاه إنهاء هذا العنف.. كان أهمها نجاح الحملة ضد جريمة الختان والتى أسفرت عن قرار وزير الصحة بمنع إجراء عمليات الختان فى المستشفيات.

وقد كان صدور بيان العنف، وتشكيل المحكمة المناهضة للتمييز والعنف ضد المرأة خطوة إيجابية فى هذا الإتجاه.. الذى نشط فيه الكثيرون خلال سنوات.. من أجل إنهاء أشكال العنف والتمييز الذى تتعرض له المرأة.(٤)

وقاية المرأة من العنف: المسئوليات والتحديات

إن العالم فى الحقيقة يعيش فى مرحلة متوترة من تاريخ البشرية.. ولعلنا نلاحظ أن نبرة العنف العالمى أصبحت عالية جدا.. ومتصاعدة جدا.. وهناك ما يحدث فى البلقان على سبيل المثال. . الجرائم الجماعية.. والمذابح اللا إنسانية التى تحدث كل يوم فى أكثر من مكان فى العالم.. واتسم العنف ضد النساء.. وبخاصة الإغتصاب بأنه وصمة عار جديدة فى الحروب الأخيرة. فقد أستهدفت الصراعات.. فى البوسنة والهرسك ورواندا الفتيات والنساء حيث تعرضن للإغتصاب والسجن والتعذيب والإعدام.

وليس ما ذكرناه آنفا.. تبريرا لما يحدث فى مصر.. وإنما لوضع الأمور فى سياقها الأكبر.. والمعقد، وقد يسجل التاريخ أن الفترة منذ **١٩٩٢**، ربما تكون أسوأ فترة عنف فى تاريخ مصر كله.. إن سلة العنف بدأت تمتلئ.. وطوال الوقت يلقى فيها بثمرات معطوبة فما هو المخرج من هذا كله؟!.

(١) لابد من أجل وقاية المرأة من العنف أن تتعاظم مشاركة المرأة فى الحياة العامة.. بقوة الدستور والقانون.. وأن يدخل فى ذلك التفكير الجاد فى تعديل الدستور بما يضمن تمثيلا عادلا للمرأة فى كل المجالس الشعبية والمنتخبة.

(٢) فك الحصار عن القوانين المقيدة لتكوين الجمعيات والتنظيمات النسائية الأهلية.. فهذه وحدها هى القادرة ليس فقط على حماية منجزات المرأة، وإنما أيضا تنمية هذه المنجزات.

(٣) تنقية برامج التعليم والإعلام من القيم المناهضة للمرأة.

(٤) تعظيم حرية الأختيار للمرأة، فلابد أن يكفل لها هامش واسع من حرية الإختيار سواء فى التعليم، أو العمل، أو المشاركة الحكومية والأهلية، أو فى الصحة الإنجابية، أو تنظيم الأسرة.. فهذه الحرية إلى جانب حرية الحركة والتنظيم هى التى ستكفل تمكين المرأة وتقويتها (Women Empowerment) على المدى الآنى والمستقبلى.(٥)

(٥) من أهم التحديات التى تواجه وقاية المرأة من العنف، وتهددها، الفرق بين ما يقال وما يمارس.. هناك كلام جميل يقال عن المرأة.. لكن ما يمارس يختلف ويناقض ما يقال، ولدينا آلاف الأمثلة على ذلك من القانون ومن الدين، ففى الدين على سبيل المثال نصوص رائعة التى تحض على معاملة المرأة معاملة حسنة، وكذلك فى القانون.. لكن التطبيق غير ذلك تماما.. فمن المهم إذن أن يتطابق القول والممارسة فى معاملة المرأة.

أهم المراجع:

(١) «**سالمة**»، نشرة غير دورية تصدرها مجموعة مناهضة العنف ضد المرأة، العدد الأول، فبراير ١٩٩٧.

(٢) National Population Council, Demographic and Health Survey "EGYPT" 1995, Macro International Corporation 1996. PP: 2o6 - 216.

(٣) هيئة اليونسيف، استخدام العنف الجنسى كأحد أسلحة الحروب، تقرير وضع الأطفال فى العالم ١٩٩٦.

(٤) «**سالمة**»، المصدر السابق.

(٥) المرأة المصرية والحياة العامة، دار الأمين للنشر والتوزيع ١٩٩٧، الجزء الأول، ص ٣١.

الفصل الثانى عشر

المرأة والتنمية والإعلام
بين الموروث الثقافى، والواقع المصرى والعربى(*)

تمهيد :

إن العدالة الإنسانية، تقتضى سياسة إنسانية، تؤمن بحق كل إنسان فى المجتمع، فى أن يشعر بقيمته وفعاليته وتحققه.

وجوهر التنمية من منظورها الإنسانى، هو توجيه الجهد الإنسانى، بأعلى درجات الكفاءة، نحو التعامل مع عناصر الثروة المختلفة، على النحو الذى يولد قيمة مضافة، يتحقق بها نمو المجتمع.

وقضية القضايا فى برامج التنمية، هى خلق الحوافز لدى أفراد المجتمع ليشاركوا بالجهد المنظم فى تنفيذ خطط التنمية وبرامجها، وتأهيلهم لهذه المشاركة بكل الطرق الممكنة.

وفى هذا السياق فإن المجتمع الذى تعطل فيه طاقات جانب كبير من أفراده، عن أن توظف لتحقيق برامج التنمية هو مجتمع متخلف، يحتاج فى غير إبطاء، إلى إنقاذه من تلك الدائرة الخبيثة Vicious Circle التى تتمثل فى زيادة عدد السكان، مع استمرار هؤلاء السكان عبئًا على محاولات التنمية بسبب أن كلا منهم يستهلك أكثر ما ينتج.. ويمثل وجوده قيمة منقوصة لا قيمة مضافة إلى الثروة القومية.

(*) بحث للمؤلفة قدم إلى المؤتمر الأول لقمة المرأة العربية ـ القاهرة نوفمبر ٢٠٠٠

أما المجتمع الذى ينجح فى توظيف طاقات أكبر عدد من أبنائه، وفى رفع كفاءة هذا التوظيف، فإنه يكون خارج نطاق الأزمة، ويكون من حقه أن يتوقع معدلات متزايدة للنمو الاقتصادى، والاجتماعى، مع كل زيادة سكانية، لأن هذه الزيادة ستمثل، حينئذ، زيادة فى عدد من يقدمون قيمة مضافة للمجتمع.

ومن الثابت، تبعًا لنتائج البحوث والدراسات، أن المجتمع المصرى، والمجتمع العربى المعاصر، لايزال عاجزًا عن توظيف طاقات العديد من أبنائه.

ومن أهم أسباب ذلك **أن وضع المرأة فى الحياتين الاجتماعية والاقتصادية**، ما يزال مشوبًا **بالبلبلة، والاضطراب**، وهما عاملان، قد أديا، فى آخر الأمر، إلى **حرمان المجتمع من أداء المرأة لدورها فى تنميته، وتحقيق تقدمه**[١].

ولما كان أهم أسباب هذه البلبلة والاضطراب فى موقف المجتمع من المرأة ودورها فى التنمية، والإعلام هو تأثير الموروث الثقافى، فإن **هذا البحث سوف يركز على أثر الموروثات الثقافية على دور المرأة فى التنمية بعامة، وفى الإعلام على وجه الخصوص كما أنه يفحص ميكانيزمات تحجيم هذا الدور أو تفعيله فى الواقع المصرى والعربى**.

الموروث الثقافى :

يعرف «تايلور» (Tylor) الأنثروبولوجى الشهير الثقافة Culture بأنها ذلك الكل المركب المعقد الذى يشمل المعلومات والمعتقدات والفن، والأخلاق والعرف والتقاليد، والعادات وجميع القدرات الأخرى التى يستطيع الإنسان أن يكتسبها بوصفه عضواً فى مجتمع[٢].

ولايزال هذا التعريف للثقافة هو أشهرها على الإطلاق، على الرغم من أن تعريفات الثقافة تتجاوز المائة تعريف.

وتنفرد التعريفات التاريخية للثقافة بأنها تجعل التراث الاجتماعى والتقاليد على وجه الخصوص فى بؤرة اهتمامها فيذهب «لنتون» (Linton) إلى أن الوراثة الاجتماعية هى الثقافة، فالثقافة كإصطلاح عام تعنى الوراثة الاجتماعية، أما

«بارسونز» (Parsons) فيرى أن الثقافة تتكون من تلك النماذج المتصلة بالسلوك، وبمنتجات الفعل الإنسانى التى يمكن أن تورث بمعنى أن تنتقل من جيل إلى جيل بصرف النظر عن الجينات البيولوجية.

ويعزى الفضل إلى هذه التعريفات التاريخية فى أنها ألقت ضوءاً على حقيقة أن البشر لهم تراث اجتماعى إلى جانب التراث البيولوجى، وهو تراث ينبع من عضويتهم فى جماعة لها تاريخيها(٣).

وسوف يركز هذا البحث على **أهمية القيم، والعادات، والتقاليد والعرف، كموروثات ثقافية بالغة الأثر.**

القيم:

يرى «برى» (Perry) أن القيم هى الاهتمام (Intreest) «أى اهتمام بأى شيء» فمن رأى «برى» أنه إذا كان أى شيء (أيا كان) موضوع اهتمام، فإنه حتما يكتسب قيمة.

أما «ثورنديك» (Thorndicke) فيرى أن القيم تفضيلات (Preferences)، وأن القيم الإيجابية منها والسلبية تكمن فى اللذة أو الألم، أو الارتياح أو عدم الارتياح الذى يشعر به الإنسان، كما تتوقف أيضاً على تفضيلاته للأشياء.

والواقع أن الإنسان على حد قول «كلاكون» (Kluckhohn) «حيوان مقوم»، فهو دائمًا، وفى كل زمان ومكان، يقوم الأشياء، أو بعبارة أخرى يصدر أحكامًا عليها، فيرى أن هذا خير، وذاك شر، وهذا صواب، وذاك خطأ، وهذا نافع وذاك ضار، وهذا مرغوب فيه وذاك مرغوب عنه.

ولاشك فى أن هذا سلوك طبيعى، لأن الأشياء فى هذه الدنيا ليست جميعها سواء ولكنها تتفاضل فلا يستوى جمال وقبح، ولا فضيلة ورذيلة، ولا طيبة وخبث، ولا علم وجهل وكذلك لابد أن يفضل الإنسان فى سلوكه شيئًا على آخر ولابد أن يحكم بأن هذا حسن وذاك أحسن، وهذا صواب وذاك أصوب، وهذا جميل

وذاك أجمل ومادام الإنسان يفضل ويستحسن، ويرجح فهو يتجه نحو القيم، أو بالأحرى يهتدى بهدى القيم فى سلوكه(٤).

ومادامت القيمة إنسانية شخصية تتوقف على الاعتقاد، فلابد إذن **أن تكون «نسبية»** (Relative) بمعنى أنها تختلف عند الشخص بالنسبة لحاجاته ورغباته وتربيته وظروفه، كما لابد أن تختلف أيضًا من شخص إلى شخص، ومن زمن إلى زمن، ومن مكان إلى مكان، ومن ثقافة إلى ثقافة، فمن يحب شخصًا أو شيئًا، ويميل إليه يرى له قيمة عنده، وبالعكس لا يرى قيمة لمن يكرهه أو مالا يأبه به.

وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدى المساويا

ولما كانت القيم تقتضى الاختيار، ولما كان الاختيار يفضى إلى الإيثار، ويقوم الإيثار على الترجيح والتفضيل، كان لابد من وجود ما اصطلح العلماء على تسميته «سلم القيم» (The Value Scale) فالتفضيل ينتج عن وضع الأشياء فى مراتب ودرجات، بعضها فوق بعض، وبعضها أرفع من بعض ولذلك كان من خصائص القيم أنها تترتب فيما بينها ترتيبًا **هرميًا**، فتهيمن بعض القيم على غيرها، أو تخضع لها.

والفرد فى حياته يحاول أن يحقق كل رغباته التى يعتقد أن لها قيمًا عنده، ولكن طبيعة الحياة نفسها وطبيعة الظروف المحيطة به، تحول دون ذلك وكثيراً ما يحدث **تعارض بين القيم التى يدين بها**، ولذلك نجد أنه يحاول أن يخضعها بعضها لبعض، فيخضع **الأقل قبولاً عند الناس للأكثر قبولاً** وفقًا لترتيب خاص به **والملاحظ أن ترتيب قيم الأشخاص، والأشياء، والمعانى، لا يظل على حال واحدة ثابتة فى سلم قيم الشخص، بل يتغير تبعًا لتغير نظرته للحياة على العموم، وبالنسبة لنموه، وتطوره، ووعيه، ونضجه الجسمى والعقلى والاجتماعى**. فقيم الفرد وهو شيخ مسن، تختلف عن قيمه وهو كهل، عنها وهو شاب.. عنها وهو مراهق.. عنها وهو غلام.. عنها وهو فى سنوات الطفولة الباكرة(٥).

تغيير القيم :

ويلاحظ أن أى تغير فى «الاهتمام» أو فى «الشيء» «موضوع الاهتمام»، ينتج عنه تغير فى القيمة ومعنى ذلك أننا نستطيع أن نغير من قيم الشخص إذا غيرنا موضوعات اهتمامه (Objects Of interest)، بل يمكن أن نذهب إلى أبعد من ذلك فنقول : إنه يمكننا أن نخلق فى الأفراد قيمًا جديدة لم تكن موجودة من قبل إذا أدخلنا فى حياتهم موضوعات يهتمون بها، أ إذا كونا عندهم اهتمامات جديدة وذلك بأن يبدأ الرواد الواعون والمثقفون فى المجتمع نقد الممارسات والقيم التى أصبح التمسك بها غير مجد، وغير ملائم لروح العصر، ويكون هذا النقد منصبًا على استهجان هذه الممارسات، وإبراز ما فيها من عيوب، وتبشيع مساوئها حتى يفتر الاهتمام بها بالتدريج، ثم يمحى كلية، فيعزف الناس عنها.

وإلى جانب هذا النقد المنصب على القيم والممارسات القديمة، يقوم هؤلاء الرواد والمثقفون، فى الوقت نفسه، بجذب الاهتمام إلى قيم وممارسات جديدة، تحل محل القديمة. ولكى يسهل تحويل الاهتمام من القديم إلى الجديد، لابد من تقديم الأدلة والبراهين بالوسائل المختلفة، على أن القيم والممارسات الجديدة أكثر ملائمة، وإتفاقًا مع أوضاع المجتمع، لأنها أقدر فعلاً على تحقيق حياة أفضل، وتوفير منافع للناس تفوق الأساليب القديمة.

العادات الاجتماعية أو الطرق الشعبية: (Folkways)

العادة الاجتماعية، بصفة عامة، هى كل سلوك متكرر يكتسب اجتماعيًا، ويتعلم اجتماعيًا، ويمارس اجتماعيًا، ويتوارث اجتماعيًا[٦].

فالعادات الاجتماعية، ظاهرة اجتماعية، تمثل أسلوبًا اجتماعيًا بمعنى أنها لا يمكن أن تتكون وتمارس إلا بالحياة فى المجتمع والتعامل مع أفراده وجماعاته ومن أمثلة العادات الاجتماعية التى توضح الأسلوب الاجتماعى فى التصرف عادات التحية، وطرق إجراء المحادثة، وآداب المجاملة المختلفة، وطرق الخطبة والزواج وتربية الصغار، وطرق تناول الطعام، وإقامة الحفلات فى المناسبات المختلفة.. إلخ.

والعادات الاجتماعية بأوسع معانيها هى السلوك المتكرر الذى تفرضه الجماعة على الأفراد، وتتوقع منهم أن يسلكوه، وإلا يتعرضوا لاستياء الجماعة وسخطها وانتقامها وعلى ذلك يكون مفهوم العادات الاجتماعية مفهومًا عريضًا وواسعًا جداً وشاملاً كل الشمول لكل ماهو مؤيد، ومقبول من طرق العمل، وأنماط السلوك التى تمارس اجتماعيًا، والتى تم تكوينها ليهتدى بها الناس فى معيشتهم بعضهم مع بعض.

والإنسان كما يقول عنه «باجوت» (Bagehot) حيوان صانع عادات، فطبيعته كإنسان، تحتم عليه أن يقيم صرحًا من العادات والمعتقدات، وهو إذ يفعل ذلك إنما يرسى دعائم المجتمع، ووسيلته إلى ذلك، الشعور بالحاجة الإشباع، والقوة الخفية وراء المحاكاة(٧).

وتلك العبارة أن دلت على شيء، فإنما تدل على أنه لا يمكن تصور قيام أى مجتمع منظم دون عادات اجتماعية، فهى الأصول الأولى التى استمدت منها النظم والقوانين مادتها، كما أنها القوى الموجهة لأعمال الأفراد وحياتهم.

وأن دور العادات الاجتماعية فى الضبط والتنظيم لا يقل شأنًا وأثرًا، عن دور القوانين الوضعية. فإذا اعتبرنا القوانين سلطة المجتمع المكتوبة والموضوعة، فإننا نعتبر العادات سلطته غير المكتوبة ودستوره المحفوظ فى الصدور، ذلك الدستور الذى يوجه أفعال الناس ويسيطر عليها فى جميع العصور، وفى كل مراحل الثقافة المختلفة، وفى كل زمن ووقت، طوال اليوم من الصباح إلى المساء وطوال العمر من الطفولة والشباب إلى الكهولة والشيخوخة فهى تغمر الإنسان، وتحيط به فى كل مناسبة وفى كل معاملاته مع غيره فى المجتمع، والإنسان يخضع لها ويطيع أوامرها بشكل يفوق كثيراً حد التصور لهذه الحقيقة.

فنحن نرتدى الملابس وفقًا للذوق العام المألوف فى مجتمعنا، كما أننا نختار أنواع الطعام المناسبة لكل وجبه من وجبات اليوم على حسب ما تقرره عاداتنا، ثم نعده ونهيئه، ونقدمه للأكل، بل نأكله أيضًا بطرق تقليدية معينة تمليها علينا ثقافتنا وأوضاعنا الخاصة بنا.

وإلى جانب ذلك فإننا نعمل أعمالنا اليومية، ونؤدى واجباتنا، ونقوم بمسئولياتنا المختلفة، متبعين فى ذلك الطرق السائدة فى مجتمعنا، بجميع صور التعامل، وأشكاله، ونحترم قوانين الشرف، والعمل، وعلاقة الرجل بالمرأة، وطرق تربية الأبناء وكذلك طرق الملبس، والمأكل، وواجبات السلام والتحية، والمسامرة، وأصول التعارف، والتزاور.. إلخ.

أقسام العادات الاجتماعية، ودرجات إلزامها:

والعادات الاجتماعية تشتمل على أقسام كثيرة، وتتفرع إلى فروع متعددة، إذ تتضمن كل ما تواضع عليه الناس من عادات إتفاقية، وعرف ومحرمات، وسنن، وتقاليد، وآداب لياقة، وشعائر، وطقوس، ومراسم وممارسات، و «موضات»، وبدع، و «تقاليع»، أو نزوات.

وكل هذه الفروع التى تتفرع إليها العادات الاجتماعية تتشابه إلى حد كبير لأنها تتفرع من أصل واحد، ولكنها تختلف بعضها عن بعض مثلها فى ذلك كمثل قطع النقود التى تختلف وتتنوع فى الحجم، والوزن، والقيمة، لكنها تتشابه فى أنها كلها من معدن واحد، وأنها أساس للتعامل.

وفروع العادات الاجتماعية السابقة الذكر تختلف بعضها عن بعض من حيث درجة الإلزام، ومدى السيادة، أو الشيوع والانتشار، وكذلك من حيث الدوام والبقاء، ومن حيث الجزاءات التى تسندها.

فعادة ختان الأنثى على سبيل المثال، عادة اختيارية أو تفضيلية (Optional) أما العادات الملزمة، القديمة والعريقة فى القدم، فهى العرف، والمحرمات وهناك عادات ملزمة مستحدثة، «كالموضات»، وبخاصة لفئات معينة من الناس.

فاحترام المرأة للرجل، وخضوعها له من العادات الاجتماعية الشائعة والمنتشرة، والسائدة، كما أن العادات المتعلقة بالزواج وتربية الأطفال، هى من العادات الأصيلة الراسخة العريقة، التى تدوم أجيالاً طويلة يتوارثها الخلف عن السلف.

أما من حيث الجزاءات التى تساند العادات الاجتماعية المختلفة فهى جزاءات اجتماعية تتمثل فى التحقير الاجتماعى بمختلف أساليبه ودرجاته، كالامتعاض، والاستهجان، والاستخفاف، والسخرية، واللوم، والعدوان. الأمر الذى يفقد الفرد، مكانته الاجتماعية، ويسلبه احترامه، وتقديره.

الاتصال بنواح اسطورية وخرافية:

ومن مميزات العادات الاجتماعية أو الطرق الشعبية (Folkways) فى جميع الثقافات بصفة عامة، وبصفة خاصة أيضًا فى المجتمعات المتخلفة، والثقافات المنعزلة، والقطاعات التى تنتشر فيها الأمية، أنها تتصل بنواح أسطورية وعناصر سحرية وخرافية، كالاعتقاد فى أن أرواح أجدادنا، وأسلافنا تغضب أشد الغضب إذا نحن حاولنا أن نغير أو نقطع عاداتهم التى ورثونا إياها وفى ذلك تقول العامة فى مصر «قطع العوايد فال» أى فأل سيئ ونذير شؤم محقق. كما يقولون «قطع الورايد ولا قطع العوايد».

فكثير من المصريين ولا سيما الريفيين لايزالون يرفعون الأغطية عن الأوانى، ويفكون العقد المربوطة، ويفتحون النوافذ، لتسهيل عملية الولادة، كما أنهم يستعينون لتسهيل هذه العملية، بمفتاح باب ضريح أحد الأولياء، ويضعونه على ظهر المرأة لتيسير الوضع المتعسر.

كما نذكر من العادات التى تنتشر فى مناسبة «سبوع» المولود استعمال الأحجبة والتمائم (للأم والطفل) وأشعال الشمع، واطلاق البخور، ورش الملح، أو خليط من الملح وبعض الحبوب كالأرز، والعدس، والفول لطرد الأرواح الشريرة، أو إبطال السحر.

والمرأة التى تشعر مثلاً بالقلق لعدم النسل عموما، أو لعدم «خلف» الصبية بالذات، وتخشى على حياتها الزوجية من التصدع، قد تلجأ إلى السحر لتحقيق غايتها، وبخاصة إذا كانت تجهل الحقائق العلمية المتعلقة بالتناسل والحمل.

ومن أمثلة العادات المرتبطة بهذا الأمر، ممارسة النساء، «الوصفات البلدية»، وعمل الأحجبة والتعاويذ، والتمائم، وفك العمل المعمول ضدهن، إذ يتوهمن أن فى هذه الممارسات إنقاذا لهن من أخطار تهددهن.

ومن عادة بعض المصريين عمل «تحويطة» للعروسين، توفق بينهما وتحيطهما بسياج سحرى، يمنع عنهما الحسد والعين. ففى هذه العادة، يجتمع التأكيد على منع الخطر، الذى قد يتعرض له العروسان، من العين أو الحسد، مع ما تجلبه التحويطة من خير يتمثل فى التوفيق بينهما.

والواقع أن الخوف الشديد والتوجس المستمر تعد من أهم الأسباب التى تساعد فى شيوع العادات الخرافية، وبخاصة إذا اجتمع مع هذا الخوف الشديد، الجهل، والشعور بالعجز، عن العمل الإيجابى.

ومن أمثلة العادات التى تؤدى وظيفة تفسير الظواهر الغريبة العادة المنتشرة عندنا فى الريف وفى كثير من المناطق المتخلفة Slumms فى المدينة، وهى تفسير جفاف اللبن عند الأم الوالدة حديثًا «بالكبسة» و «الكبسة» فى نظر السذج وكثير من العوام تحدث من دخول إحدى السيدات (على الأم المرضع) ومعها أشياء معروفة لمن يعتقدون فى «الكبسة» مثل الباذنجان أو اللحم، أو السمك، أو تكون متحلية بحلى من الذهب، أو الماس، وكذلك تراعى أسرة (الوالدة المرضع) منتهى الدقة، والحذر فى تحريم دخول أى شخص، تكون معه مثل هذه الأشياء المسببة «للكبسة».

ونذكر من هذا النوع أيضًا، العادات المنتشرة فى كثير من بقاع مصر، والتى تفسر الأمراض أو بعض الحوادث المؤلمة، أو الإخفاق فى الحياة، أو فى بعض المشروعات والأمور، بأن الشخص قد إصابته عين، أو حسده حاسد، ولذلك يلجئون إلى عمل «عروسة» من الورقة، تصور لهم الشخص الحاسد، ويثقبون موضع عينيها بالإبرة ثم يحرقونها فى النار مع مخلوط من الشبة والفسوخ، والملح، إبطالاً لأثر العين، ودرءاً للحسد.

وقد يتبع هذا الأجراء بإجراء آخر، يلزم الشخص المحسود، أن يلبس حجابًا فيه راس هدهد محنطة، أو جزء من ذيل كلب، أو بعض أسنان ذئب، أو عقرب مجفف، أو حرباء مجففة أو بعض من قطع النقود الصغيرة مع قليل من الملح.

ومن العادات الخرافية التى تستهدف جلب السعادة والنفع من أمثلتها، عادة تقضى بأن تدخل العروس بيت الزوجية برجلها اليمنى قبل اليسرى، لكى تكون موفقة فى حياتها الزوجية، وعادة أخرى تقضى بأن يحمل العريس عروسه أول مرة تدخل فيها منزل الزوجية، حتى لا تتخطى عتبة المنزل لأنها لو فعلت ذلك لتعرضت حياتها للشقاق، وربما تطلق، وتعود إلى منزل والدها.

كذلك من العادات الشائعة فى مصر، والتى تستهدف جلب السعادة والنفع، وهى من العادات الخرافية، عادة قرص العروسة فى ركبتها ليلة زفافها، اعتقاداً بأن هذا الإجراء يعمل على إسراع زواج من تقرصها فى ليلة زفافها، وهى تتمتم بهذه الجملة «قرصتك فى ركبتك، حصلتك فى جمعتك».

ومن العادات الخرافية التى تستهدف دفع الضرر والسوء عن الشخص، فى الثقافة المصرية والعربية، وضع مصحف فوق رأس العروسة وقت القران منعًا للعين والحسد، ولبس الأم التى يموت أولادها، خلخالاً من حديد لكى يعيش أولادها مستقبلاً، ورش الملح أو بعض النقود فى زفة العروسين منعًا للحسد والعين وكذلك العادة التى تقضى على الأم فى بعض المناطق الريفية، والمتخلفة أن تظهر الصبى الذى يولد بعد موت أشقائه، بمظهر البنت، فتثقب أذنيه، وتلبسه قرطين مثلاً، أو تطيل شعره، وتلبسه ملابس البنات، أو تتركه بقذارته دون تنظيفه، أو تسميه باسم بنت، أو غيره من الاسماء الغريبة مثل «شحات» أو «خيشة» وقد تستجدى عليه فعلاً، اعتقاداً بأن هذه الإجراءات تجعله قليل الشأن والقيمة، فلا تعبأ به عين الحسود، ويخطئه الأذى والموت.

وهناك من يعتقد بقداسة بعض الأماكن، أو الاعتقاد بقوتها السحرية، وهو اعتقاد منتشر فى ثقافات كثيرة، وهو معروف لنا جميعًا فى ثقافتنا المصرية، فهناك

بعض السيدات اللاتى يأتى أغلبهن من القرى القريبة من القاهرة، ومن بعض المناطق الشعبية فى القاهرة نفسها، وأحياناً من بعض المناطق الراقية، لزيارة جامع الجيوشى بالمقطم، ثم يستلقين على ظهورهن فى بهو منحدر «الأرضية» قريب من الضريح، ويتدحرجن إلى أسفل البهو وهن يعتقدن أن زيارة هذا المكان بالذات، وممارسة هذا «الطقس» ألا وهو التدحرج، يذهب عنهم العقم الذى يعكر صفو حياتهن.

آداب اللياقة :

ومن أهم العادات الاجتماعية، تلك التى تتضح فى طائفة العادات التى تعرفها لغتنا العربية بآداب اللياقة والتى يقال عنها بالأوروبية (Etiquette) أو (Protocol) برتوكول أو شمائل حسنة (Good Manners).

فآداب اللياقة إذن هى مجموعة الممارسات التى تحدد تحديداً دقيقاً، وتفصل تفصيلاً وافياً، معايير السلوك وطرق التصرف اللائقة، أو الواجبة الاتباع، إزاء الأفراد عند تعاملنا معهم فى مناسبات معينة ولذلك يقال عن الشخص الذى يلتزم بآداب اللياقة المتعارف عليها فى بيئته وثقافته : أنه «يعرف الأصول» أو «يعرف الواجب» أو أنه صاحب واجب، أو أنه «إنسان بمعنى الكلمة».

ولأهمية آداب اللياقة فى تماسك الجماعة، وأثرها البالغ فى نشر السلوك المستحب الذى يعطى الجماعة صفات مميزه، حرص كثير من الكتاب والمؤلفين على تدوينها فى الكتب والمجلات، وأبيات الشعر، لتسهيل إشاعتها، وتيسير معرفتها، وتكاد تكون هذه الطائفة من العادات هى الطائفة الوحيدة التى انتشر تدوينها أما باقى العادات كالعرف والتقاليد بصفة خاصة فهو من النوع المحفوظ فى الصدور والمنقوش فى النفوس.

التقاليد : Traditions

إذا اتصف السلوك بأنه تقليدى، يستشف من ذلك أن مزاولته دامت حقبًا طويلة، وأنه محاكاة لسلوك القدامى ومتوارث عنهم، وهذا المعنى مذكور فى المعجم

الوسيط إذ جاء أن «التقاليد» هى العادات المتوارثة التى يقلد فيها الخلف السلف[٩].

أما فى اللغة الإنجليزية فإن معنى الألفاظ Traditions، و Traditional، هو كما يقول Max Radin تستخدم بمعنى قديم (old)، وراسخ وعريق Long established، كما أن معناه الاستبقاء يدل على التسليم، والتوصيل والنقل، وبذلك يكون معنى التقاليد ما تنوقل من السلف إلى الخلف.[١٠]

ويقول الدكتور حسن الساعاتى، مبرزاً خاصية التقاليد المميزة، وهى التوارث والانتقال : «أن التقاليد عادات مقتبسة اقتباساً رأسيًا، أى من الماضى إلى الحاضر، ثم من الحاضر إلى المستقبل، فهى تنقل وتورث من جيل إلى جيل، ومن السلف إلى الخلف على مر الزمان.

واقتباس التقاليد لا تقف فى طريقه الموانع، لما بين المورث، والمقتبس من التباين العظيم فى التأثير والأثر. فالطفل مثلاً يميل إلى التقليد كما أنه سريع التأثر بما يشاهده من سلوك الكبار الذين يتعاملون معه ولذلك كان تأثره بوالديه عظيمًا، ويزداد تمسك الفرد بالتقاليد مع مرور الزمن، لأن ما يفعله الفرد مرة، ويستحسنه يميل إلى فعله مرة أخرى فمرات. وإذا ما تكرر فعله وكان لايزال يتسحسنه ويستسهله فإنه يود أن غيره يفعله أيضًا ولا سيما إذا كان هذا الشخص الآخر عزيزاً لدية كإبنه مثلا»[١١].

وإذا استمر هذا الميل من جيل إلى آخر قوت التقاليد ويمكن القول بأن التقاليد كالدرب الذى كلما طرقه المارة تمهد وسهل السير فيه، حتى أنهم لا يستطيعون فى آخر الآمر العدول عنه إلى درب آخر غير مطروق. ويزيد التقاليد قوة أن أبناءنا يتمسكون بها وأننا ننشأ فنجدهم بها متمسكين وعليها حريصين ولذلك كان أصعب دور كلف إياه الأنبياء والمرسلون تغيير عادات القوم المتوارثة، زى تقاليدهم.

وتتضمن الفقرة السابقة، إلى جانب فكرة التوريث كثيراً من الأفكار الأخرى المميزة للتقاليد، فهى تتضمن فكرة التعمد من جانب الأسلاف المورثين فى نقل

وتوصيل العادات التى يستحسنونها، ويستسهلونها إلى الخلف كما تتضمن أيضًا فكرة التمسك بهذه العادات والحرص عليها من جانب الخلف المقتبسين.

ومن الأفكار التى تضمنتها أيضًا الفقرة السابقة، فكرة صعوبة تغيير التقاليد، وهى مترتبة على الأفكار التى سبقتها وتتناغم معها.

العرف : Custom

العرف نوع من العادات التقليدية يشبه التقاليد من ناحية أنه تقليدى وعريق ومتوارث وملزم، إلا أنه يختلف عنها فى درجة إلزامه، وانتشاره، وشموله، وعموميته. فالتقاليد كما سبق أن بينا ـ عادات تهم جماعة، أو فئة أو طبقة، فى عادات ضيقة النطاق نسبيًا فى إنتشارها. أما العرف فهو ذلك النوع من العادات واسعة النطاق فى انتشارها التى ليست فى مصلحة جماعة بالذات دون أخرى بل هى عادات فى مصلحة المجتمع أو الأمة، ولذلك كان العرف فى إلزامه وشموله، وعموميته أقرب إلى القانون منه إلى التقاليد.

ويمكن أن ننظر إلى مكانة العرف وأهميته فى المجتمع بالنسبة لباقى العادات، كما ننظر لمكانة النواة وأهميتها بالنسبة للبروتوبلازم فى الخلية الحية، فالعادات الإجتماعية هى الجسم والمادة، أما العرف فهو القلب والروح بالنسسبة لها[١٢].

والعرف فى سيطرته، وضغطه على الناس قوى قدير، وسيد مطاع ولذلك قيل «العرف سلطان» Custom is King والحق أنه طاغية Tyrant، وبخاصة فى المجتمعات البدائية، والمجتمعات المنعزلة، والمجتمعات الريفية فهو فى هذه المجتمعات الحاكم بأمره الذى يقوم مقام القوانين الوضعية.

وليس معنى هذا، الإقلال من شأن العرف وأثره فى الثقافات الحضرية Urban Cultures، والمجتمعات المعقدة التى لجأت إلى القوانين الوضعية لتحقيق الضبط المطلوب، والتنظيم المنشود بين أفرادها وجماعاتها، فحتى فى هذه الثقافات الحضرية لايزال حقيقيًا أن معظم الناس محكومون فى سلوكهم وأعمالهم بالمظهر العرفى

للضبط، أى بالسنن أو الأعراف الآمرة، أكثر من كونهم محكومين بالمظهر الشكلى الظاهرى للضبط الاجتماعى أى بالقانون.

فالعرف يقف دائمًا للناس بالمرصاد سواء وجد القانون الوضعى أو لم يوجد، وهو من أقوى وسائل الضبط فى المجتمع. وعقاب العرف قد يكون أقسى من عقاب القانون فالعرف يعاقب عقابًا مباشرًا سريعًا ليس فيه تأخير مثل القانون وإجراءاته إنه يعاقب بالاحتقار، والازدراء، والتبكيت والكلام الجارح، والتهكم، والاستهجان، وقد يصم الشخص بوصمة عار لا تمحى بمرور السنين والأيام. والعرف فى توقيع هذه الجزاءات لا يسمع دفاعًا، ولا يقبل عذرًا، ولا يؤجل عقوبة، ولا يقبل حكمه نقضًا، ولا يعرف حكمًا مع وقف التنفيذ ـ لا شىء من ذلك كله، ولكن حكمه صارم، قاسى وعاجل.

فارتداء الملابس يعد عرفًا أصيلاً فى الأمم المتحضرة، أما كون الملابس من لون معين، أو من شكل معين، أو من طراز معين، فيعد أمرًا اختياريًا، بمعنى أنه إذا شذ شخص فى زيه عن الزى الشائع فى المجتمع مبالغ فى طول أو قصر ثوبه، أو اختاره من لون صارخ غريب، فإنه لا يلقى جزاء قاسيًا كجزاء من يظهر عاريًا، فيكون بذلك قد خرج على القاعدة الأساسية المتعارف عليها فى المجتمع والتى أصبح القانون يشملها وهى ضرورة ستر الجسد بارتداء الملابس، ولذلك يعد هذا الفعل (الاستعراء) جريمة يعاقب عليها من يرتكبها.

كذلك من ناحية العادات الخاصة بالزواج، نجد أن الشكل الذى تتخذه حفلات الزواج من حيث البساطة أو التعقيد، أمر يرجع إلى **العادات الاتفاقية**، لأن الحفلات مسألة إختيارية.

هذا من ناحية الشكل الذى تتخذه حفلات الزواج، أما نوع الزواج نفسه، فمسألة من صميم العرف، فالعرف هو الذى يقرر ويحتم أن يكون الزواج أحاديًا أو بوليانديًا (تعدد أزواج)، أو بوليجينيًا (تعدد زوجات)، والعرف فى الثقافة المصرية يحرم على المرأة أن تتزوج رجلين فى وقت واحد، كما أنه يحرم على المرأة المسلمة أن تتزوج غير المسلم ويساند العرف فى هذا الدين والقانون.

كذلك يحض العرف فى الثقافة المصرية، والعربية على السواء، على رعاية الأبوين لصغارهم، ورعاية المسنين والمرضى من أعضاء الأسرة، ولا يبيح وأدهم أو قتلهم، أو تركهم يموتون جوعاً، كما هو الحال فى عرف الاسكيمو مثلا(١٣).

ولا يختلف العلماء فى أن للتغير الاجتماعى أثراً لا يغفل فى العادات الإتفاقية والعرف، فبالتغير الاجتماعى تختلف الأوضاع وتكتشف فلسفات وأيديولوجيات، وقيم خلقية لتبرير الأخذ أخذاً ملزمًا، ببعض العادات، والممارسات الاختيارية، وتكون النتيجة أن يصبح كثير من العادات الاتفاقية عرفًا له الصفة الإجبارية والعكس صحيح أيضًا، فقد يتغير العرف الملزم، فيصبح عادة اتفاقية تفضيلية إختيارية لكنها لا تجبر، ولا تلزم.

فختان البنات فى مصر كان إلى عهد قريب، عرفًا تقليديًا واجب الاحترام فأصبح الآن مسألة تفضيل وإختيار، بل لقد صار الكثيرون يعرفون مضاره ومساوئه، بفضل التوعية المقروءة والمسموعة والمرئية.

وخلاصة ذلك أن العادات الاتفاقية أو الاختيارية، والعرف يمكن أن يتبادلا المكانة، ودرجة الإلزام، وأن يحل كل منهما محل الآخر وهذا بدوره يؤكد خضوعهما لمبدأ النسبية فما يعد عادة اتفاقية عند مجتمع معين، قد يكون عرفًا عند غيره، وما كان يحترم فى زمان من عاشوا قبلنا، قد لا يحترم فى زماننا، والعكس صحيح.

الموروث والواقع المصرى والعربى:

نخلص مما سبق كله، إلى أن الخصائص المميزة للواقع المصرى والعربى تكمن فى سرعة التغير، وفى أن الفكر يتقدم باستمرار فى غير استقرار وهذه حقيقة من الحقائق التى نبه إليه «باجوت» منذ أكثر من مائة عام حيث قال : «إن السبب الأساسى للتقدم هو القدرة على التغير» كما نبه أيضًا إلى أن الاستقرار والتغير متعادلان فى ضرورتهما للحياة الاجتماعية على الرغم من كونهما متعارضين تماماً.

وهذا يذكرنا بما قاله «برك Burke» من أن تنمية المجتمع يجب أن تقوم على دعامتين أساسيتين، القدرة على المحافظة، وكذلك القدرة على التجديد والابتكار.

ويرى «رينيه مونييه» أن «روح المحافظة مع القابلية للتطور هما العاملان الأساسيان فى حياة المجتمعات فيجب إذن أن تظل كثير من التقاليد باقية مع المرونة التى تسمح بالتطور.

وهكذا تبرز أمامنا فكرة المحافظة أمام التجديد، أو فكرة الرجعية وجهًا لوجه أمام التحرير وكل هذا يثير بدوره فكرة التوتر والصراع بين القديم والحديث.

ويعترف الكثير من علماء الإجتماع، بقيمة الاستقرار والمحافظة على العادات والعرف والتقاليد، ولكنهم فى الوقت نفسه يفسحون الطريق أمام التجديد، ويتركونه يتصارع مع القوى المستقرة، والناتج النهائى بعد هذا الصراع، سواء كان الاستقرار نفسه، أو التجديد برمته، أو المزيج منهما، هو فى إعتقادهم الأصلح(١٣).

وبعد أن استعرضنا أهم مكونات الموروث الثقافى الذى يؤثر تأثيراً بالغًا فى موقف المجتمع المصرى والعربى من المرأة، نبدأ فى تحليل الواقع الاجتماعى المصرى والعربى المعاش للمرأة المصرية والعربية وموقعها من قضايا التنمية والاعلام.

المرأة والتنمية والاعلام : الواقع المصرى والعربى:

تعد قضية المرأة المصرية بخاصة والعربية بعامة، جزء لا يتجزأ من قضية المجتمع العربى كله فهى ليست قضية تحرر أو مساواة مع الرجل، ولا مجرد أمور تتصل بالأسرة والأحوال الشخصية، ولا هى قضية تعليم وعمل وحقوق معينة، لكنها قضية الاتجاهات الاجتماعية الغالبة، المستمدة من العادات والتقاليد، والنسق القيمى السائد فى المجتمع(١٤).

ويمكن حصر تلك الاتجاهات الاجتماعات فى النظرة إلى المرأة المصرية والعربية فى ثلاث إتجاهات هى :

أولاً : إتجاه تقليدى محافظ يرى فى المرأة كائنًا ضعيفًا من الناحية الجسمية، وقاصراً من الناحية العقلية، ويحصر دور المرأة فى أداء دور الزوجة بمفهومها الخضوعى، والأمومة بمفهومها الرعوى التوالدى(١٥).

ويتعلل أصحاب هذا الاتجاه بتعاليم الدين، وهنا نود أن نؤكد أن النظرة الشائعة إلى المرأة فى كثير من المجتمعات الإسلامية، المصرية منها والعربية، ليست فى الحقيقة تعبيراً عن موقف دينى حقيقى، ولا هى ترجمة أمينة لموقف الإسلام ونظرته إلى المرأة بقدر ماهى تعبير عن أعراف وتقاليد محلية أفرزتها أوضاع اجتماعية قديمة، ثم نسبها أصحابها ـ وهمًا أو تدليسًا ـ إلى الإسلام(١٦).

ويرى أصحاب هذا الاتجاه فى خروج المرأة للعمل، واختلاطها بالرجل فساد للأخلاق، وإن كان بعضهم لا يرى بأسًا من تعليم المرأة للمستوى الذى يوهلها للزواج فى نطاق المدارس الخاصة بالبنات(١٧).

وهذا الاتجاه يستند فى تأكيده للتباين الاجتماعى بين الرجل والمرأة إلى التباين البيولوجى، وكذلك إلى الفروق فى الاستعدادات الطبيعية لكل منهما كما يؤكد أن تقسيم العمل الاجتماعى، وتمايز الأدوار بين الجنسين Role differentiation، يستند فى المحل الأول إلى اختلاف الملكات البيولوجية بين البشر. ومن هنا يذهب أصحاب هذا الاتجاه إلى أن عمل المرأة، هو تحد للمجتمع، لأنه يخرج على النماذج الأصيلة الراسخة للحياة الأسرية، وعلى القيم والمعتقدات التى تساندها.

ثانيًا : الاتجاه الثانى هو اتجاه غالبية النساء والرجال ويتسم بالتحرر النسبى فى المجالين الاقتصادى والاجتماعى لكنه لا يتحمس لمشاركة المرأة فى العمل السياسى، ويعترف أصحاب هذا الاتجاه بحق المرأة فى التعليم والعمل، لكنهم يقرنون ذلك بضرورة أن يتناغم عمل المرأة مع طبيعتها، ويرون أن أنسب ميادين عملها هى التدريس، والتمريض(١٨).

وهذا الاتجاه يعد ـ نسبيًا ـ امتداداً للاتجاه السابق، لكنه أقل محافظة، فهو لا يقصر عمل المرأة على بعض الأعمال التى تلائم طبيعتها أو تفرضها التقاليد، ولكنه يوجه المرأة إلى كثير من الأعمال والوظائف فى المجتمع الحديث بشرط ملاءمتها لطبيعتها.

ثالثًا : اتجاه متحرر يساوى بين الرجل والمرأة، فى الحقوق، والواجبات، وتعد حركة تحرير المرأة Feminism هجومًا عنيفًا على التفاوتات والفروق بين الأدوار الاقتصادية والاجتماعية للرجال والنساء، كما أنها تتبنى فكرة المساواة بين الجنسين سياسيًا واقتصاديًا، وإجتماعيًا.

ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن المرأة، إنسان قادر على العمل والإبداع، وتحمل المسئولية، وممارسة الحرية دون أن يشكل ذلك تهديدًا لأنا الرجل كما يذهبون إلى أنه لا مجال لتقدم المجتمع، وتجاوز التخلف إلا بقيام المرأة وهى نصف المجتمع، بدورها كاملاً وإن كان ذلك لا يعنى تخليها عن رسالتها الأسرية، وإنما على المجتمع والدولة أن تساعدها فى ذلك بتقديم التيسيرات التى تمكنها من الحفاظ على أسرتها.

ويبدو أن الموقف الذى نشاهده الآن فى مجتمعنا المصرى بخاصة، والعربى بعامة، ليس نتاج الدعامات البيولوجية لأدوار الجنسين وحدها، ولا هو حصيلة التفاوت الذى تفرضه، وتصر عليه نظم المجتمع ومؤسساته المختلفة فقط، إنما يرجع التمييز والتفرقة بين الرجال والنساء إلى المعتقدات الاجتماعية والثقافية والاتجاهات السائدة فيه.

إن حقيقة وضع المرأة فى المجتمع المصرى والعربى، مشتملاً على قيمة جسدها، يكمن فى أنه يتشكل يوميًا من هذه المعتقدات وليست النظرة إلى جسد المرأة، مجرد نظرة فردية، بل هى نظرة عامة، تتبناها الثقافة، وتشيعها فى الناس بحيث يكون للمجتمع ككل نظرة موحدة للجسد بصرف النظر، عن اختلاف ظروف الأفراد.

ويرتبط جسد المرأة ـ فى المجتمع المصرى بخاصة، والعربى بعامة ـ ارتباطًا وثيقًا بظروف وجوده، جسد شكلته التقاليد وأخضعته القوانين، وحاصرته الضغوط التاريخية، والثقافية، والمادية.. أسير علاقات عائلية، يظل متحجبًا ومختفيًا، ولا يبرز إلا من خلال التمثلات الاجتماعية.

ولكنه فى الوقت نفسه، موضوع للرغبة لارتباطه بالجمال والإثارة، ومن ثم كانت ضرورة محاصرته وإخفائه تحت ألف غطاء وغطاء.

إن ما يهمنا هنا بصفة خاصة، لا تلك الخواص الجسمية التى تفرق بين الجنسين، أو تجمع بينهما، **وإنما يهمنا ما تتخذه هذه الخواص من مغزى إجتماعى ثقافى، وفى هذا اختزال ماهو إنسانى حضارى إلى ماهو جسمى بيولوجى.**

وإذا كانت بعض الأشكال الاجتماعية الاقتصادية تجرد المرأة من إنسانيتها، أى قدرتها الإنتاجية، وتردها إلى مستوى بدائى، مستخدمة فى تحقيق ذلك مختلف أشكال القهر والمهانة الأيديولوجية بحيث يستقر فى وجدان المرأة أنها مجرد جسد يجب إحكام الرقابة وفرض القيود عليه، فإن نقيض ذلك لا يختلف عنه، إنه مجرد جسد، صحيح أنه جسد جميل، ومثير، وجذاب، يجب كشفه، وإظهار محاسنه، ومفاتنه، ولا بأس فى أن تنشط أجهزة الصناعة، والتجارة، والإعلام فى ترويج ذلك والإتجار به، وتحقيق الكسب من ورائه إنها فى نهاية الأمر جسد فقط، وهذا نوع من الشيزوفرينيا المجتمعية(*).

إن النساء فى مجتمعنا المصرى بخاصة، والعربى بعامة إذ يغتربن عن أدوارهن الإنسانية المتعددة، والثرية، تصبحن مجرد جوارى العصر الحديث.

ولعل من أجدر الأمور بالتأمل، ذلك القصور الذى يقوم على المطابقة بين المرأة، والزواج، والأمومة، بحيث لا نستطيع أن نتصور المرأة دون أن تكون زوجة، وأمًا، إنه دورها وقدرها بينما يختلف الأمر تمام الاختلاف بالنسبة للرجل، فنحن دائمًا نتصوره من خلال عمله، ومكانته، وثرائه، إلى آخر هذه الأدوار الإجتماعية.

(*) من قبيل الشيزوفيرينيا الاجتماعية فى مجتمعنا المصرى، على سبيل المثال أن تؤتمن المرأة، كأم على تربية أبنائها وبناتها، وعلى تربية المئات إذا كانت تعمل بالتدريس، أو على أرواح الآلاف فى المستشفيات والعيادات والوحدات الصحية، أو المشاركة فى صنع القرار السياسى لوطنها، ثم لا تؤتمن على نفسها .. ولابد لها من وصى يقرر لها ما يجب، ومالا يجب فى حياتها اليومية!؟.

إننا دون وعى ننظر إلى الرجل من حيث هو كائن إجتماعى، فى المقام الأول، بينما ننظر إلى المرأة من حيث هى كائن بيولوجى فى المقام الأول، إجتماعى فى المقام الثانى.

وإلى عهد قريب، وربما حتى الآن داخل قطاعات كبيرة من المجتمع المصرى، والعربى، كان الشعار السائد، والحلم المطلوب بالنسبة للفتاة «بيت العدل» أى بيت الزوجية ولازال المجتمع المصرى، بخاصة، والعربى بعامة حتى الآن يؤكد هذا الأمر عن طريق مختلف أجهزته، ومؤسساته الإعلامية والجماهيرية.

ولو أننا توقفنا أمام ذلك التقليد الشائع فى ريف مصر ومناطقها الشعبية الحضارية والذى بموجبه يطلق على الزوجة أسم إبنها الأكبر، فتنادى (بأم فلان) وعلى هذا تعد الفتاة المصرية، والعربية، وبخاصة فى قطاع الريف، والأماكن الشعبية فى المدينة لدور الأم، بينما نجد الزوجة الأوروبية أكثر حرصًا على أنوثتها، وعلى مظاهر هذه الأنوثة، هذا بينما نجد الزوجة المصرية بخاصة، والعربية بعامة، أكثر حرصًا على أمومتها على حساب أنوثتها.

وتأسيسًا على ما تقدم فإن خروج النساء جميعهن إلى مجال الإنتاج الإجتماعى، هو طريق التحرر، وهو لابد أن يغير بالتدريج تغييراً، سيستغرق سنيناً طويلة من علاقة المرأة بجسدها، ومعنى هذا الجسد ودلالته.

سيتحول هذا الجسد من جسد (سلعة، وعبء) غريب على المرأة، يحمل فى ثناياه عبوديتها إلى جسد حر، يستمد معانيه من ظروف حياتها الجديدة التى تعيشها من خلال الإنتاج.

بعبارة مستمدة من فلسفة سارتر، سيتحول جسد المرأة من جسد يوجد فى ذاته en Soi، إلى جسد يوجد لذاته Pour soi، ببساطة شديدة ستوجد المرأة لذاتها بعد أن ظلت توجد للآخرين.

إن المرأة المصرية بخاصة، والعربية بعامة، قد عانت من كونها لا توجد لنفسها، ولا تعيش لذاتها، بل هى ما وجدت إلا من (أجل الآخر)، فهى تعيش فى (فلك

رجولى) ، فهى تعمل من أجل الرجل، وتخدم من أجل الرجل، وتملك من أجل الرجل.

إن الحرية الجديدة التى سوف تمارسها المرأة المصرية بخاصة، والعربية بعامة من خلال الخروج إلى مجال التنمية، والإنتاج الإجتماعى (الاقتصادى والسياسى)، سيغير من علاقة المرأة بذاتها، وبجسدها، وبالتالى من علاقتها بالرجل، وبالمقابل من إدراك الرجل لها، وما يترتب على ذلك من تحول فى إدراكه لنفسه، لا بوصفه (سيداً مهدداً فى سيادته) وإنما بوصفه (شقًا)، لا يجد كماله، إلا فى التقاء حر، ووحدة خلاقة (بشقه الآخر)(١٩).

أهم المراجع:

١ ـ Jylor, E, Primitive Cultuer, P. 1.

٢ ـ سامية حسن الساعاتى، **الثقافة والشخصية**، بحث فى علم الاجتماع الثقافى، دار الفكر العربى، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨، ص ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٣٩.

٣ ـ فوزية دياب، القيم والعادات الإجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٠.

٤ ـ نقلاً عن

Kluckhohn

Theory of Action, in Parsons and Shils (Editors) P. 389

٥ ـ La piere, Richard, A Theory Of Social Control, New York, Mc Graw - Hill, 1984, PP. 140 - 142.

٦ـ انظر فوزية دياب، **المصدر السابق**، ص ١٠٤ .

٧ ـ فوزية دياب، **المصدر نفسه**، ص ١٠٧ .

٨ ـ أنظر نجيب اسكندر إبراهيم، ورشدى فام منصور، **التفكير الخرافى**، القاهرة، مكتبة الأنجلو ١٩٦٢ .

٩ ـ المعجم الوسيط، ج٢، ص ٢٤١، ١٩٦٠ .

١٠ ـ Radin

Encyclo Paedia Of The Social Sciences, P. 63, 67.

١١ ـ حسن الساعاتى **علم الإجتماع القانونى**، القاهرة، دار المعرفة، ص ١٠٧ ، ١٠٨.

١٢ ـ Davis, Kingsley, **Human Society**, P. 69.

١٣ ـ انظر فوزية دياب، **القيم والعادات الاجتماعية**، المصدر السابق، ص ٢٣٠ ، ٢٣١ .

١٤ ـ سامية حسن الساعاتى، **المرأة.. الجسد.. والمعتقد**، مرجع سابق .

١٥ ـ Creedon, Pamele L., **Women in Mass Communication Sage Publications**, London, 1993, p. 61.

١٦ ـ أحمد كمال أبو المجد، «**دور المرأة فى التنمية بين التصور الإسلامى والواقع المصرى**»، مؤتمر المرأة والتنمية، جامعة الأزهر والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف، القاهرة، ص ٦ ، ١٩٩٢ .

١٧ ـ أنظر ليلى عبدالمجيد، «**المرأة والتنمية فى مصر**» الآفاق والتحديات، مركز دراسات وبحوث الدول النامية، ١٩٩٦ ، ص ٩.

١٨ ـ أنظر سامية حسن الساعاتى، «**دور المرأة فى المجتمع المصرى الحديث**»، **تحليل إجتماعى ثقافى**، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد ١٢ ، سبتمبر ١٩٧٥ العدد الثانى والثالث، ص ٩٩، ١٠٠.

١٩ ـ أنظر سامية حسن الساعاتى «**المرأة.. الجسد، والمعتقد**»، **فى علم اجتماع المرأة**، المرجع السابق، ص ٢٤١ : ٢٤٣.

الفصل الثالث عشر

المرأة والفقر فى مصر بين الواقع والتمكين(*)

تمهيد:

نال الفقر كظاهرة اجتماعية اهتماما ملحوظا فى التراث الكلاسيكى، كما استحوذت آليات مجابهته، على انتباه لافت للنظر خلال العقدين الماضيين. ثم مالبث الفقر أن أصبح تحديا للإنسانية كرد فعل للعديد من المتغيرات، والآليات المعاصرة.

أوضحت المحافل الدولية(**) خلال التسعينيات أن هناك حاجة ملحة لمواجهة الفقر، حين أعلنت الأمم المتحدة سنة ١٩٩٦ عاما دوليا للقضاء على الفقر، وحددت المدة من (١٩٩٧ ــ ٢٠٠٦) كمهلة لتحفيز الدول والمنظمات العاملة فى هذا المجال لإجراء دراسات جادة حول استراتيجيات مواجهة الفقر. هذا فى حين أوضح تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٧، أنه فى ظل اقتصاد عالمى يبلغ حجمه ٢٥ تريليون دولار، بدت مشكلة الفقر أمرا شائنًا، حيث أن ثلث سكان العالم النامى، أى مايقرب من ٣ر١ بليون نسمة، يعيشون على دخول تقل عن دولار واحد يوميا.

(*) بحث للمؤلفة قدم إلى المؤتمر العربى حول المرأة والفقر ـ الدار البيضاء ــ المغرب ـ الجامعة العربية ــ مارس ٢٠٠١

(**) من الجهود الدولية المتعددة نذكر مايلى: تقرير تكنمارا عن محاربة الفقر ــ لجنة فلى برانت، وتقريره عن الشمال والجنوب ــ برنامج الأمم المتحدة الإنمائى (تقارير التنمية البشرية) ــ البنك الدولى (تقارير التنمية فى العالم)، مؤتمر الأرض، ريو دى چانيرو، ١٩٩٢ ــ مؤتمر السكان والتنمية الدولى، القاهرة ١٩٩٤ ــ مؤتمر القمة العالمى للتنمية الاجتماعية كوبنهاجن ١٩٩٥ ــ مؤتمر المرأة العالمى، بكين ١٩٩٥ ـ مؤتمر المدن تركيا ١٩٩٦.

أما فى مصر فقد أسفرت أحدث تقديرات الفقر، أن ربع سكان مصر فقراء، والربع الآخر على هامش الفقر.

وقد أشارت نتائج البحوث الإمبريقية، إلى أن الفقر أصبح يمثل تحديا رئيسيا يواجه الجهود الإنمائية لأرتباطه إلى حد كبير بمحدودية الحصول على الأصول الاقتصادية، والخدمات الاجتماعية والصحية، ومن ثم بالبطالة، وسوء التغذية، والأمية وتدنى فى مركز المرأة،، فضلا عن التعرض للمخاطر البيئية. ومن هنا، اتسمت دراسات الفقر بطابع شمولى اتساقا مع ديناميات مواجهته.

وباستقراء معطيات تراث مواجهة الفقر فى العالم الثالث، يتضح أنه عملية تتبعية تراكمية مع المد التاريخى له، تميزت بمرونة وقدرة على الامتداد والاتساع بدأت بالنمو الاقتصادى، ثم تطورت إلى «النمو والعدالة والمساواة»، ومؤخرا ظهر مفهوم «النمو، والعدالة، والمساواة، والاقتدار» كصياغة جديدة.

ويطالعنا التراث المعاصر، أن الاهتمام بالفقر ومواجهته قد ارتبط بردود أفعال سياسات المواجهة، مما أدى إلى إفساح المجال أمام حالات الإبداع، والتجديد المستمر، فيما يتعلق بطرح منهجية ملائمة ونماذج نظرية جديدة، سواء فى صياغة مفهوم الفقر أو سبل قياسه، لتحديد من هم الفقراء، والفقراء الجدد، بهدف رسم سياسات تستهدف هذه الفئات.

ونستطيع القول بأن هناك تطورا قد حدث فى ميدان الاهتمام بظاهرة الفقر، تواكب مع تزايد معدله فى العالم الثالث، كما ساهم فى طرح بدائل منهجية لتحديد هوية الفقر، ونماذج نظرية، بصدد طرح سياسات لتمكين الفقراء. ورفاة لأشد الناس فقرا، وهنا طرحت، صياغات شمولية للمواجهة، تباينت بصددها تجارب العالم الثالث، وبرزت مصر، كحالة نابعة من تفردها وخصوصيتها.

وتشهد أدبيات الفقر تعدد لغة الخطاب ففى الخطاب الأكاديمى، اتخذ الفقر مسميات عدة، منها الفقر الهيكلى الذى حظى بقبول واسع فى الدول النامية. ويعرف بأنه نتاج للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية. التى تساعد على وجود

تجاوزات فى سوق العمل، ويترتب عليها عمليات الإزاحة الواسعة النطاق لصغار العمال فى العديد من الأنشطة الاقتصادية. وهذا فى رأى بعض الباحثين نتيجة لتأصيل عدم المساواة فى الهيكل الأساسى للنظام الرأسمالى(١).

ويكشف التراث المعاصر لبحوث الفقر، أن ثمة تطورا حدث فى مفهوم الفقر وسبل قياسه، وهنا حدث تداخل فى تحديد مفهوم الفقر، بحيث أصبح وضع تعريف له، نقطة خلاف بين الأكاديميين وصناع السياسة(٢).

ومن بين المفاهيم التى قد ظهرت فى الأفق، ماطرحه الصندوق الدولى للتنمية الزراعية (IFAD)، إذ ورد فى تعريفه للأسرة الفقيرة بأنها التى تعانى من بعض أو كل الخصائص الآتية: (الحرمان، الانعزال، التبعية، فقدان الهوية، محدودية الأصول الاقتصادية والخيارات، التعرض للمخاطر، ضعف المشاركة فى اتخاذ القرارات، وانعدام الاستقرار)(٣).

ويعد رفع مستوى نوعية الحياة لجميع السكان، عن طريق الأخذ بسياسات وبرامج انمائية وسكانية ملائمة ترمى إلى **اجتثاث الفقر**، وتحقيق **النمو الاقتصادى** المطرد فى سياق **التنمية المستدامة**، والأنماط المستدامة للاستهلاك والأنتاج، وتنمية **الموارد البشرية**، وضمان جميع **حقوق الإنسان**، بما فى ذلك الحق فى التنمية كحق عالمى، وغير قابل للتصرف، وجزء من حقوق الانسان الأساسية، هو من أهم أهداف المؤتمر الدولى للسكان والتنمية، سبتمبر ١٩٩٤.

وقد جاء ضمن هذا الهدف أيضا، أنه ينبغى إيلاء اهتمام خاص إلى تحسين الحالة الاجتماعية الاقتصادية للنساء(٤)

كما كان هناك تأكيد على تعزيز **مشاركة المرأة وتفعيل دورها** وبخاصة المرأة المحرومة فى الفقرة ٣ ـــ ١٨ من تقرير المؤتمر الدولى للسكان والتنمية السالف الذكر فقد جاء فيها: «وينبغى إزالة أوجه الجور والحواجز القائمة أمام المرأة فى مكان العمل، كما ينبغى تشجيع وتعزيز مشاركة المرأة فى رسم وتنفيذ السياسات وفرص وصولها إلى الموارد الإنتاجية، وملكية الأراضى، وحقها فى وراثة الممتلكات.

وينبغى أن تقوم الحكومات والمنظمات غير الحكومية، والقطاع الخاص بالاستثمار فى تعليم النساء والفتيات، وتنمية مهاراتهن، والحقوق القانونية، والاقتصادية للمرأة، وفى جميع الصحة الإنجابية، من أجل تمكينهن من الإسهام بفعالية، فى النمو الاقتصادى، والتنمية المستدامة، والإفادة منها»(٥).

أولا - الفقر والفقراء: مفهومات ومنهجيات:

إذا ماتناولنا الإشكالية المنهجية التى تتعلق بمفهوم الفقر وسبل قياسه، فسوف نجد أن أدبيات الفقر، قد أوضحت أن هناك هيمنة لمناهج البحث الكمية فى هذا الصدد، نظرا لسهولة وضع مقياس يحدد خط الفقر، وحجم فئة الفقراء. وعلى الرغم من التجديدات المستمرة التى حدثت فى سياق تحديد المفهوم، والقياس، والتى تسعى نحو الطرق الكيفية إلا أنها تطرح كمكملة، ومتممة فى النهاية للطرق الكمية.

ويميل السوسيولوچيون إلى تحديد الفقر وفقا لمنهجين: فقر موضوعى، وفقا لتقديره على أساس مستوى معين من الدخل والإنفاق كحد فاصل بين الفقير وغير الفقير. وهذا مايسمى بخط الفقر. وقد حظى الفقر الموضوعى باهتمام كبير فى تراث الفقر فى العالم الثالث.

أما المنهج الثانى فيرى أن الفقر ذاتى، ويعتمد تحديد الفقر فيه على تقدير الشخص نفسه بحسب حالته(٦).

أما المفهوم الاقتصادى للفقر، فيرى أنه حالة القلة فى الممتلكات، إن وجدت أو انعدامها تماما(٧).

وتشهد أدبيات الفقر، صيغا جديدة، للتعامل مع مفهوم الفقر، قد طرحت فى التقارير المتتالية للتنمية البشرية، والتنمية فى العالم، وساهمت بدورها فى رسم ملامح اتجاه جديد يركز على السياق **الاجتماعى والاقتصادى والسياسى**.

وفى هذا الصدد طرح مدلول لفظ الفقر، وبرزت ثلاثة مداخل منهجية تسعى إلى تحديد مفهوم الفقر، تتسق وسبل قياسه. وتختلف بحسب المنظور العلمى. وقد

جاءت هذه المداخل بحسب تسلسلها الزمنى كالتالى: مدخل (الفقر المطلق)، ومدخل (المؤشرات)، ومدخل (الفقر النسبى)[٨].

وقد حظى مدخل الفقر المطلق» (Absolute Poverty) بالانتشار خلال فترة الخمسينيات والستينيات، امتدت إلى بداية السبعينيات، وخلال هذه المرحلة، ساد قياس الفقر وفقا للدخل والإنفاق[٩] تبعا لمقولة مؤادها: «أن النمو الاقتصادى نتاج لتراكم رأس المال المادى، وتوسيع القوة العاملة، وارتباطها بالتقدم التكنولوچى كما جاء فى تقرير التنمية البشرية سنة ١٩٩٦[١٠].

وقد حظى هذا المدخل بقبول كبير لدى صناع السياسة فى المجتمعات الصناعية، وبخاصة فى بريطانيا وأمريكا، وفى بعض بلدان العالم الثالث وبخاصة الهند[١١] ويحتوى مدخل (الفقر المطلق)، على مضمونات سياسية، حيث أن وجود خط للفقر، يعنى تمييز الفقراء عن غيرهم، مما يتطلب تدخلا مباشرا لتوفير دخل يكفى احتياجات البقاء، هذا فضلا عن تقديم مساعدات للخروج من دائرة الفقر.

وقد واجه مدخل (الفقر المطلق) الكثير من الانتقادات، منها السطحية، وعدم المرونة، وتجاهل الاحتياجات الفردية مثل الطعام، الذى يخضع للأعراف الاجتماعية، أكثر من آراء الخبراء العلميين. كما أجمع العديد من الباحثين، أن حساب خط الفقر وفقا للدخل والإنفاق فقط من المقاييس الجزئية، التى لاتهتم بحساب وصول الفقراء للخدمات الضرورية لمستوى المعيشة، مثل المياه النقية، التعليم، البيئة النظيفة، التعليم، الرعاية الصحية، كما أنها لاتقيس نوعية حياة الناس وقدرتهم على الوصول لدخل يكفى الإنفاق[١٢]، هذا إلى جانب أن مدخل «الفقر المطلق». يفترض نمطا حياتيا حتميا للفقراء، مع العلم أنه يختلف فى مضمونه من مجتمع لآخر.

أما مدخل «المؤشرات» أو الاحتياجات الأساسية Basic Needs فقد ظهر فى محاولة لتطوير مفهوم «الفقر المطلق» ولوجود حاجة ماسة إلى إضافة مقياس آخر

للفقر يعتمد على مؤشرات اجتماعية، بحيث يضاف إلى مقياس الدخل والإنفاق، ويتم حسابه وفقا للقوة الشرائية التى فى أيدى الفقراء.

وقد ظهر هذا المدخل حينما سادت دعوة لتحسين الخدمات، خاصة الصحة والغذاء، وبعد ذلك تطورت هذه المؤشرات إلى أن كونت دليل التنمية البشرية فى مطلع التسعينيات(١٣).

وقد حظى هذا المفهوم بأولوية فى مناقشة الفقر فى العالم الثالث، لكنه آثار إشكالية هامة، تتعلق بكيفية أن يأخذ مكانه فى سياق اقتصاد الدولة، والتنمية الاجتماعية(١٤).

ويهتم مدخل الاحتياجات الأساسية، بعنصرين أساسيين أضيفا فى سياق مكافحة الفقر هما، النمو الذى يدعم الاستخدام الفعال للأصول التى توفر للفقراء عملا. والثانى هو توفير الخدمات الاجتماعية الأساسية للفقراء، وقد أضيف بعد ذلك عنصر ثالث هو شبكات الأمان لمساعدة أشد الناس فقرا(١٥).

وقد واجه هذا المدخل بعض الانتقادات والملاحظات الخاصة، لقصوره عن دراسة فقراء العالم الثالث، كما ذهب البعض إلى اختلاف الاحتياجات باختلاف الثقافات.

أما مدخل (الفقر النسبى Relative deprivation فيتميز بمرونة، وقدرة على الاتساع والشمول، بحيث مهد الطريق أمام طرح صياغات جديدة أكثر واقعية فى إطار المفهوم النسبى للفقر، مثل **فقر القدرة، والفقر البشرى**.

ويستند هذا المدخل المنهجى على مستويات المعيشة، والدخل الضرورى، الذى يسمح للأفراد فى مجتمع ما، بالمشاركة فى شبكة الأدوار والعلاقات، وهذا من شأنه منح الفرد عضوية فى المجتمع الذى يعيش فيه.

ومن ذلك، يتبين لنا، أن هذا المدخل ينطلق من مفهوم الدخل بمعناه الواسع، الذى يشمل الموارد والأصول، والإسكان، فضلا عن الشراكة فى فوائد التعليم، والصحة، والخدمات الأجتماعية الأخرى.

ويرى تاونسند (Tounsend) أن هذا المدخل يرتبط بأبعاد التنمية البشرية، وهنا ظهرت مفاهيم جديدة، مثل التمكين، والتعاون، والإنصاف، والاستدامة، والأمن. وقد أسهم المفهوم النسبى للفقر فى جعل السياسات تستجيب لمتطلبات الفقراء على مستوى البناء الاجتماعى، وبخاصة فى إطار عدالة التوزيع بين المواطنين.

وقد استحدث مفهوم «فقر القدرة» (Capability Poverty)، الذى تم تعديله بعد ذلك بمفهوم الفقر البشرى فى تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٦.

ويتحدد مفهوم فقر القدرة على أساس تحديد الإمكانات الخاصة بالأفراد، والتى تؤهلهم لتحديد اختيارات تمكنهم من الوصول إلى دخل يكفى احتياجاتهم. وعندما انتشر هذا المفهوم. تم إعداد مقياس فقر القدرة (CPM)، على غرار دليل التنمية البشرية إلى حد ما.

وقد طرح مقياس فقر القدرة على أنه مكمل لمقاييس الفقر القائمة على أساس الدخل والإنفاق، ويهدف إلى الوصول إلى نسب مئوية، لهؤلاء الناس الذين يفتقرون للحد الأدنى الضرورى للقدرات البشرية، وبخاصة ثلاث قدرات أساسية، الأولى قدرة المرء على الحصول على غذاء يعود عليه بالصحة، والعافية، القدرة على التناسل الصحى، أما القدرة الثالثة، فهى قدرة المرء على أن يتعلم، ويكتسب معرفة. وقد أوضح تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٦، أن هناك تباين بين فقر القدرة، وفقر الدخل، على خريطة توزيع الفقر فى العالم الثالث.

وعلى صعيد المفهومات، حدث تطور آخر لمفهوم الفقر، حيث ظهرت أهمية طرح مفهوم الفقر من منظور التنمية البشرية، يعرف بالفقر البشرى (Human Poverty) ويتمتع المفهوم الجديد ببعد إنسانى مقارنة بفقر القدرة، حيث يستند إلى مؤشرات تتعلق بأهم الأبعاد الأساسية للحرمان وهى: قصر العمر، وعدم توفير التعليم الأساسى، وعدم توفر فرص الحصول على الموارد، وذلك كما ورد فى تقرير التنمية البشرية عام ١٩٩٧.

تأسيسا على ذلك، فقد ارتبط مفهوم الفقر البشرى بالعديد من المفهومات الجديدة، أضيفت إلى مفهومات الفقر المطلق، والفقر النسبى، منها، مفهوم الأداء

والقدرات، والفقر المتناهى، ومعدل انتشار الفقر، وعمق الفقر، وحدة الفقر، والفقر العابر والفقر المزمن، والضعف، وخطوط الفقر للمقارنات الدولية وخطوط الفقر الوطنية للبلدان النامية. وأخيرا الرقم القياسى للفقر البشرى (تقرير التنمية البشرية ١٩٩٧).

وقد اتضح من تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٧، أنه على الرغم من المحاولات الجادة فى مقياس الفقر البشرى، إلا أنه ليس بديلا عن فقر الدخل، حيث أنه غير قادر على شمول كل أنواع الفقر البشرى، ومن ثم فإنه يفيد فى حالة إضافته إلى مقياس فقر الدخل.

وتشير بعض الأدبيات، فيما يتعلق بتجربة البلاد العربية، والتطورات التى حدثت وفى تحديد مفهوم الفقر، وقياسه فيها، أن الحقائق المتعلقة بالفقر وتفسيره قليلة نسبياً، كما أن هناك مواطن ضعف فى عملية التقدير، أسهمت فى التعتيم على ظاهرة الفقر فى تلك البلاد، فالطرق المستخدمة لقياس الفقر تعتمد على الدخل والاحتياجات الأساسية. والمقياس الأكثر شيوعا هو استخدام الفقر المطلق، سواء على تحديد خط الفقر، أو حصر نسب الفقراء. فضلا عن ذلك تعتمد طريقة الحساب على عينة متغيرة من دول المنطقة، مع العلم أن مصر وهى أكثرها سكانا مشمولة بها. كما اعتمدت قياسات الفقر على منهجية واحدة تقريبا، استقصائية للإنفاق، تستند على الغذاء كمحك أساسى لقياس خط الفقر، وقد تولد عن ذلك خطوط فقر عديدة، حتى على مستوى البلد الواحد، وهنا تباينت أساليب القياس عن المعمول بها فى المنظمات الدولية، التى تركز على أساليب قياس قائمة على التقييم الذاتى.

وقد نوهت تقارير البنك الدولى، على أن خطوط الفقر العربية تتعرض للانخفاض، وهذا يعرضها لحظر الاستخفاف فى عملية التقدير، ويرجع ذلك إلى أن الأساليب التى تستخدم لقياس الفقر لاتؤثر فى حجمه، وتركيبه، ووضعه، فقط، بل أيضا تؤثر على السياسات(١٦) التى يرغب صانعوا القرار فى أتباعها للتخفيف من حدة الفقر. ومن أهم الملاحظات التى أثارت كثيرا من الجدل على الساحة العربية،

هى أنه على الرغم من اتباع منهجية واحدة، أسفرت عن خطوط فقر متباينة، إلا أن السياسات التى تتبعها الحكومات لمكافحة الفقر متشابهة إلى حد كبير[١٧].

ثانيا ـ الفقراء، من هم؟!:

فى تقرير التنمية فى العالم لعام ١٩٩٠، برزت قضية هامة وهى إذا كان على الحكومات أن تقلل من الفقراء، أو تحدد الطريقة التى تؤثر بها سياساتها على الفقر، فإنها فى حاجة إلى أن تعرف الكثير عن الفقراء، فالسياسات التى تستهدف الفقراء مباشرة نادرا ماتنجح إلا إذا عرفت الحكومات من هم الفقراء، وكيف يستجيبون للسياسات وبيئتهم، ومن هنا ظهر مفهوم الاستهداف لتحديد من هم الفقراء والسياسات الملائمة لهم.

وقد حظى مفهوم الفقير، كما حظيت ظروف تحديد هويته باهتمام كبير فانشغل الباحثون بمعرفة الأوضاع التى يعيش فيها ونسق القيم التى يتصرف على أساسه، والتصرفات التى يختارها، ودرجة التأثير التى تلحق به وذويه، وليس من السهل التخلص منها[١٨].

ويحفل التراث بمسميات عدة لفئات الفقراء منها أصحاب **الدخول المنخفضة، والضعيفة، والمعدمون، والمحرومون، والمستبعدون والمهمشون**، كما أشارت بحوث عديدة إلى أن الغالبية العظمى من أفقر الفقراء هم سكان الريف الذين يعيشون فى مناطق تصعب زراعتها[١٩] وقد تم حصر العديد من العوامل التى تسهم فى تفاقم الفقر فى الريف، جاء فى مقدمتها: التوجه للسوق وتحرير التجارة ولهما تأثير كبير على المزراعين محدودى الدخل، والتغير التكنولوچى السريع، واعتماد الزراعة على رءوس أموال ضخمة، وكذلك الإفتقار إلى الموارد والخدمات، وملكية الأرض، وعدم المساواة فيما يتعلق بالفرص المتاحة فى التعليم والتدريب، وتعد هذه العوامل مجتمعة مسوغات للفقر فى الريف، تضمن استمراريته ودوامه[٢٠].

وقد أكدت دراسات أخرى على أن **المرأة والفتاة**، هما **أكثر الفئات تأثرا بالفقر**، فعندما تنتشر البطالة، فإن المرأة أول مايستغنى عنه[٢١]. وفى ظروف أخرى

تخضع للعديد من مظاهر الاستغلال فى إطار تفضيل العمالة الرخيصة للنساء والأطفال، وفى حالات التقشف وإنخفاض ميزاينة التعليم، فإن الفتاة أول من يطلب منها الانقطاع عن الدراسة ويصدق ذلك فى مجال الصحة، والتغذية وغيرها.

ومازال هذا الوضع قائما بالرغم من تزايد الوعى باحتياجات المرأة، والضغط المتزايد من جانب المنظمات النسائية لتحقيق الإنصاف والعدالة الاجتماعية بين الجنسين.

وقد نال مفهوم الفقراء الجدد the New Poor اهتماما بالغا فى مناقشة آليات الإفقار، وجاءت الإشارة إلى أنهم جماعة غير متجانسة اجتماعيا أو ثقافيا مقارنة بالفقراء القدامى. وهى تضم الرجال والنساء على السواء، الذين انحدروا حديثا تحت خط الفقر نتيجة لآليات الإفقار الناجمة عن عمليات التغيير الاقتصادى.

وهناك فئات أخرى قد دخلت فى إطار الفقراء الجدد، وهم العمال المهاجرون، والنازحون لأسباب مختلفة. وقد حددت ثمانى عمليات تسهم فى تزايد حالة الإفقار، ومن أهمها الإفقار للحيازة، والإفقار لوظيفة، والتشرد والهامشية، وتزايد الأمراض والأوبئة، وفقدان الأمن الغذائى وفقدان الأصول Loss of Access، والتفكك الأجتماعى.

وهذه العمليات مجتمعة تسهم فى خلق حالة من التشتت للروابط والعلاقات الرسمية وغير الرسمية، وفى هذه الحالة، فإن فشل المخططين فى التوصل إلى الحلول الملائمة ستؤدى حتما إلى الإفقار والإضعاف، ومن ثم فقدان المجتمع الرأسمالى الاجتماعى.

ثالثا - الأسرة الفقيرة: بعض الجهود البحثية:

إذا ما بدأنا من الأسرة الفقيرة كوحدة اهتمام، ثم امتد الاهتمام إلى المجتمع المدنى، ثم تطلب الأمر تدخل الدولة حتى تصبح المواجهة شاملة يكون الهدف توسيع فرص الخروج من الفقر بتحمل الجميع للمسئولية.

وتستند عملية إكساب القوة على التنظيم الذاتى للفقراء بهدف إتاحة فرصة أكبر للوصول للموارد الأساسية للإرتزاق هذا مع مساعدة الدولة لتحقيق نتائج تتناسب مع حجم المشكلة.

ويرتكز النموذج المقترح على اقتصاد الأسرة كمحور لكسب العيش، إذ ينظر النموذج للأسرة على أنها تجمع سياسى مصغر له نظام سياسى، وصراعات أيضا. وتسعى الأسرة على المدى القصير إلى إشباع حاجاتها الأساسية، وعلى المدى البعيد تنشأ حاجات جديدة تصبح أساسية، ويبدأ السعى المتواصل للحصول على الربح وفى هذا الإطار ينظر لاقتصاد الأسرة على أنه مكمل لاقتصاد التبادل فى السوق.

ويعتمد النموذج على مستلزمات بنائية متمثلة فى علاقات اجتماعية كمطلب للبقاء، تبدأ مع أعضاء الأسرة الكبيرة، ثم الأصدقاء، والجيران، ثم علاقتها مع منظمات المجتمع المحلى، للتحرك الجماعى، والتساند المعنوى. هذا فضلا عن موارد الأسرة، لإنتاج مستلزمات الحياة. وهذه الموارد بشرية واجتماعية.

ويحتاج النموذج ثمانية عناصر كقواعد أساسية للسلطة الاجتماعية فى الاقتصاد الأسرى، هى: مكان آمن، ووقت زائد لكسب العيش، وشبكة اجتماعية، تجمعات مدنية، فى المعارف والمهارات، المعلومات المناسبة، أدوات انتاج، الموارد المالية.

وقد حظى تموذج استراتيجيات الأسرة الفقيرة، بأولوية لدى العديد من الباحثين، فى **البلدان العربية**، حيث تشير إحدى الدراسات عن مدى أهمية الأسرة وبخاصة الممتدة باعتبارها مؤسسة اجتماعية اقتصادية، تسهم فى التصدى للفقر، من خلال دورها التقليدى فى المجتمع، واستخدام ذلك بأسلوب علمى متطور[٢٢].

ويتحدد العقد الجديد وفق شبكة متداخلة ومترابطة فى إطار علاقة مثلثية بين الدولة ومنظملت المجتمع المدنى، والأسرة الفقيرة. ويعمل العقد الاجتماعى وفق الوصايا العشر لحقوق الإنسان منها، تيسير ميلاد الأطفال بواسطة الأخصائيين، فضاء معيشى آمن ومأمون، غذاء كاف، التأمين ضد البطالة، حياة كريمة لكبار السن. ويسعى النموذج الجديد إلى إكساب القوة للأسرة الفقيرة، والانتقال من تحمل الأسرة مسئولية كسب عيشها إلى عملية إنتاج إجتماعى عن طريق نمو أشكال جديدة للعلاقات بين الدولة والمجتمع المدنى، يهدف توفير الموارد من جانب،

وترسيخ حق كل فرد فى وسائل العيش من جانب آخر. واعتبار هذا الحق هو أساس عقد اجتماعى جديد بين الحكومة ومواطنيها.

ووفقا للنموذج الجديد، هناك مستلزمات بنائية لأطراف العلاقة المثلثة، فعلى مستوى الدولة، ينبغى أن تلزم نفسها بتنفيذ هذه الحقوق، من خلال النظر إلى النمو الاقتصادى على أنه توسيع لمجال القوة المنتجة فى المجتمع. أى مرتبط بهدف اجتماعى، كما يتطلب تدخل الدولة فى الممارسات الفوضوية لقوى السوق، أما على مستوى المجتمع المدنى، فلابد من تقوية منظمات المجتمع المدنى، وإمدادها بالحوافز التى تزيد من فاعليتها كشريك نشط مع الدولة.

وعلى مستوى الأسرة الفقيرة، فإن الوصايا العشر ليست مجرد إعلان أخلاقى فحسب، بل تقدم إطار عمل للأسرة كوسائل كسب العيش. ويعد كسب العيش هنا، عملية اجتماعية تعتمد على سلطات وموارد الدولة من جانب، ومواجهة الأسرة مسئولياتها بالتعاون مع الأسر الأخرى من جانب آخر، كما يتضمن النموذج الجديد شبكات الأتصال الأجتماعية بين الأسرة والمنظمات المجتمعية(٢٣).

ومما سبق يتضح لنا أن هناك عهودا بحثية نظرية فى إطار طرح نماذج نظرية لمواجهة الفقر وبخاصة فيما يتعلق بالأسرة الفقيرة.

رابعا - المرأة الفقيرة في الأسرة المصرية بين الواقع والتمكين:

بالرغم من أن مصر تقع ضمن الأحد عشر دولة نامية الأُوَل، فيما يتعلق بتدفق الاستثمارات الأجنبية إليها، وترتيبها المشرف، حيث أنها بين الدول الخمسين التى يتضمنها تقرير «دافوس» لما تملكه من قدرة تنافسية، فإنها لاتزال تقع ضمن دول منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا التى تعانى من مؤشرات اجتماعية متدنية فيما يتعلق بالمرأة.

أن موقع مصر الحالى فيما يتعلق بتفاوت مستوى التنمية البشرية بين الجنسين وبطء التقدم الذى تحرزه فى هذا المجال بالمقارنة مع دول أخرى تقع معها فى إطار المنطقة نفسها مثل لبنان، وتونس، وتركيا من حيث مستوى التقدم والتنمية، ليدعو

إلى مزيد من بذل الجهد فى هذا الاتجاه والتركيز على تعليم المرأة وتوعيتها، والاهتمام بصحتها، وصحة أطفالها، وبدخل الأسرة، كما يدعو إلى بذل جهود خارقة من أجل تدريب المرأة، وتأهيلها على كيفية خلق فرص العمل لنفسها من خلال القطاعات الخدمية، أو قطاع الصناعات الصغيرة، وتسهيل دخولها إلى سوق العمل.

وقد قدمت مصر مثالا ناجحًا للمشاركة بين أطراف المجتمع المدنى والحكومة، وذلك من خلال مبادرة «تقرير التنمية البشرية فى مصر» والذى جاء ترتيبه على رأس أكثر من ١٠٠ من التقارير القطرية على مستوى العالم النامى، حيث أتاح هذا التقرير تسليط الضوء على تجربة التنمية البشرية، وبخاصة فيما يتعلق بقضايا المساواة بين الجنسين، والتعليم.

إن المشكلة التى تواجه مصر فى هذا المجال ليست مشكلة موارد سواء على المستوى الفردى أو بالنسبة للدولة، وإنما تكمن المشكلة الأساسية فى كيفية تطوير برامج المساعدة الإجتماعية بحيث تقدم هذه البرامج فرصا تعويضية من خلال مساعدة المرأة على خلق فرص عمل جديدة بعيدة عن المجالات التقليدية متمثلة فى القطاع العام والحكومة وإنما توجيه تفكير هذه الفئات نحو القطاع المنظم وغير المنظم(٢٤).

إن التفاوت الواسع بين الجنسين فى منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ومنها مصر، يبدو واضحا عند دراسة المؤشرات الاجتماعية للمرأة، والتى نجد أنها متدنية بين المناطق النامية.

ومن أمثلة ذلك أن الثلث من النساء الفقيرات فى مصر (١٥ سنة فأكثر) يستطعن القراءة والكتابة، بالمقارنة (بأكثر من ٦٠ فى المائة من الذكور الفقراء Ifpri، ١٩٩٨)(٢٥).

وتبدو خطورة هذا الأمر، جلية واضحة، إذا ما علمنا أن حصة الفرد من الدخل فى مصر منخفضة من جهة، وأن أميه المرأة وصحتها ومشاركتها فى النشاط

الاقتصادى هى المحدد الأساسى لعائد التعليم للأطفال وصحة الأبناء ودخل الأسرة.

ويظهر الانعكاس السلبى لبرامج الإصلاح الهيكلى على المرأة المصرية خلال فترة التسعينيات فى انخفاض فرص العمل المتاحة أمام المرأة بما لايتناسب مع مساهمتها فى سوق العمل قبل عملية التحول إلى اقتصاد السوق.

وتعد المرأة، على مستوى دول العالم الثالث، ومصر ليست بمعزل عنها، هى أولى ضحايا برامج الإصلاح الهيكلى. وإذا نظرنا للأمر من زاوية الأرقام، والتحليل نجد أن:

١ـ ضعف تمثيل المرأة فى قوة العمل حيث تساهم فقط ١٦٫٧٪ من إجمالى العمالة كما أنها تمثل نسبة أقل من ذلك فى الوظائف مدفوعة الأجر.

٢ـ مساهمة المرأة فى تحسين دخل الأسرة ضئيلة للغاية فى الوقت الحالى نظرا لمحدودية مشاركتها فى سوق العمل فى الحصول على وظائف مدفوعة الأجر.

٣ـ مستوى بطالة يبلغ ضعْف المستوى بالنسبة للرجال، حيث ارتبع إلى ٢٤٪ فى سنة ١٩٨٦ (تعداد السكان: الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء وتتراوح التقديرات الحالية للبطالة بين النساء بين ٢٠٫٤٪ (تعداد السكان ١٩٨٦) و٥٠٫٢٪.

٤ـ تسرب البنات فى المدارس.

٥– تدهور الحالة الصحية بين الأمهات والبنات، حيث ينعكس انخفاض الدخل، وارتفاع التكاليف الفعلية، للتعليم المجانى، والخدمات الصحية المجانية على المرأة، ويساهم فى زيادة معاناتها[٢٦].

ولما كانت الأسر التى ترأسها امرأة، تمثل نسبة مرتفعة من إجمالى الأسر (وتقدر بنحو ١٦٪ على الأقل) وتعانى من الفقر الشديد أكثر بكثير إذا ماقورنت بالأسر التى يرأسها الذكور وذلك بنسبة تزيد عن ٢٩٪ فى الريف، و٥٠٪ فى الحضر فإن ذلك الأمر يصبح مدعاة للقلق.

وهناك ثلاثة اتجاهات أساسية قد عملت منذ منتصف الثمانينيات، على تفاقم الفقر بين النساء، والأسر التي ترأسها المرأة بوجه خاص.

الإتجاه الأول:

ويتمثل فى موجة التضخم المرتفعة، التى أسفرت عن زيادة فى الرقم القياسى للأسعار بلغت ٥٢ فى المائة للأغذية الخاضعة للتسعيرة، و٦٨٦ فى المائة، للأغذية غير الخاضعة للتسعيرة فى الفترة من ٩٠ ـ ١٩٩٣ (البنك الدولى، ١٩٩٣).

وقد وقع عبء هذه الزيادة على الأخص على أصحاب الدخول الثابتة، ولاسيما أصحاب المعاشات الذين لا يستطيعون شراء سوى نسبة ضئيلة من سلة السلع، والخدمات اللازمة لبقائهم عند خط الفقر.

الإتجاه الثاني:

ويظهر فى التناقص التدريجي فى تنفيذ نظام التوظيف المضمون فى الحكومة التى كانت صاحب العمل الرئيسى للنساء، وخاصة فى قطاعات الخدمات الإدارية والاجتماعية حيث حصلت المرأة على ٥١٪ من الوظائف الجديدة بين ١٩٧٦، ١٩٨٦ التى أنشأتها الحكومة فى الفترة بين ١٩٧٦ و ١٩٩٦، إلا أن هذه النسبة انخفضت إلى ٣٣٪ بين ١٩٨٦ و ١٩٩٦ (بيانات تعداد السكان).

الإتجاه الثالث:

ويتبدى هذا الأتجاه مع التفكك التدريجي للأسرة الممتدة التقليدية بسبب الظروف التى خلقتها النقلة الحضارية الحديثة وتزايد أعداد النساء الأرامل، أو المنفصلات، أو المطلقات، أو المهجورات، ويمثلن النسبة العالية من الأسر التى ترأسها المرأة، واحتياجهن إلى برامج سليمة للمساعدة الاجتماعية.

إن الطريق الوحيد المتاح أمام المرأة للخروج من حلقة الفقر المفرغة، وتمكينها، وتفعيل دورها هو كسر طوق هذه الحلقة بتوجيه الدولة لاهتمام أكبر، نحو تعليم المرأة، وتثقيفها، وهو أمر سينعكس ايجابيا فى خفض الخصوبة، وبالتالى يحصل

أطفال هذه المرأة المتعلمة على فرص تعليم، وصحة أكبر، وبالتالى فرص جيدة للعمل، ودخول الأسر فى سوق العمل.

المرأة الفقيرة في الأسرة المصرية:

الأدوار والمكانة من واقع البحوث والدراسات الميدانية:

من خلال الدراسات المتاحة عن المرأة الفقيرة فى الأسرة المصرية، والتى تدور حول أدوارها، ومكانتها، وقدرتها على اتخاذ القرار داخل الوحدة المعيشية الريفية أو الحضرية، تبين أن هذه الأدوار، وتلك المكانة، والقدرة، تستمد من درجة استقلال المرأة الأقتصادى، ومشاركتها فى قوة العمل ودخل الأسرة كما تتأثر بعوامل أخرى أهمها المكانة الأجتماعية لأسرتها «أسرة النشأة» كما ظهر أن قدرتها على المشاركة في عملية اتخاذ القرار تتغير بتغير دورة الحياة.

وفى دراسة عن الدور الوظيفى بين الزوجين فى الأسرة المصرية، وجدت أن المرأة المصرية الفقيرة فى الأسرة الريفية، أكثر كدحا من الرجل لكنها أقل مكانة، فبينما وقت الزوج فى الريف، فى الفئات الفقيرة الكادحة، توزع بين عمالة قصيرة متكررة، وبطالة طويلة متكررة أيضا، فإن الزوجة على العكس منه لاتنعم بالراحة قط. إذ أن وقتها مشغول بشتى الأعمال المنزلية، ورعاية الأطفال، وتربية الدواجن والأغنام، هذا فضلا عن مساعدتها لزوجها فى الفلاحة فى كثير من الأحيان.

كما أكدت الدراسة، أن **اشتغال الزوجات الريفيات الفقيرات بأجر لايغير من دورهن التقليدى فى الأسرة، وأن اشتراك الزوجة الريفية فى اتخاذ القرار إنما يرتبط بعوامل أخرى مثل مدة الزواج، وخلف الأبناء، وبخاصة الذكور.**

كما أوضحت الدراسة أن المرأة المصرية الفقيرة **فى الريف**، تلجأ إلى السحر والخرافات فى حل كثير من المشكلات التى تعترضها فى حياتها وفى هذا تعويق كبير لمشاركتها التنموية، وبخاصة مايتعلق بتنشئها لأبنائها، ومعاملتها لزوجها.

هذا بالإضافة إلى نسبة الأمية العالية بين النساء الفقيرات فى مصر، والتى ترتفع بشكل كبير لدى الفقيرات الريفيات، فالمرأة الأمية الفقيرة لاتستطيع أن تشارك فى التنمية، بالقدر الذى تستطيعه لو أنها تعلمت[٢٧].

وتكشف نتائج الدراسات والبحوث، عن تنوع الأدوار الاقتصادية وكثافتها، للمرأة الفقيرة فى الريف والحضر على السواء، وكذلك فى المجتمعات البدوية والساحلية فى مصر:

ففى الطبقة الدنيا الحضرية تشير إحدى الدراسات إلى أن الظروف المادية القاسية التى تواجه الفقراء تجبرهم على أوضاع معينة فهى تجبر المرأة على العمل «كما لو كانت رجلا» وتكشف نتائج الدراسات عن تنوع الأنشطة الاقتصادية للمرأة الحضرية فى الطبقة الفقيرة داخل المنزل، وخارجه بصورة تعكس وجود شرائح داخل الطبقة الفقيرة.

فهى تساهم فى قطاع الأعمال الرسمى خاصة فى الوظائف الحكومية غير الماهرة. كما تشارك بنصيب وافر فى الأنشطة الخاصة بالتجارة الصغيرة كبيع الخضروات والسلع، والأدوات المنزلية الرخيصة، كما تقوم بعضهن ببيع سلع موسمية أو صنوفا من الحلوى الرخيصة وبعض أنواع الأطعمة كالكشرى وذلك على أعتاب بيوتهن.

كما قد تذهب بعضهن لعرض هذه الأطعمة وبيعها بالقرب من المدارس، والمصانع، ومحطات الأتوبيس والقطار فى المناطق الشعبية(٢٨).

كما تلجأ بعض فقيرات الحضر، إلى العمل كدلالات، وذلك عن طريق شراء السلع المدعمة، وبيعها فى السوق السوداء، ويتحملن عبء القيام بهذا العمل بالوقوف ساعات للحصول على تلك السلع، من أجل إعادة تسويقها، ليساهمن بفارق الأسعار فى دعم دخل الأسرة.

وتعمل كثير من الفقيرات فى الحضر، كخدم فى المنازل، كما تقوم بعضهن بأنشطة تدر دخلا، وهن داخل منازلهن، مثل حياكه الملابس، وأشغال الكروشيه لتكون عونا لهن، فى سد إحتياجات الأسرة.

وتتفق دراسة «علياء شكرى» فى نتائجها مع نتائج «دراسة سامية الساعاتى» المشار إليها آنفًا، فقد بينت كيف أن المرأة الفقيرة الريفية المصرية، تبذل جهوداً

مضاعفة وتوزع جهودها بين البيت والحقل والتسوق، وهى لذلك تشكل مصدرا هاما من مصادر الدخل للأسرة فالمرأة الريفية المصرية فى الطبقة الدنيا تخرج للعمل بقوة الضرورة وحتمية الحاجة الاقتصادية حيث لا تجد أمامها بديلا سوى السعى الدائب لتوفير متطلبات الأسرة كما أن جهودها الإضافية التى تبذلها، تزداد باطراد كلما اتجه المستوى الطبقى للأسرة نحو الانخفاض. كما تشير إلى تعدد أنماط النشاط الاقتصادى الذى تساهم فيه المرأة الريفية الفقيرة مقابل الحصول على أجر. ومن هذه الأنشطة أنشطة غير زراعية مثل الاشتغال فى مصانع الطوب. كما تشارك المرأة الريفية الفقيرة فى الأنشطة المأجورة التى كشفت بعض الدراسات عن أن المرأة الريفية الفقيرة، تمارس هذه الأنشطة بصورة مكثفة حتى أن ساعات العمل تصل يوميا إلى ١٦ ساعة (جمع محاصيل من الخضر، والفاكهة والقطن ونقل المحصول من الأرض إلى ماكينة الدراسه .. إلخ (٢٩).

وفى المجتمعات البدوية تكشف إحدى الدراسات عن تعدد الأدوار الاقتصادية للمرأة المصرية الفقيرة، حيث جاءت نتائج الدراسة لتؤكد على أن النساء الفقيرات يقيمن بالرعى للغير، وأنه على الرغم من أن الاتفاق على العمل وتحديد نوع العائد، يتم بين الرجال، إلا أن النساء وحدهن هن اللائى يقمن بأداء هذه الأدوار، فيتحملن ساعات الرعى الطويلة بحثا عن الكلأ والماء كما يشاركن فى معظم الأنشطة الاقتصادية عدا التجارة التى تعد نشاطا قاصراً عى الذكور وفقا لتقاليد المجتمع البدوى.

وفى المجتمعات الساحلية تشير إحدى الدراسات إلى أنماط أخرى للنشاط الاقتصادى للمرأة وبخاصة فى الأسر الفقيرة، فهى تقوم بعمليات غزل شباك الصيد يدويا وبذلك يسهمن فى دخل الأسرة، إما بشكل مباشر كما فى حالة المحترفات اللائى يقمن بهذه العمليات بالأجر، أو غير مباشر، وذلك بإعداد ما يلزم الزوج من شباك لازمة لعمليات الصيد فى الأسرة الفقيرة. وغالبا ما تجمع المرأة الفقيرة فى الأسرة المصرية ما بين الاحتراف والعمل للأسرة، كما أنها قد تعمل

بأنشطة إقتصادية أخرى كتسويق الأسماك، وتنظيف الأسماك الضخمة لرواد أسواق الجملة(٣١).

ويسهم الدخل الذى تحصل عليه المرأة الفقيرة فى مختلف الأعمال المشار إليها آنفا فى دعم الأسرة اقتصاديا، ومن ثم فإنه قد يهيئ لها فرصة للمشاركة فيما تتخذه الأسرة من قرارات بل أن نتائج بعض الدراسات تؤكد أنها قد تنفرد وحدها باتخاذ قرارات من أهمها ما يتعلق بالانفاق(٣٢).

وتمنح المرأة التى ترأس أسرة فى حالة الترمل والطلاق ، معاشاً حكوميا، ولغياب الهوية الشخصية لا تستطيع الحصول عليه ونظرا لافتقادها للتعليم والمهارات، فإنها تدفع مع غيرها من الفقراء إلى القطاع غير الرسمى، نظرا لاتساقه مع ظروفهن أما ثانى العوامل التى ساهمت فى بلورة دور المرأة الفقيرة فى الأسرة المصرية فهو تغيب الزوج، سواء كان هذا التغيب لفترات طويلة بسبب الهجرة الخارجية أو الداخلية، لفترات محدودة بسبب الإنشغال فى أعمال إضافية إلى جانب العمل الأساسى وهناك أيضا التغيب غير المنتظم لعمال الصناعة نتيجة العمل بنظام الورديات.

وفى كل هذه الحالات تتناقص فرص التفاعل بين الأب والأبناء، من ناحية، وبين الأم والأب من ناحية أخرى، وتصبح العلاقة أكثر كثافة وعمقا بين الأم والأبناء. كما تصبح الأم هى محور العلاقات داخل الأسرة، ويصل إلى يدها فى كثير من الحالات ـ بعض ما يحصل عليه الأبناء من دخل، نتيجة نزولهم المبكر إلى سوق العمل، بالإضافة إلى ما تحصل عليه هى من دخل، وهكذا يقع على عاتقها مسئولية إدارة شئون الأسرة خاصة ما يتعلق منها بالإنفاق، وتدبير نفقات الإعاشة فى حالة قصور الدخل، واتخاذ القرارات فى هذا الشأن.

ويندرج تحت تغيب الزوج أيضا موقف الأرامل والمطلقات وحالات الهجر، حيث تشير نتائج الدراسات، إلى أن الأزواج فى الطبقة الدنيا لا يتركون وراءهم شيئا يذكر. وهكذا تضطر المرأة الفقيرة إلى مواجهة الواقع، والاجتهاد فى الحصول على الدخل الذى يؤمن معيشة الأسرة وبقاءها ويكون هناك ما يحتم على الأرامل

والمطلقات الخروج إلى سوق العمل وذلك فى محاولة للتكيف مع ظروف الفقر وندرة الدخل.

ويمثل مرض الزوج ثالث العوامل التى ساهمت فى إبراز وتأثير دور المرأة الفقيرة فى الأسرة المصرية. وتكشف إحدى الدراسات الدور الذى تلعبه الأمراض المهنية كمتغير أساسى فى توزيع الأدوار داخل الأسرة. حيث تشير النتائج إلى ارتفاع نسبة الإصابة بالأمراض المهنية خاصة بين عمال صناعة النسيج كالربو، والحساسية الصدرية، والمطابع التى تستخدم الأساليب القديمة. وصناعات الجلود ودباغتها ، وفى هذه الحالات يحرم العمال من البدلات ، والحوافز التى يتقاضونها لقاء التحاقهم بنظام الورديات أو العمل على خطوط الإنتاج.

وهكذا يفرض هذا الواقع على المرأة ضرورة مضاعفة أنشطتها الاقتصادية لتعويض الفاقد من دخل الزوج. فيشاركن فى أنشطة يتم أغلبها داخل المنزل كالحياكة. كما تشير دراسات أخرى إلى خروج الزوجات للعمل فى أعمال غير منتظمة كخدم للمنازل، وأعمال الحياكة والتطريز وغيرها للمساهمة فى دخل الأسرة. فى حالة إصابة الزوج بمرض يمنعه عن مواصلة العمل.

وجدير بالذكر أن مختلف أنماط عمالة المرأة السابقة التى تلجأ إليها من أجل التكيف مع ظروف الفقر، وتعويض الانخفاض فى دخل الأسرة بالرغم من كونها تكشف عن شرائح دنيا فى الطبقة الفقيرة، إلا أنها تكشف أيضا عن مسكن، ومناخ أسرى.. إلخ. لكن ذلك لا ينفى وجود شرائح أخرى تعيش تحت مستوى حياة البشر، وتفتقر إلى العمل والمنزل، بل وإلى كل مقومات الحياة الإنسانية.

خاتمة مشاركة المرأة الفقيرة: محاولات للتمكين

فى المجتمع المدنى:

إن المشكلة التى تواجه مصر فيما يتعلق بتأنيث الفقر، ليست مشكلة موارد سواء على المستوى الفردى أو بالنسبة للدولة، وإنما تكمن المشكلة الأساسية فى كيفية تطوير برامج المساعدة الاجتماعية، بحيث تقدم هذه البرامج فرصا تعويضية من

خلال مساعدة المرأة الفقيرة على خلق فرص عمل جديدة بعيدة عن المجالات التقليدية متمثلة فى القطاع العام والحكومة.

ويزداد دور المنظمات غير الحكومية فى مشاريع التنمية، وتقوم المنظمات غير الحكومية بدور الوسيط بين المرأة الفقيرة والحكومة وفى ذلك يقول ويجنا راجا: «إن لدى الفقراء مستودع غير مستغل من المعرفة والمهارات . إلى جانب القدرة على الإدخار والاستثمار، وهو مستودع يجب الاستفادة به، فى أية استراتيچية إتنائية، لذا فإن دور المنظمات غير الحكومية فى مساعدة الفقراء على الاستعانة بإمكاناتهم الخاصة ضرورى لتزويدهم بالارتباطات بالأسواق الرسمية، والتدريب، والائتمان، وغير ذلك من خدمات المساندة وكذلك فإن المنظمات غير الحكومية تستطيع أن تقوم بدور الوسيط بين الفقراء وغير الفقراء والمساعدة فى تشكيل أنظمة توصيل الخدمات ورسم الساسيات الإنمائية التى تؤثر فى الفقراء تأثيراً مباشراً.

وتعد أكثر الجهات فاعلية فى مجال مكافحة الفقر فى مصر، وزارة الشئون الاجتماعية والصندوق الاجتماعى، وبرنامج (شروق) ومن الفئات المستهدفة هنا الأسر التى ترأسها امرأة . إما برنامج تنمية المشروع التابع (SFD) ويعد من أكبر برامج المشروعات الصغيرة فى مصر فى عام ١٩٩٦ ، وبلغت ميزانيته حوالى مليون جنيه، ومنح من خلاله قروض لحوالى ٦٠ ألف مستفيد.

أما القروض الصغيرة لتوليد الدخول، فتستهدف النساء الفقيرات ويتكامل بدوره برامج التنمية الشاملة.

لذلك فهناك مجال فسيح لوضع برامج تحددها وزارة الشئون الاجتماعية لتوفير حوافز للمنظمات غير الحكومية التى تستطيع أن تضاعف مساهمة الآلاف من المنظمات الطوعية فى مجال المساعدة الفنية وتوليد الدخل لدى المرأة الفقيرة فى الأسرة المصرية.

أهم المراجع:

(١) جون فريدمان، إعادة تفكير فى الفقر، **المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية**، ١٩٩٧، ص١٧.

(٢) انظر:

Asaad Ragui & Roushdy Malak Poverty and Poverty all eviation strategies in Egypt, Report Submitted to Ford Foundation, 1997.

(٣) جورج فارس العصيفى، **الفقر فى غرب آسيا**، منهج اجتماعى وسياسى فى تقرير مناهضة وإزالة الفقر فى الوطن العربى، ١٩٩٦، ص١٩٤.

(٤) تقرير المؤتمر الدولى للسكان والتنمية، القاهرة، ٥ ـ ١٣ أيلول/ سبتمبر ١٩٩٤، ص٢٠، الهدف ٣ ـ ١٦.

(٥) المصدر نفسه، ص٢١.

(٦) عزت حجازى ، **الفقر فى مصر، بحث الخريطة الاجتماعية لمصر**، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ٩٦.

(٧) فالكوم جيلز وآخرون، **اقتصاديات التنمية**، ترجمة عبدالله منصور وعبدالعظيم مصطفى، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٥.

(٨) انظر Kuper Adam, and Kuper Jessica (Eds.) The Social Science Encyclopedia, 2 nd edn. N. Y. Routledge 1996. p. 655

(٩) البنك الدولى، **تقرير التنمية فى العالم، الفقر**، ١٩٩٠.

(١٠) برنامج الأمم المتحدة الإنمائى، **تقرير التنمية البشرية** لعام ١٩٩٦، ص٥٠.

(١١) چون فريدمان، **المصدر السابق**، ص١٤.

(١٢) أنظر Assad Ragui, and Roushdy Malak., O p cit P. 5.

(١٣) البنك الدولى **تقرير التنمية فى العالم**، الفقر ١٩٩٠، المصدر السابق، ص١١.

(١٤) انظر Kuper Adam et al, op cit. P: 656

(١٥) البنك الدولى، **تقرير التنمية فى العالم**، الفقر، ١٩٩٠، ص١١.

(١٦) بوناويجناراچا، **استئصال الفقر**: دروس من الصين، وكوريا الجنوبية فى الخمسينات والستينات، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، العدد ١٤٨، ١٩٩٦.

(١٧) كارلو چينيلينى، **الفقر فى الوطن العربى**، تجميع للقضايا الرئيسية فيما كتب عن الفقر فى تقرير مناهضة وإزالة الفقر فى الوطن الغربى.

(١٨) عزت حجازى، المصدر السابق، صـ١٨.

(١٩) اسماعيل سراج الدين، **قضية الفقر فى العالم**: عرض لتقرير البنك الدولى عن التنمية فى اسماعيل سراج الدين ومحسن يوسف، **الفقر والأزمة الاقتصادية** مركز بن خلدون للدراسات الانمائية بالتعاون مع دار الأمين للنشر، القاهرة.

(٢٠) محمد رشاد، **الفقر الريفى والتنمية المستدامة**، مجلة الدراسات الإعلامية، العدد ٩٢، يوليو ـ أغسطس ١٩٩٨.

(٢١) بطرس بطرس غالى، **مكافحة الفقر** فى مؤتمر القمة العالمى للتنمية الاجتماعية مجلة السياسة الدولية، يناير ١٩٩٥.

(٢٢) محمد الصقور، **السياسات الاجتماعية والفقر فى المنطقة العربية** فى تقرير مناهضة وإزالة الفقر فى الوطن العربى، مرجع سابق ١٩٩٦، ص٩٧.

(٢٣) چون فريدمان، **مرجع سابق**، ص٢٦: ٢٧

(٢٤) انظر هبة حندوسة، **المرأة والشباب**: تنمية اجتماعية وبعد اقتصادى، المجلس القومى للمرأة، المؤتمر الأول، نهضة مصر، المرأة.. المواطنة والتنمية، مارس ٢٠٠٠، ص٣٣، ٣٥.

(٢٥) IFPRI ، معهد البحوث الدولية للسياسات الغذائية، ١٩٩٨ .

(٢٦) نادر فرجانى، **النساء الحضريات والعمل ، ومكافحة الفقر فى مصر** ، تقرير أولى ، مركز المشكاة بالتعاون مع منظمة اليونسيف ومنظمة العمل الدولية، وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائى، يناير ١٩٩٤

(٢٧) سامية حسن الساعاتى، **الدور الوظيفى للزوجين فى الأسرة المصرية**، دراسة ميدانية فى الريف والحضر، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٩٧٢ ، ص٦٢٨ .

(٢٨) Wikan, Unni, Life Among the Poor in Cairo translated by Ann Henning, Tavistock Publications N. Y. 1980.

(٢٩) علياء شكرى وآخرون، **المرأة فى الريف والحضر، دراسة لحياتها فى العمل والأسرة**، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٨٨ .

(٣٠) نجوى عبدالحميد، **دراسة أنثروبولوجية معاونة لأنماط التنشئة الاجتماعية فى مجتمع محلى بدوى ، ومجتمع محلى ريفى**، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية البنات ، جامعة عين شمس، ١٩٨٦ .

(٣١) فاتن أحمد على، **التصنيع والقيم الأسرية**، دراسة ميدانية بمحافظة الإسكندرية، رسالة ماجستير غير منشورة ، ١٩٩١ .

(٣٢) أنظر سامية حسن الساعاتى، **مرجع سابق**.

(٣٣)أنظر عبدالباسط عبدالمعطى ـ **دراسة إستطلاعية حول خصائص مشكلات المرأة فى القطاع غير الرسمى فى حى شعبى بمدينة القاهرة**، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا، سلسلة دراسات المرأة العربية، الأمم المتحدة العدد ١٥ ، ١٩٨٩ .

الفصل الرابع عشر

التمييز ضد المرأة

بين الموروث الثقافى والقيم الإيجابية(*)

تمهيد:

تعد قضية التمييز ضد المرأة المصرية بخاصة، والعربية بعامة، جزء لا يتجزأ من قضية المجتمع العربى كله، فهى ليست قضية تحرر أو مساواة مع الرجل، ولا مجرد أمور تتصل بالأسرة، والأحوال الشخصية، ولا هى قضية تعليم، وعمل، وحقوق معينة، لكنها قضية الاتجاهات الاجتماعية الغالبة، المستمدة من العادات والتقاليد، والقيم السائدة فى المجتمع، أى الموروثات الثقافية بالغة الأثر فيه.

والتمييز ضد المرأة، هو أى نيل من انسانيتها، أو التمييز ضدها، أو تقييدها، أو استبعادها، أو المساس بحقوقها الشخصية والاجتماعية، والنفسية، والثقافية، والسياسية، والمدينة. على أساس النوع (Gender).

وتقوم الثقافة الذكورية، فيما يتعلق بمصر والمجتمع العربى التقليدى، على مبدأ الإعلاء من شأن الرجل، وقيم الرجولة ولكنها تتركز حول قيمة هامة هى ضرورة تحمل المسئولية فى مختلف مواقف الحياة. وشتى المجالات العالمية والمتخصصة، بحيث يرتبط ذلك بالذكور أكثر من ارتباطه بالإناث، على اعتبار أن الذكور أكثر «إيجابية»، وأكثر قدرة على تحمل المسئولية، وأكثر عقلانية فى «اتخاذ القرارات وتنفيدها» كما ينعكس ذلك فى العلاقات والأنشطة داخل كل أشكال العائلة التى

(*) بحث للمؤلفة انجز عام ٢٠٠٢

توجد فى مصر والعالم العربى. الأسرة الصغيرة النواه، والعائلة الكبيرة الممتدة أو المركبة، وأشكال التنظيم القبلى وتفرعاته المختلفة.

وتشترك الثقافة الذكورية (الأبوية ـ البطريركية) فى إعطاء أولوية تكاد تكون مطلقة للرجل (الذكر) مع تهمش دور المرأة وعدم الاعتداد، أو على الأقل التهوين من شأنه وفاعليته فى حياة المجتمع.لذلك يتم تنشئة أعضاء المجتمع وأفراده، منذ البداية، ومنذ الميلاد، وسنوات الطفولة الباكرة، على تقبل هذه التفرقة والعمل بمقتضاها. ويعد عنصر التقبل عاملاً هامًا فى ترسيخ قيم الذكورة والمبادئ التى تقوم عليها هذه القيم.

وهناك أحد الأمثال المأثورة عن مشاعر أم إزاء حملها وولادتها للذكر، والأنثى،

لما قالو لى .. ده غلام

انشد ضهرى واستقام

ولما قالو لى.. دى بنيّه

انطبقت الدار.. علىّ

وهناك مثل شعبى آخر على التمييز ضد المرأة يقول:

«حطت عجلها وتوت رجلها» أى جاءت بالذكر فأمنت على مركزها فى الأسرة.

فهنا نجد منذ البداية النظرة المتميزة للذكر.. منذ الميلاد.. حتى من الأم إزاء أولادها.[2]

ذلك لأن الذكر ـ فى المجتمع الأبوى، والثقافة الذكورية، هو الذى يحمل اسم العائلة، ويحافظ بالتالى على وجودها، واستمرارها، وذلك على العكس من الأنثى

(١) فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠، ص ١٠٤، ١٠٧.

(٢) سامية حسن الساعاتى، أهمية البعد الاجتماعى فى الخطاب الإعلامى الموجه للمرأة، المنتدى الفكرى الأول المرأة والإعلام، المجلس القومى للمرأة، مايو ٢٠٠٠.

التى سوف تنتقل فى اخر الأمر بالزواج، إلى عائلة أخرى لكى يحمل أبناؤها اسم تلك العائلة، أى أن القوة الإنجابية للأنثى تصبح من نصيب عائلة زوجها ، بينما تحرم منها عائلتها هى العاصبة ، إلا إذا تزوجت من أحد أقاربها العاصبين مثل ابن العم.

ويعزز معنى مضمون القول المشهور سابق الذكر، مثل يتردد فى الوادى الجديد (مصر) بوجه خاص وإن كان يوجد له مثيل فى عدد من البلاد العربية الأخرى، ولكن بألفاظ مختلفة بعض الشيء، يقول المثل: ربى ابن ابنك .. وابن بنتك لأ.

وأزرع فى أرضك.. وأرض غيرك لأ. واحكم بطبعك.. وطبع غيرك لأ.

ويتضح من الجزء الأول من هذا المثل أنه يتعلق بالموقف من الأحفاد عن طريق الابن، أو الابنة، إذ بصرف النظر عن مدى الإعزاز الشخصى أو العلاقة العاطفية التى تربط الأجداد بالأحفاد بشكل عام فإن المثل يرى أن مسئولية المرء نحو ابن أبنة أى حفيده من ابنه الذكر لها أولوية مطلقه، على مسئوليته نحو حفيده من ابنته الأنثى إن كانت هناك مسئولية على الإطلاق.

فرغم أن الحفيدين هما من الذكور وفى مجتمع ثقافته ذكورية، ورغم أن درجة القرابة أو البعد القرابى بين الجد وكلا الحفيدين متماثل، فإن المجتمع الأبوى يعتبر ابن الابن من الأقارب العاصبين، وبذلك فهو أولى بالرعاية، من ابن الابنة الذى ينتمى إلى جماعة عاصبة أخرى غريبة.وفى لبنان مثل يقول: «ابنك الِك.. بنتك لا..».

كما أنه يوجد فى لبنان أيضا مثل يقول فى المعنى نفسه: «إبن ابنك ابن الحبيب.. ابن بنتك .. ابن الغريب».

وتكفى هذه الأمثال، لإعطاء فكره عن طبيعة الثقافة الذكورية التى تتغنى بالذكر، وتعلى من شأنه على حساب الأنثى، وتمتد هذه النظرة الثقافية، والاجتماعية، إلى مختلف مناحى الحياة فى المجتمع المصرى والعربى الذكورى الأبوى، بحيث يكاد الذكر ينفرد دون الأنثى بممارسة أعمال، واحتلال مراكز،

يتم حرمان المرأة منها نتيجة التمييز بين الجنسيين والقائم على وجود بعض الآراء والأفكار المتوارثة عن طبيعة تكوين الأنثى جسميا، ووجدانيا، وذهنيا.

وفى الوقت الذى تهتم أساليب التربية، والتنشئة، من خلال الثقافة الذكورية، والتنظيم الأبوى للمجتمع، بإعداد الذكر منذ سن مبكرة نسبيا، للحياة الواسعة المضطربة خارج نطاق الجماعة القرابية بالعاصبة، تركز هذه الأساليب على إعداد الأنثى للحياة الضيقة المحددة بحدود تلك الجماعة العائلية.

ويأخذ هذان الأسلوبان فى التربية والتنشئة فى الاعتبار، الفوارق التى يفترض المجتمع التقليدى وجودها بين الذكر ، والانثى ، والاعتقاد بأن الذكر أكثر عقلانية، بينما الأنثى اكثر عاطفية وخضوعا لمشاعرها الوجدانية.

ولذلك، فبينما يتوقع المجتمع التقليدى أن يقوم الذكر بالأعمال والمهام، والأنشطة التى تجلب (الشرف) للجماعة القرابية التى ينتمى إليها يحرص هذا المجتمع نفسه على تجنيب الأنثى من أن تجلب (العار) على جماعتها القرابية بخضوعها، واستجابتها لعواطفها، ونزعاتها الطبيعية، وبخاصة النزعات الجنسية.

فالأنثى فى عُرفهم، أسلس قيادا أمام إغراءات الشيطان وإغوائه التى تجلب الدمار ليس لها وحدها ولكن للجماعة القرابية ككل. وهنا تبرز المفارقة واضحة بين موقفين:

إذ بينما تحتل الأنثى مكانة ثانوية، بل وهامشية بالنسبة للذكر، فيما يتعلق بنظرة المجتمع للجنسين، والتفضيل بينهما، فإن سمعة الجماعة القرابية يتوقف على سلوك الأنثى ومراعاتها للمبادىء الأخلاقية، أكثر مما تتوقف على سلوك الذكر.

فالأنثى رغم مكانتها الثانوية الهامشية هى (عرْض) الجماعة القرابية، فالعرض هنا مرتبط بسلوك الأنثى، وخاصة سلوكها الجنسى بينما (الشرف) مرتبط بالقيم الذكورية وبسلوك الذكر وإنجازاته.

وقد يفقد الذكر (شرفه) نتيجة لسلوكه غير السوى، ثم يسترد ذلك الشرف، ومعه مكانته فى المجتمع، إذا حسن سيرته، وتوقف عن التصرفات التى تسئ إليه،

وإلى عائلته ، أى الشرف يمكن إستراداده بعد فقدانه (رد شرف) ، وليس الأمر كذلك فيما يتعلق بالعرض، فهو قابل للضياع، وغير قابل للاسترداد.

لذلك فإن جانبا كبيرا من الجهود التى تبذل فى تنشئة الأنثى منذ الصغر توجه إلى هذه الناحية بشكل مستتر، وغير صريح، لأن الحديث الصريح عن الجنس يعد من المحرمات Taboos ، التى يصعب الاقتراب منها. وإذا كانت اساءة السلوك من الفتاة أو المرأة لا تجد تعاطفا ولا شفقة، مثلما يلقى الرجل فى كثير من الأحيان ومن محاولات التبرير والإصلاح، فمن أجل ذلك كانت تنشئة الأنثى منذ الصغر، تهتم بإعدادها للزواج لأنه الوسيلة الفعالة والمأمونة للمحافظة على عرضها وعرض العائلة ووقايتها من الأنحراف، وإحدى صيغ الدعاء التى تنتشر فى مصر والعالم العربى وإن تكن بصيغ مختلفة هى (الله يستر عرضك) المتعلق بسلوك الأنثى.

وهذه النظرة نفسها هى المسئولة عن عملية الختان التى يتجلى فيها التمييز ضد المرأة فى أجلى صورة.

والواقع أن النظرة الذكورية هى المسئولة على النظر باستعلاء إلى الأنثى، وامتداد ذلك إلى أهل المرأة، أو أهل الزوجة برغم علاقات المصاهرة التى قد تكون موضع إعزاز فى الوقت نفسه، فكل ما هو طيب، ورفيع وشريف يأتى من جانب الأقارب العاصبين، بينما كل ما هو سئ ومصدر للخجل والعار، يأتى من جانب أهل الأم أو الزوجة. فالولد الفالح (طالع لأبوه) أما الولد الطالح فيكون «طالع لخاله». ولذا فإن (الخال وبال) دائماً، أى أن النظرة الدونية للمرأة تمتد إلى أهلها.

وإذا فسدت الأنثى فإن ذلك لا يرجع إلى عيب فى عائلتها الأبوية، بقدر ما يرجع إلى الأم لأن المثل يقول:

(أكفى القدرة على فُمها.. تطلع البنت لأمها)، وقد تدفع الأم الثمن لأنها لم تحسن تربية ابنتها، فالأم مسئولة مباشرة عن ابنتها أو بناتها وعن سلوكهن منذ البداية، وحتى عن مشكلاتهن بعد الزواج (لم تنجب ـ أنجبت إناث فقط ـ العلاقة بالزوج)ومنا هنا كان المثل الشائع (يا مخلفة البنات، يا شايلة الهم للممات).

فالمجتمع المصرى، والمجتمع العربى التقليدى يقف من الأنثى ـ إذن ـ ومنذ ولادتها موقفا فيه الكثير من التحيز ضدها، ومحاباة الذكر على حسابها ، ورغم كل التغير الاجتماعى الذى حدث فى العلاقة بين المرأة والرجل. فإن هناك فجوة تفصل بينهما، لتحول بين تحقق المشاركة الإيجابية الرحبة. وبذلك تعطى الفرصة لانتشار بعض الأفكار المناوئة لاتاحة الفرصة كاملة أمام المرأة للمشاركة فى المجالات التى لا تزال تكاد تكون مغلقة على الرجل.

وفى ضوء هذا الفهم فإننا نهتم فى هذا البحث بما يلى:

١ ـ أن الموروث الثقافى يعنى الثقافة المتوارثة بالمعنى الواسع لكلمة ثقافة، والذى يشمل العادات، والتقاليد، والأعراف، إلى جانب التراث الشفاهى فى المجتمع العربى.

٢ ـ مقومات الثقافة الذكورية وطابعها العام فى المجتمع العربى، وما يترتب على هذه المقومات من تهميش لمكانة المرأة، مع الاهتمام بأنساق القيم التى تميز بين قيم الذكورة ، وقيم الأنوثة، وانعكاس ذلك على أساليب التنشئة الاجتماعية المسئولة عن ترسيخ أفكار التفرقة الاجتماعية والثقافية بين الجنسين.

٣ ـ موقف المرأة ذاتها من هذه الأوضاع، وبخاصة المواقف السلبية منها والتى تنشأ من قبولها لتلك المواقف السلبية ، وبخاصة فيما يتعلق بعلاقتها بالرجل ونظرتها إليه.

ويحتاج الأمر هنا، وبالنسبة للمرأة ذاتها إلى (إعادة تأهيل Rehabipilation)، إن صح التعبير للتخلص من الهزيمة الداخلية التى تمنع من اتخاذ المبادرة للتغيير دون أن تفقد المرأة، والمجتمع القيم والرموز الإيجابية التى تسجلها تلك الموروثات الثقافية.

إن صورة المرأة فى الموروث الثقافى، بالمعنى الواسع للكلمة، ليكشف فى بعض جوانبه عن قيم إيجابية تعطى المرأة العربية ما تستحقه من احترام وتقدير نظرا للخصائص والمقومات الأساسية فى شخصيتها الاجتماعية، وللأدوار المؤثرة التى

تقوم بها فى الحياة، والتى تسجلها بعض الأعمال التراثية الشفاهية كالملاحم، والسير الذاتية، والأمثال الشعبية.

إن هذه القيم الإيجابية التى تتجسد فى انجازات المرأة، والتى تعبر عنها الأمثال الشعبية بخاصة أحسن تعبير، هى التى ينبغى أن نبرزها، ونؤكدها فى المرحلة التالية التى يمر بها المجتمع العربى، وفى الظروف المتغيرة التى تضطرب فيها الرؤية إزاء المجريات والمستجدات العالمية المتسارعة التى تغزو العالم العربى، وتستهوى الكثيرين بحيث يتناسون تراثهم، وتقاليدهم، وحضارتهم الغنية بالمبادىء الأخلاقية، والقيم الاجتماعية، التى ينبغى تطويعها عن طريق إعادة قراءتها، وتفسيرها، فى ضوء هذه المتغيرات.

إن الاختلاف بين ما هو قائم فى العالم العربى وما يحدث فى الخارج، هو فارق فى الدرجة، وليس فى النوع ، وهذا يبعث الأمل فى إمكان الوصول بمكانة المرأة العربية إلى المستويات التى ترضى هى عنها، والتى تمحو عن المجتمع العربى، الأفكار السائدة فى كثير من الكتابات فى الخارج عن هامشية المرأة العربية، وتخلفها ، وحرمانها من الحقوق الإنسانية التى اقرتها المواثيق الدولية، بل وأيضا الشرائع السماوية، وكلها دعاوى لا تخلو من نظرة غير موضوعية للأمور

إنما يتبقى على العالم العربى أن يبرز هذه القيم الإيجابية بقوة، وهى قيم لا يدرك وجودها الكثيرون، ومن خلال التعريف بهذه القِيم، يمكن إحداث تغيرات جوهرية فى النظرة التى تسود بعض الأوساط فى العالم العربى نحو المرأة حيث تدرس هذه الأوساط المكانة الحقيقية، والأدوار ، والمؤثرات الفعالة التى سجلتها الأعمال التراثية عن المرأة العربية فى مراحل التاريخ المختلفة، وكذلك معرفة النواحى الإيجابية التى تتضمنها نظرة المجتمع العربى ممثلة فى أمثاله العامية، بل وفى الرموز التى تشتمل عليها العلاقات والنظم الاجتماعية رغم الأسس «الأبوية» التى تقوم عليها.

وإذا كان المجتمع العربى فى حاجة إلى أن يعرف حقائق هذه الموروثات الثقافية، وما تتضمنه من رموز وقيم إيجابية، تعلى من شأن المرأة، فإن المرأة العربية نفسها

أحق من غيرها بمعرفة هذه الحقائق، وتلك الرموز، والقيم ، ليس فقط لكى تعتز أو تتغنى بها، وبأسلافها من النساء ولكن أيضا، وهذا هو الأهم، لكى تغير نظرتها هى ذاتها إلى نفسها، فقد أدى تراكم الجوانب السلبية فى الموروثات وفى التعامل مع المرأة على صعيد الواقع اليومى، إلى أن تأخذ هى هذه الأوضاع والمواقف على أنها أمور مسلم بها، تعكس حقيقة المكانة التى يجب أن تشغلها، لأنها فقط، المكانة التى تستحقها. ويحتاج الأمر هنا ، وبالنسبة للمرأة ذاتها، إلى (إعادة تأهيل) كما ذكرنا آنفا.

إن إحياء هذا الموروث الثقافى الإيجابى، والتعريف به تعريفا موضوعيا، يسهم فى إبراز متضمناته الإنسانية السامية، ليحتاج إلى جهود المثقفين، والأجهزة الرسمية معا. ولا يخفى أن الآداة الفعالة لترجمة هذه الجهود، وإخراجها إلى حيز الواقع، الملموس، والمؤثر، لهى وسائل الإعلام والاتصال الحديثة بكل إمكاناتها المتقدمة. بحيث يمكن تجميع هذه الإمكانات، مع جهود المثقفين، والمهتمين بشئون المرأة والمجتمع، فى إنتاج إبداعات فنيه، وفكرية، جديدة تخاطب العقول (الجديدة) بالأسلوب الذى تفهمه وتستجيب له. وتتجاذب معه.

إن التركيز فى مثل هذه الأعمال (إخراج ملاحم وسير شعبية ترجمة الأمثال الشعبية إلى مشروعات ثقافية وإعلامية) على إبراز ، القيم التى كثيرا ما تخفى على الإنسان العادى، وعلى المرأة العادية، لابد وأن تسهم فى تغيير أفكار الناس، وتعديل نظرتهم إلى المرأة، بل وتغيير نظرة المرأة نفسها إلى ماضيها وواقعها، وإمكاناتها، والأدوار التى يمكنها القيام بها، بل وفى قدرة المرأة العربية الخلاقة على الإسهام فى تغيير صورة المجتمع العربى الحالية إلى مجتمع أفضل.

الفصل الخامس عشر

المرأة المصرية
فى
المثل الشعبى(*)

تمهيد:

المثل الشعبى، **أسلوب توجيه وتربية**، يرسم طريق السلوك فى العلاقات الاجتماعية، وطريقة التعامل فى إطار المجتمع الذى يفرزه. وهو يكتسب صفة الذيوع والانتشار لشدة حاجة المجتمع إليه. وهو يجرى بعبارة سهلة فى لغة كل يوم.

ولابد من تأكيد نقطة بالغة الأهمية، وهى أن الأمثال التى تحمل الحكمة فى طياتها، قد قيلت فى الماضى البعيد، **وأنه من الإنصاف أن يُنظر إليها على أنها اجتهادات قوم عايشوا الطبيعة**، وعاشوا حياة **ساذجة على سجيتهم**، فلم تكن العلوم بالقدر من النمو والانتشار التى هى عليه فى العصر الحاضر.

ولذلك يجب أن ننظر إلى ما تركوه من «حكمة»، ونُقَيِّمه، **ونصدر حكمنا فيه، لا بمقاييس هذا العصر، بل فى إطاره الأصلى فى الماضى**، وما ظهر فيه من معرفة لم تكن منتشرة، ولا ميسرة لعامة الشعب. والنظر فى الظواهر الاجتماعية بهدف دراستها وتقييمها، لا يكون موضوعياً، ومجديا، إلا إذا كان ذلك فى الإطار الزمانى الذى سادت فيه.

(*) بحث للمؤلفة أنجز عام ٢٠٠٢.

المرأة والتراث:

وربما يكون هناك من يتساءل عن جدوى **دراسة المرأة المصرية فى تراث السلف**، فى الوقت الذى طغى فيه العلم بكشوفه الحديثة، على كل شىء، وأصبح يهيمن بتكنولوچيته على كل ناحية من نواحى حياة الإنسان المعاصر. والرد على ذلك ليس بالأمر العسير، فبادئ ذى بدء يمكن القول بأن من لا ماضى له، لا حاضر له. أو بمعنى أوضح من قطع الأسباب بينه وبين ماضيه، كان حاضره مهزوزاً، إذ لا قاعدة يستطيع أن يرسى عليها البناء، الذى يريد أن يقيمه، ويصعد به شاهقاً فى مستقبل مجهول يتطلب مزيداً من الكفاح.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، نجد أن محاولة التخلص من الماضى، وآثاره، عملية مستحيلة من الناحية الواقعية العملية، وإن بدت ممكنة من الناحية النظرية، ذلك أن **وقائع الماضى**، وحقائقه **تشكل الجزء الأكبر من مكونات اللاشعور فى عقول المعاصرين**.

ولئن كانت العمليات اللاشعورية، خفية، ومتغلغلة فى أعماق الباطن، فإن آثارها فى الحياة عظيمة القوة، حتى إنها تبلغ حد العنف فى بعض الأحيان. **فماضينا فينا بالرغم منا، يؤثر فى أفعالنا، وأقوالنا، غير عابئ بإنكارنا إياه.**

ومن ناحية ثالثة، فإن ما تركه السلف للخلف من أمثال، ليس فيه، فى جملته، إلا كل ما يثير الإعجاب، ويدعو إلى الاحترام والتقدير. وقد قمنا فى بحثنا هذا بتحليل ما انتقيناه منها تحليلاً اجتماعياً، تبين منه، أنها على الرغم من قدمها، تحمل فى طياتها حكمة بالغة، توصل إليها الحس المرهف، والحدس الصادق، والبصيرة النافذة. وعلى هذا الأساس يمكن اعتمادها كدليل عمل نافع فى الحياة.

المرأة المصرية فى المثل الشعبى:

سوف نتناول المرأة المصرية من خلال المثل الشعبى، فى أدوارها المختلفة كما تبدو فى مظاهر دورة الحياة.

المرأة والزواج:

الأسرة المصرية فى الواقع هى محور العلاقات الاجتماعية، لذلك فقد اكتسبت الأسرة مركزاً هامًا فى المجتمع. والمجتمع المصرى يقدس الأسرة، ويُكبر من شأن الزواج، وهو على الرغم من الظروف الكثيرة التى مر بها فى تاريخه البعيد، والقريب لايزال يتشبث بهذا التقديس للأسرة والإكبار للزواج، وهو من أكثر شعوب الأرض نزوعًا إلى الاستقرار بصفة عامة، والاستقرار العائلى بصفة خاصة. والنموذج الذى أكده فى أساطيره القديمة، وفى قصصه، وأغانيه يقطع بأنه يؤثر سلامة الحياة الزوجية من كل تقلقل، وكل اضطراب، ويحرص على حمايتها من أى عنصر يفسدها، أو يثيرها، أو يعصف بها.

والأسرة تتكون فى صورتها الأولى من الرجل والمرأة، وتكوينها يقتضى بالضرورة الدقة فى الاختيار من كلا الطرفين. فالاهتمامات التى تشغل بال المرأة تختلف عنها عند الرجل، ولقد سجلت الأمثال جانباً كبيراً مما يدور فى تفكير المرأة، ذلك أن موضوع الإقدام على الزواج، يرتبط بمستقبلها، وحياتها القادمة، فقد صورت الأمثال هذا التفكير فى جوانبه المتعددة.

فالفتاة فى البيئة المصرية، تقع تحت عوامل يبدو فيها كثير من التناقض، لذلك نجد أمثالها تعبر عن هذا التناقض ففى بعض الأمثال يكون التفضيل للشاب فيقول المثل «اللى تغوى الشاب الجميل لها، تدفع كتابة الورقة من عندها»، أو «آخد الغندور ولو سكنى وسط القبور» وفى بعضها الآخر يكون التفضيل للعجوز، فيقول المثل «خدى الشايب يدلعك، ولا تخدى صبى يلوعك».

وفى بعض الأمثال يفضل الزواج على المكوث بغير زواج فيقول المثل «ضل راجل، ولا ضل حيط»، «وأقل الرجال يغنى النسا» و«اللى ما تحنى كعبها» «ما يفرح قلبها». «واللى جوزها معها تدور الدنيا بصباعها».

ومع ذلك، فبعض الأمثال تفضل العزوبة على الزواج، الذى يعقبه مشكلات. فتقول «قعاد الخزانة ولا الجوازة الندامة» و«العزوبية ولا الجوازة العار» و«خلى العسل

فى جراره لما تجيله أسعاره». وفى البعض الآخر يبين المثل اعتراض المرأة على قهر الزوج فتقول: «البسي خف واقلعي خف لما ما يبقاش فى الدنيا ولا خف»، أو «لما ييجى لك الخف اللى يريحك». وهناك مثل يقول بالمعنى نفسه: «اللى ما ييجى وباله مشروح طريق السلامة من هنا ويروح» ومثل آخر يقول: اللى كتب كتابى يحله، واللى يعرف أبويا يروح يقولله».

وفى بعض الأمثال الشعبية تبدو الفتاة متلهفة على الزواج، وتغلف حياتها مسحة من الحزن واليأس إذا طال انتظارها له فتقول الأمثال «لا اتجوزت، ولا خلى بالى، ولا أنا فضلت على حالى»، و«من كتر خطابها بارت مسى عليها الليل، واحتارت». و«خطبوها اتعززت فاتوها اتندمت»، و«ساعة ماتنكتب فى السما ييجى للخطّاب العَمى»، «واقرصينى فى ركبتى، تحصلينى فى جمعتى».

والمجتمع المصرى لا يسمح للفتاة باختيار شريكها، ولكنها تظل فى انتظاره، فيقول المثل «اقعدى فى عشك لما ييجى اللى ينشك» كما أنها تعيش بين عادات وتقاليد تحد من خطواتها لذلك يقول المثل: «ألف كتاب، ولا زلة».

ومن ناحية أخرى، فالمجتمع يهتم بالوفاق بين الزوجين، حتى تنبنى الأسرة على أساس سليم فيقول المثل «جوزوها له.. مالها إلا له» كما كان المجتمع يفضل زواج الأقارب فيقول المثل: آخد ابن عمى، واتغطى بكمى» وآخد ابن خالى واتنشر عليه بشالى».

كما كان المجتمع يحذر من الزواج غير المتكافئ، فيقول «اللى يجوز أكبر منه ياكتر همه[1]» «اللى ياخد الندامة مالوش ذكرى»، «من همه اتجوز قد أمه».

ويظهر الإبداع فى المثل الشعبى فى توافر الأمثال ونقيضها، وإن دل ذلك على شيئ فإنما يدل على وعى السلف بالتفردات، والتغايرات فى شخصيات البشر، وأن ما يناسب فتاة قد لا يناسب أخرى. ولهذا نجد النظريات الحديثة فى الاختيار للزواج، تذهب بصدد الاختيار مذاهب شتى ومعظمها قد أدركها الإبداع الشعبى

من سنوات وسنوات.

فهناك نظرية التجانس التى تذهب إلى أن الشبيه، يتزوج بشبيهه فيما يتعلق بعوامل كثيرة، وهناك نظرية أخرى ترى أن التكميل بين الزوجين هو أساس الوفاق، وثالثة تؤكد أثر الوالدين، وبخاصة الأم، ورابعة تؤكد تأثير العوامل اللاشعورية، تلك العوامل المسئولة عن كون رجل يتزوج امرأة أكبر منه سناً، لاحتياجه إلى حب الأم وعطفها، فهو يتزوج بمن تلعب دور الأم فى حياته، كما أن العوامل اللاشعورية تفسر أيضاً احتياج فتاة لأن تقترن بمن هو أكبر منها سناً بكثير، لأنها تفتقد حنان الأب.

ويؤكد السلف أهمية المنبت، عند اختيار العروس، فيقولون: «اسأل عن الأم قبل ما تلم» «وأكفى القدرة على فمها تطلع البنت لأمها.» ذلك أن الأم هى المربية الأولى للطفل، والمثل الذى تحتذيه الابنة، والأم هى المشرفة الدائمة على ابنتها، المهذبة لأخلاقها والمراقبة لسلوكها. ولا شك أن النظريات الحديثة فى علم الثقافة والشخصية Culture and Personality تبرز أهمية التنشئة الاجتماعية فى حياة كل فرد إذ هى المعبر الذى يعبر عليه ليصير شخصاً يعيش فى مجتمع، بعد أن كان مجرد كائن.

والذوق الشعبى يهوى الجمال فى المرأة، وهو يحفل بالجمال الحسى، الذى يتحدث عن الأعضاء، فالذوق الشعبى يهوى المرأة البيضاء الهيفاء، رفيعة الوسط ممتلئة الساقين، كما يعجب بالوجه الصبوح دقيق الملامح، ويفضل نامية الجسم، طويلة القامة، وتوصف بأنها «فايرة» كما يفضل الميالة للامتلاء ويقال عنها «مربربة، وظاهر عليها العز» أما العجفاء «المعضمة» فلا يرغب فيها، ويقولون أنها «معصعصة، وناشفة زى الجريدة».

وامتلاء الجسم يزيد من قيمة العروس الجمالية لأنه رمز للخير والعز، وجودة الصحة.. وتلك أمور إذا توافرت فى العروس، فإن الزوج يضمن أما قوية تتحمل عبء خلف الأولاد وتربيتهم، كما تتحمل أيضاً، القيام بأعمال «البيت» «والغيط»

أيضاً إذا ما كانت ريفية.

وفى جمال المرأة، يقول المثل الشعبى «إن كنت عايز تمص قصب، مص من الوسط، وإن كنت عايز تخطب خد رفيعة الوسط»، «خد المليح واستريح»، «خد الحلو وأقعد قباله، وإن جعت شاهد جماله»، «يا واخد البيض يا مقضى الزمان فرحان، ضيعت مالك على جوهر، وعود، وريحان» «الطول ع الحور، والتخن ع الجميز».

ومن أقوالهم فى الأمثال الشعبية، فى تفضيل الفتاة البيضاء على السمراء، من جهة لون البشرة: «يا ريتنى بيضا، ولى ضب ده البياض عند الرجال ينحب»، وكذلك قولهم «يا ريتنى بيضا ولى عرقوب، ده البياض عند الرجال محبوب»، ويدل هذان القولان على أن بياض البشرة صفة مستحبة جدا فى الفتاة لدرجة أنها تغطى كثيراً من العيوب المحتمل وجودها مثل «الضب» الذى يشوه شكل الوجه، ومثل العرقوب الذى يشوه شكل الساق والقدم.

ولئن اهتم الذوق الشعبى بالجمال الحسى ـ فإنه لم يكن وبعض الأحيان ـ يرى فى هذا الجمال إلا طلاء ظاهرياً، قد يخفى كثيراً من عناصر الدمامة، ومن هنا قد لا يكون مطلباً أساسيًا عند التفكير فى الزواج، فيقول المثل «بيع الجمال، واشترى خفه، الجمال كثير بس الخفيف صدفة». أى أن الجمال تتضاءل أهميته بجانب خفة الدم، أو بعض الصفات الموضوعية الأخرى.

ولما كان سمار البشرة هو الغالب فى المجتمع المصرى، فقد اقتضى الحال، وجود أمثال شعبية، وأقوال، وأغانى تروخ للسمراوات وتحبب فى سمار البشرة «السمرة بلحة حمرا»، و«مكتوب حدانا فى الورق أسمر ودمه خفيف».

المرأة والأسرة:

المتصفح للأمثال التى تتحدث عن علاقة الرجل بالمرأة فى نظام الأسرة يجدها تهتم بصفات، وميكانيزمات كثيرة فى هذه العلاقة. بالنسبة لأهمية المنبت، وطيب الأصل عند اختيار العروس، يقولون «خد الأصيلة، ولو كانت ع الحصيرة»، فهى

لن تتبرم من المعيشة مع زوجها، مهما كانت الصعاب التى تواجههما.

والمرأة عند زوجها منبع سعادته وسروره، فيقول المثل «اللى مراته مفرفشة يرجع البيت من العشا» ولكن ذلك لا يمنع من أن تخلق الزوجة كثيراً من المشكلات، وأجواء «النكد» فتقول الأمثال فى ذلك «من يريحهم يتعبوه، ومن يتعبهم يريحوه» و«إن حبوك يا ويلك، وإن كرهوك يا ويلك».

وقد نظرت الأمثال الشعبية إلى وجود الرجل فى حياة المرأة على اعتبار أنه كل شىء فى حياتها، فهو الذى يمنحها القيمة الاجتماعية فتقول الأمثال فى ذلك «إللى يقول لمراته يا هانم، يقابلوها ع السلالم». «حرمة من راجل زى الطربوش من غير زر». «اللى جوزها يقول لها يا عورة الناس تلعب بها الكورة.»، و«اللى جوزها يحبها الشمس تطلع لها»، و«اللى جوزها معها تدور الدنيا بصباعها»، ذلك أنهما يكونان وحدة متعاونة متحابة، متماسكة.

أما إذا دب النفور بين الزوجين، وبخاصة إذا كان الزوج، وهو الأقوى قانونيًا واجتماعيًا، لا يعجبه العجب ولا يرضى عن زوجة، ويتلمس لها الأخطاء، فإن الحياة تصبح بينهما شقية نكدة. وتقول الأمثال فى ذلك على لسان المرأة:

«اخذتنى لحم ورمتنى عضم»، «عيش يا حبيبى ولا تبكينى حسك فى الدنيا يكفينى، «بلاش توكلنى فرخة سمينة وتبيتنى حزينة»، «لا حصيرة ولا مخدة، وكمان مش لده» «جت العازبة تشكى لقت المتجوزة بتبكى».

كذلك صورت الأمثال الرجل أحياناً فى صورة الذى يضطهد زوجته لسبب أو بدون سبب، فتقول فى ذلك: «يخش من العتبة ينشف الرقبة»، «ييجى من بره يكسر الجرّه».

لذلك فقد أهلّت الأمثال الشعبية المرأة لمثل هذه المواقف وكأنها تعدها لحيل دفاعية Defense Mechanisms، تصد بها سطوة الرجل، فتقول الأمثال فى ذلك: «يا مآمنة للرجال، يا مآمنة للميّة فى الغربال»، «وقصقصى طيرك ليلوف بغيرك»، «إذا كان الرجل بحر، تكون المرة جسر».

والمعروف ان المرأة المصرية الريفية، وكذلك المرأة فى الثقافات الشعبية، من أكثر

النساء نشاطاً، ذلك لأن كلا منهما تساعد زوجها على الحياة، فالمرأة الريفية تقوم بمساعدة زوجها، إلى جانب قيامها بالأعمال المنزلية، كما أن المرأة فى الثقافات الشعبية تساعد زوجها بفتح الدكاكين، أو الخدمة فى المنازل، أو القيام بمشروعات صغيرة، لهذا يقول المثل الشعبى وهو يرسم صورة المرأة الريفية فى بيتها:

«لقمة الراجل مقمرة، ما تأكلها إلا المشمرة»، «قوى نارك تسبقى جارك»، «الشاطرة تقول للفرن قود من غير وقود». «العيش مخبوز، والمية فى الكوز».

أما المرأة فى الثقافات الشعبية، فهى تعرف قيمة منزلها، وأهمية البيت فى حياتها، فتقول لها الأمثال «كل دار ولها مدار» «اللى يطلع من داره يتقل مقداره»، «يا دارى يا ساترة عارى» «قعدتى بين اعتابى، ولا قعدتى بين احبابى».

كما تنصحها فتقول: «اغسلى تفوقى، واكنسى تروقى» و«الشاطرة تقضى حاجتها، والخايبة تنده لجارتها» وتحذرها الأمثال من الكسل فتقول «قعدة على قعدة راح النهار يا سعدة».

المرأة والحماة:

عندما تتساكن الحماة والكَنّة، أى زوجة الابن، تحت سقف واحد فى معيشة مشتركة، وهذه الظاهرة مستمرة حتى يومنا هذا، وذلك بسبب حاجة الأمهات العصريات المتعلمات المشتغلات إلى من يرعى صغار أطفالهن أثناء خروجهن إلى العمل. ولذلك كان لابد من التوقف عند هذه الظاهرة، التى تناولتها الأمثال من حيث الكره المتبادل بين الحماة والكنّة. تقول الأمثال: «عرق ورا الودن ما يحبش مرات الابن». و«إذا كانت الغلة تيجى قد التبن كانت الحما تحب مراة الابن». أما الزوجة فتقول «الكى بالنار ولا حماتى فى الدار» «طول عمرك يا خالة وانتى على دى الحالة».

وهناك أسباب تقليدية، لهذا التنافر الظاهر بين الحماة وزوجة ابنها، فالحماة تشعر أنها قد شاركتها فى حب ابنها، إن لم تكن قد استأثرت به كله، والحماة

تحس بغيرة من زوجة ابنها التى تصغرها سناً بكثير،

ومن الصعب اقناع الحماة بأن تحسن معاملة الكنّه، على أساس أن الحماة ذاتها كانت فى يوم من الأيام كنّة، وكانت لها أحاسيسها وآراءها، فالمثل يقول «يا حما ما كنتى كنّه، قالت كنت كنّه ونسيت».

ولكل قاعدة شواذ، فهناك حالات، تعامل فيها الحماة زوجة ابنها كابنتها، وتحفظ أسرارها، وتدافع عنها أمام زوجها الذى تحبه لأنه ابنها، وتسر إليها بما يجعلها تستحوذ على حبه، وفى هذه الحالة تكون الكنّه ممتنة لحماتها، تحبها كأمها، وتتمنى لها الصحة، وطول البقاء.

المرأة والجارة:

العلاقة بين الجيران امتداد للعلاقات العائلية والأسرية، وهناك نوع من الترابط والتكامل يتولد عن المشاركة التى تفرضها الجيرة فى السكن، فيقول المثل: «لولاكى يا جارتى لا تفقعت مرارتى» وربما كان ذلك انعكاساً لحب المرأة لاقامة العلاقات والمعاشرة، والحفاظ عليهما، كما أنه يعد نوعًا من التفريغ الانفعالى Catharsis الذى يعد من أهم الخطوات فى الشفاء، أو تخفيض التوتر كما يذهب علماء الطب النفسى المحدثون.

المرأة الأم مع الأبناء:

تتمتع الأم فى الأسرة المصرية بمركز كبير، فهى تقوم بدور أساسى فى بناء الأسرة. ويقع على عاتقها مسئولية كبيرة فى الحفاظ عليها. فهى التى تقوم على تربية الأبناء وترعاهم، حتى يستطيع الفرد منهم أن يعتمد على نفسه فى حياته، وتظل الأم تؤدى واجبها نحو الأبناء حتى بعد استقلالهم.

وتعتمد الأسرة المصرية فى تعاطفها، وتماسكها على موقف الأم، ومشاعرها، يقول المثل: «اللى بلا أم.. حالة يغم» و«واللى تموت أمه يا سواد خده»، وكذا فإن حنان الأم لا يوانيه شىء «اللى عند أمه، ما ينحملش همه»...

ولقد أكدت الأمثال الشعبية، مشاعر الأم المصرية، وحنانها فى كثير من

المواقف، فهى ترى فى أولادها قطعة منها فيقول المثل على لسان الأم: «أسيادى وأسياد أجدادى اللى يعولوا همى وهم ولادى»، «اللى يدى ابنى بلحة، تنزل حلاوتها فى بطنى»، «القرد فى عين أمه غزال». والعلاقة بين الأم، وأبناءها علاقة روحية فريدة فى نوعها، وهى حتى فى حالة غضبها من أبنائها لا تنسى أمومتها، وثورتها، وغضبها، لا يمكن أن ينتزعا الحنان من قلبها، لذلك فقد عبرت الأمثال الشعبية عن الأم المصرية فى هذا الموقف فقالت: «أدعى على ابنى، وأكره اللى يقول آمين»، «اضرب ولدى، وأكره اللى ما يحوشنى»، و«البطن ماتجيبش عدو»، «ابن بطنى يفهم رطنى».

وإذا عانت الأم كثيراً من مشكلات تربية أبنائها، يقول المثل الشعبى على لسانها: «ماجابهمش قلب وارتاح».

وتفرّح الأم لوجود بناتها بجانبها لأنهنّ يساعدنها فى خدمة المنزل، كما يشاركنها، مشاعرها، ويؤنسن وحدتها، يقول المثل الشعبى: «اللى يسعدها زمانها تجيب بناتها قبل صبيانها».

ولقد عكست مجموعة من الأمثال الشعبية، مشاعر المرأة الأم تجاه خلفة البنات، يقول المثل يا مخلفة البنات يا شايله الهم للممات». فهى التى تحمل همها صغيرة، وزوجة بعد ذلك. كما أن خلفة البنات فى حد ذاتها لا تقدر مجتمعيا، مثل خلفة الصبيان.

ومما لا شك فيه أن عناية الأم بابنتها، ينعكس على مشاعرها نحو أمها، فهى لا ترى قدوة فى الحياة سواها يقول المثل: «ألف عين تبكى، ولا عين أمى يدّمع».

وحين تتحدث الأمثال عن علاقة الأم بولدها، فإنها تشير إلى أن الأم تعطى الولد أهمية كبيرة، لأن الثقافة الذكورية التى تعيش فى إسارها، تتحيز للذكر منذ الميلاد، فهو الذى يحمل اسم العائلة، ويحافظ بالتالى على وجودها واستمرارها، هذا إلى جانب أن مركز المرأة الأم فى الأسرة يعلو، ويتثبت بانجابها للذكر عموماً تقول الأمثال فى ذلك: «لما قالولى ده غلام.. انشد ضهرى، واستقام ولما قالولى

دى بنية.. اتطبقت الدار علىّ».

ولا شك أن أهمية هذا البحث، إنما تظهر فى الكشف عن الإبداع المتعلق ببعض الأمثال الشعبية المصرية المتعلقة بالمرأة، ويظهر ذلك الإبداع فى المثل ونقيضه، والإبداع فى اختزال التجربة البشرية فى كلمات، والإبداع فيما تحويه الأمثال من تورية، ونصائح غير مباشرة.

ومن الخطأ، كما يقول «مالينفسكى»، أن ننظر إلى الأمثال الشعبية على أنها مجرد شكل من أشكال الفولكلور، وإنما هى فى الواقع، وعلى حد قوله عمل كلامى يدعو قوة معينة إلى التحرك: إن هذه الأمثال إنما هى انعكاسات لحياة الشعب الاجتماعية.

أهم المراجع:

(١) إبراهيم شعلان، الشعب المصرى فى أمثاله العامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢.

(٢) سامية حسن الساعاتى، الاختيار للزواج والتغير الاجتماعى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢.

(٣) أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد، والتعابير المصرية.

(٤) أحمد تيمور، الأمثال العامية.

(٥) ادوارد وليم لين، المصريون المحدثون، عاداتهم وشمائلهم، ترجمة عدلى طاهر نور.

نبذه عن المؤلفة:

- أستاذ علم الاجتماع جامعة عين شمس.
- رئيسة قسم علم الاجتماع - كلية البنات جامعة عين شمس سابقا.
- عضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين.
- عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- مستشارة هيئة اليونسكو.
- مستشارة المجلس القومى للسكان.
- عضو الجمعية المصرية الدولية لعلم الاجتماع.
- اشتركت فى العديد من المؤتمرات المحلية والدولية عن المرأة من أهمها:

١- مؤتمر المرأة والتنمية الاجتماعية فى سوريا، دمشق، ١٩٧٧.

٢- ممثلة الجمعية المصرية الدولية لعلم الاجتماع فى المؤتمر الدولى التاسع لعلم الاجتماع، أو بسالا، السويد، أغسطس ١٩٧٨.

٣- مؤتمر عن دور الشابات فى التغير الاجتماعى، تونس، ديسمبر ١٩٨٢.

٤- مؤتمر عن إسهام المرأة الريفية فى التنمية، المركز إلقومى للبحوث الاجتماعية والجنائي - القاهرة ١٩٨٤.

٥- المؤتمر الدولى الأول للمرأة العربية والإفريقية، اتحاد المحامين العرب، القاهرة ١٩٨٥.

٦- المؤتمر الدولى للمرأة فى بغداد، تحقيقا لأهداف عقد المرأة (المساواة، والتنمية، والسلام) مارس ١٩٨٥.

٧- مؤتمر المرأة والأسرة فى الإسلام، اليونسكو، استانبول، تركيا، يونيو ١٩٨٥.

٨- مؤتمر الأمم المتحدة العالمى بمناسبة عقد المرأة، (المساواة والتنمية والسلام) نيروبى، كينيا ١٩٨٥.

٩- مؤتمر عن المعوقات الثقافية لإسهام المرأة الريفية فى التنمية، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة ١٩٨٤.

١٠- مؤتمر عن مستقبل الأسرة العربية فى الشرق الأوسط وشمال إفريقية، تونس ١٩٨٩.

١١- مؤتمر عن القيادات النسائية، الإسكندرية، فبراير ١٩٩٠.

١٣- المؤتمر الدولى السنوى الأول للمرأة كقائدة إدارية والتنمية المتواصلة، الإسكندرية، مارس ١٩٩٧.

١٤- مؤتمر عن المرأة والعنف، القاهرة، ١٩٩٧.
١٥- مؤتمر عن المرأة والجسد، كوبنهاجن، سبتمبر ١٩٩٧.

من أهم منشورات المؤلفة عن المرأة:

١- الاختيار للزواج والتغير الاجتماعي، دار النهضة العربية بيروت، لبنان ١٩٧٣.
٢- جرائم النساء، دراسة تحليلية نقدية، المركز العربي للدراسات الأمنية الرياض، المملكة العربية السعودية ١٩٨٣.
٣- المرأة السعودية والخدمات الصحية، بحث ميداني ١٩٩٢.
٤- المسلمات في أمريكا، دراسة حالة لأربعة نماذج من المسلمات، ١٩٩٦- ١٩٩٧ تحت الطبع.

الإشراف العلمي:

- أشرفت واشتركت في مناقشة العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه عن المرأة من أهمها:
- طلاق المثقفات في مصر.
- جرائم المرأة بين الصحافة وقضايا المحاكم.
- دور المرأة الريفية في التنمية.
- صورة المرأة في المسلسلات التلفزيونية من السبعينيات إلى التسعينيات.
- الدراسات الانثروبيولوجية الاجتماعية وأدوار المرأة.
- دور المرأة في مجال الشرطة.

أنشطة المؤلفة في مجال المرأة:

- اختيرت كإحدى أبرز قيادات العمل الاجتماعي في مصر سنة ١٩٩٥-١٩٩٦.
- لها دور إعلامي بارز فقد اشتركت في عديد من البرامج، والندوات التليفزيونية والإذاعية والمجتمعية (في الأندية الرياضية والاجتماعية وأندية الليونز والإنرهويل) عن المرأة وأهم قضاياها كمشكلات الزواج والطلاق والختان والتربية الجنسية وعمل المرأة بالقضاء، وموقف القوانين من المرأة في الخطف والأغتصاب والأحوال الشخصية بعامة وغيرها من القضايا.
- تكتب في الصحف والمجلات المصرية والعربية عن المرأة وهمومها، وواقعها، واستشراف مستقبلها منذ السبعينيات.
- شاعرة وأديبة تكتب عن المرأة ومشاعرها وأفراحها وأحزانها واغترابها واندماجها أو وحدتها. وقد صدر لها يوان شعر بعنوان شخصي جدا سنة ١٩٩٢، ولها ديوان آخر تحت الطبع، كتبت عددا من القصص القصيرة المنشورة في مجلات مصرية تعالج فيها قضايا المرأة المعاصرة مثل ومضة حب - دموع على باب الرحيل - اليوم الثاني - البحث في دفتر قديم - طلب زواج.

المحتويات

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٣٩٩٩ / ٢٠٠٣

I. S. B. N 977 - 01 - 8750 - X